عبد الأمير مهنا

أخبار المصلوبين وقصص المعذبين

في العصرين الأموي والعباسي

دار الفكر اللبناني



إعداد

عبد الأمير مهنّا وحسين مرتضى

دار الفكر اللبناني

بيروت

دار الفكر اللبناني
للطباعة والنشر
كورنيش المزرعة - تجاه غلوب بنك
هاتف: ٣١١٥٧٨-٨٦٣٣٩٣
ص.ب: ٤٦٩٩ أو ١٤/٥٤٩٠
تلكس: DAFKLB 23648 LE - بيروت - لبنان

الطبعة الأولى ١٩٩٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الكتاب

لم يكن التعذيب، بمعناه الهمجي، مألوفاً في العصر الجاهلي بالنظر لقيم البداوة المناهضة للتنكيل. والتعذيب، بمعنى الانتقام والتشفّي لم يكن ممارساً في عصر صدر الإسلام، ذلك لأن النبي ﷺ بُعث ليتمّم مكارم الأخلاق، من أجل ذلك كان شعار الإسلام: لا إكراه في الدين. ثم إن الخلفاء الراشدين ساروا على منهاج الرسول في الدعوة إلى المحبة والرحمة والعطف، إلى أن بدأ التسلّط على الناس وتعذيبهم والتنكيل بهم واضحاً في أيام زياد بن أبيه، حيث دفن البعض أحياءً، وقطع أطراف بعض النساء... ثم جاء بعده ولده عبيد الله بن زياد، ثم الحجاج بن يوسف... إلى أن تعدَّدت أساليب التعذيب في العصر العباسي، حيث مارس بعض الخلفاء والقوّاد والولاة جميع ألوان العذاب بأشدّ ما يكون من البغي والقسوة.

عُرف التعذيب أولاً نفسياً، ينصبّ على كرامة المتّهم أو شرفه الشخصي، أو يطال أحياناً معتقداته الخاصة، ثم تطوَّر مع الزمن، فاستخدم بمعناه الهمجي الذي ينصبّ على الجسد بألوانٍ من العذاب، وطرقٍ يقشعرُّ البدن من تصوُّرها، ويحتبس اللسان عند ذكرها، ويرتعش القلم عند تدوينها، تدلّ على مقدار ما عند بعض الناس من وحشية لا يتدنّى إليها حيوان الغاب، كقطع الرؤوس وصلبها، وتقطيع الأوصال، وسلخ الجلود، وسمل العيون، وبقر البطون، وحرق الجثث، ودفن الناس أحياءً، وقلع الأظافر والأضراس، وصلب الأبدان حيّة، أو تسميرها، أو تعذيبها بالنار، وسلّ الألسن، والخنق، والشنق، والسّلق، والمساهرة، وثقب الكعاب، وقرض اللحم، أو شيّه... وألوان أخرى من التعذيب سيطّلع عليها القارىء في صفحات هذا الكتاب.

لقد قرأنا كثيراً من كتب التراث التاريخيّة، وبذلنا جهدنا في جمع مادة هذا الكتاب، قدر المستطاع، وقسّمناها إلى ثلاثة فصول:

- **الفصل الأول: في أخبار المصلوبين وقصصهم.**
- **والفصل الثاني: في أخبار المعذّبين.**
- **والفصل الثالث: في أخبار المقطّعي الرؤوس.**

وفي كثيرٍ من الحالات كنّا نثبت الرواية التاريخية كاملة كما وردت في المصادر، وفي حالات أُخرى كنّا نختصرها إذا كانت طويلة، لكن دون زيادةٍ عليها، أو تعديل فيها، وقد أثبتنا بعض الروايات التاريخية التي لا تعود إلى العصرين الأموي والعباسي آملين أن نكون وُفِّقنا في عملنا، والله الموفّق.

عبد الأمير مهنّا

حسين محمود مرتضى

الفصل الأول

في أخبار المصلوبين وقصصهم

جثة أحمد الخزاعي تُصلب ستّ سنين

جاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٤٠، أن الواثق بالله هارون أرسل كتاباً إلى أمير البصرة يأمره أن يمتحن الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن، وكان تبع أباه في ذلك، ثم رجع آخر أمره.

وكان أحمد بن نصر الخزاعي من أهل الحديث قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أحضره الواثق من بغداد إلى سامرّا مقيداً وسأله عن القرآن، فقال: ليس بمخلوق، وعن الرؤية في القيامة، فقال: كذا جاءت الرواية، وروى له الحديث، فقال الواثق له: تكذب، فقال للواثق: بل تكذب أنت. فقال: وَيْحكَ! يُرى كما يُرى المحدود المتجسِّم، ويحويه مكان ويحصره الناظر؟ إنما كفرت بربٍ صفته ما تقولون فيه؟

فقال جماعة من فقهاء المعتزلة الذين حوله: هو حلال الضرب، فدعا بالسيف وقال: إذا قمت إليه فلا يقومَنَّ أحدٌ معي، فإني أحتسب خُطاي إلى هذا الكافر الذي يعبد رباً لا نعبده ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها، ثم أمر بالنطع، فأُجلس عليه وهو مقيَّد، فمشى إليه، فضُرب عنقه، وأمر بحمل رأسه إلى بغداد فصُلب بها، وصُلبت جثّته في سامرّا، واستمرَّ ذلك ستّ سنين إلى أن ولي المتوكل، فأنزله ودفنه.

ولما صُلب، كتب ورقة وعلِّقت في أذنه فيها: هذا رأس أحمد بن نصر بن مالك، دعاه عبد الله الإمام هارون إلى القول بخلق القرآن ونفي التشبيه، فأبى إلّا المعاندة، فعجَّله الله إلى ناره.

* * *

صلب ابن أبـي الفوارس

روى الطبري، قال:

في السنة ٢٨٩، ظفر شبل غلام الطائي، برئيس من رؤساء القرامطة، يُعرف بابن أبـي الفوارس، وبعث به إلى الحضرة، فدعا به المعتضد وأمر به، فقلعت أضراسه، ثم خُلعت مفاصله بمدٍّ إحدى يديه ببكرة، وعلّق بالأخرى صخرة، وترك على حاله تلك من نصف النهار إلى المغرب.

ثم قطعت يداه ورجلاه من غد ذلك اليوم، وضربت عنقه وصُلب بالجانب الشرقي، ثم حُملت جثته بعد أيام إلى الياسرية، فصُلب مع مَن صُلب هناك من القرامطة.

(راجع الطبري ١٠ : ٨٦)

* * *

صلب أحمد بن علي الغسّاني

روى ياقوت في معجم الأدباء، أن أبا الحسين أحمد بن علي الغسّاني الملقَّب بالرشيد، المتوفى سنة ٥٦٢، كان يتعصَّب لصلاح الدين، فقبض عليه شاور، الوزير المصري، فأدخل إلى قوص مكبلاً بالحديد، ثم أدخل إلى القاهرة مشهراً على جمل، وعلى رأسه طرطور، ووراءه جلواز يضربه ثم صُلب.

* * *

صلب رأس الأمير إسماعيل حاكم العراق

في تاريخ العراق للعزاوي، أنه في السنة ٧٨٠ كان الأمير إسماعيل بن الأمير زكريا، حاكم العراق ببغداذ ذاهباً يوم الجمعة إلى الجامع الذي أنشأه، فاغتاله مبارك شاه، فقتله وقتل عمّه، وقطع رأس الأمير إسماعيل، وصلبه في جدار الجامع الذي بناه.

* * *

صَلْب أعرابي

بلغ أماجور التركي، أمير دمشق للمعتمد، أن أعرابياً أهان جندياً من جنوده بأن نتف شعرتين من شاربه، فأمر بالأعرابي، فنتف شعر بدنه كلّه من أجفانه، ورأسه، ولحيته، وما ترك على جسمه شعرة، ثم ضربه ألف سوط، وقطع يديه، ورجليه وصلبه.

* * *

ابن حلبة يصلب على السور

في سنة ٤٧٦، عصى أهل حران على شرف الدولة مسلم بن قريش بتحريض من قاضيهم ابن حلبة، فقصدها شرف الدولة وحصرها ورماها بالمنجنيق، فخرَّب من سورها، وفتح البلد، وأخذ القاضي وأخذ معه ابنين له، فصلبهم على السور.

(راجع ابن الأثير، حوادث سنة ٤٧٦)

* * *

صلب ابن حماد وحامي التاجيّة وابن زريق

في الجامع المختصر ص ٢٦١، أنه في السنة ٦٠٥، سرقت غلّة في التاجيّة من غلات الديوان، فخرج قوام الدين، وكيل الخليفة، وصدر المخزن، إلى قرية بريدة في معاملة نهر الملك، وصلب ثلاثة أشخاص هم: أبو القاسم بن حمّاد، الذي كان ناظراً بنهر الملك، والثاني: حامي التاجيّة، والثالث: شخص يُعرف بابن زريق.

* * *

صلب رأس ابن الطرّاح

جاء في تاريخ العراق للعزاوي، أنه في السنة ٦٩٤، اعتقل صدر واسط والبصرة، فخر الدين مظفّر بن الطرّاح، فطوّق وضرب وعذّب، ثم قُتل، وحمل رأسه إلى واسط، وعلّق على الجسر بعد أن طيف به في شوارعها وسوقها.

* * *

ابن مكانس يصلب منكساً

جاء في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، أن الظاهر برقوق قد صادر الوزير ابن مكانس، فاعتقله وعذّبه، وصلبه في السجن منكساً على رأسه، فقال:

وما تعلّقت بالسرياق منتكساً لحرمة أوجبت تعذيب ناسوتي
لكنني مذ نفثت السحر في أدبي علّقت تعليق هاروت وماروتِ

● وفي «الإسلام والدول الإسلامية في الهند»، أن سلطان الهند إبراهيم لوري كان يعذّب الناس في سجونه، بأن يصلبهم منكّسين، أرجلهم إلى الأعلى ورؤوسهم نحو الأرض.

* * *

صلب ابنيْ الأنصاري

روى ابن تغري بردى، في النجوم الزاهرة، قال:

لمّا ولي الظافر الفاطمي الخلافة في السنة ٥٤٤، قتل ابنيْ الأنصاري، وكانا قد استعليا في دولة أبيه الحافظ، فضربهما بالسياط وقطع أيديهما، وسلّ لسانيهما من القفا، ثم صلبهما.

(راجع النجوم الزاهرة ٥ : ٢٩٥)

* * *

صَلْب أبي جعفر بن عطيّة

روى المقري، في نفح الطيب، قال:

وصلب عبد المؤمن الكومي الموحّدي وزيره أبا جعفر بن عطية. ومن غريب ما يروى أن الشاعر أبا بكر الأوسي، مدح أبا جعفر بقصيدة، قال فيها:

أبا جعفرٍ نلت الذي نال جعفر ولا زلت بالعليا تسرّ وتحبر

فلما سمع الوزير هذا البيت تغيَّر وجهه، لأن جعفر البرمكي نال قطع العنق والصلب، وكان من العجب، أن أبا جعفر كان مصيره مصير جعفر البرمكي، حيث صُلب.

* * *

صلب ابن أبـي عون

في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائـة، قُتل أبـو جعفر محمّـد بن علـيّ الشَّلمغانيُّ المعروف بابن أبـي القراقر، وشَلْمَغانُ التي يُنسب إليها قرية بنواحي واسط.

وسبب ذلك أنّه قد أحدث مذهباً غـالياً في التشيّـع والتناسـخ، وحلول الإلهيّة فيه، إلى غير ذلك ممّا يحكيه، وأظهر ذلـك من فعله أبو القـاسم الحسين بن رَوْح، الذي تسمّيه الإمامية البـاب، متداول وزارة حـامد بن العبّـاس، ثم اتّصل أبـو جعفر الشلمغانيُّ بالمحسن بن أبـي الحسن بن الفرات في وزارة أبيه الثالثة، ثمّ إنّـه طُلب في وزارة الخـاقانيّ، فـاستتر وهـرب إلى الموصـل، فبقي سنين عند نـاصر الـدولة الحسن بن عبـد الله بن حَمدان في حيـاة أبيـه عبـد الله بن حمـدان، ثمّ انحـدر إلى بغداد واستتر، وظهر عنه ببغداذ، أنّه يدّعي لنفسه الربوبيّة، وقيل إنّه اتَّبعه على ذلك الحسين بن القـاسم بن عبـد الله بن سليمـان بن وهب الـذي وزر للمقتـدر بـالله، وأبـو جعفر، وأبـو عليّ ابنا بِسـطام، وإبراهيم بن محمّـد بن أبـي عون، وابن شبيب الزيّات، وأحمد بن محمّد بن عبدوس، كانوا يعتقدون ذلك فيه، وظهر ذلك عنهم، وطُلبوا أيّام وزارة ابن مقله للمقتدر بالله، فلم يوجدوا.

فلمّا كان في شوّال، ظهر الشلمغانيُّ، فقبض عليه الـوزير ابن مقلة وسجنـه، وكبس داره، فوجد فيها رقاعـاً وكتباً ممّن يـدَّعي عليه أنّـه على مذهبـه، يخاطبـونه بمـا لا يخاطب بـه البشر بعضهم بعضـاً، وفيها خطّ الحسين بن القـاسم، فعُـرضت الخطوط، فعرفها الناس، وعـرضت على الشلمغانيّ، فـأقرَّ أنّهـا خطوطهم، وأنكـر مذهبه، وأظهر الإسلام، وتبـرّأ ممّا يقـال فيه، وأُخـذ ابن أبـي عون، وابن عبـدوس معه، وأحضرا معه عند الخليفة، وأُمرا بصفعه فامتنعا، فلمّا أُكـرها مـدَّ ابن عبدوس يده وصفعه، وأمّا ابن أبـي عون، فـإنّه مـدَّ يده إلى لحيتـه ورأسه، فـارتعدت يـده، فقبَّل لحية الشلمغانيّ ورأسه، ثم قال: إلهي، وسيِّدي، ورازقي؛ فقال له الراضي: قد زعمتَ أنّك لا تدَّعي الإلهيّة، فما هذا؟ فقال: وما عليَّ من قـول ابن أبـي عون، والله يعلم أنّني ما قلتُ له إنّني إله قط!

فقـال ابن عبدوس: إنّـه لم يدَّعِ الإلهيـة، وإنّما ادَّعى أنّـه الباب إلى الإمـام

المنتظر، مكان ابن رَوْح، وكنتُ أظنّ أنّه يقول ذلك تقيّة، ثمّ أُحضروا عدّة مرّات، ومعهم الفقهاء والقضاة، والكتّاب، والقوّاد، وفي آخر الأيّام أفتى الفقهاء بإباحة دمه، فصُلب ابن الشلمغاني، وابن أبي عون، في ذي القعدة، فأحرقا بالنار.

وكان الحسين بن القاسم بالرقّة، فأرسل الراضي بالله إليه، فقُتل آخر ذي القعدة، وحُمل رأسه إلى بغداذ.

(راجع الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٨: ٢٩٠ وما بعدها)

* * *

صلب ابن عائشة

في سنة عشر ومائتين ظفر المأمون بإبراهيم بن محمّد بن عبد الوهّاب بن إبراهيم، الإمام المعروف بابن عائشة، ومحمّد بن إبراهيم الأفريقيّ، ومالك بن شاهي، ومَن كان معهم ممّن كان يسعى في البَيعة لإبراهيم بن المهديّ.

وكان الذي أطلعه عليهم وعلى صنيعهم عِمران القُطْرَبُّليُّ، وكانوا اتَّعدوا أن يقطعوا الجسر إذا خرج الجند يتلقّون نصر بن شَبَث، فنمَّ عليهم عِمران، فأُخذوا في صفر، ودخل نصر بن شَبَث بغداذ ولم يلقه أحد من الجند، فأُخذ ابن عائشة، فأُقيم على باب المأمون ثلاثة أيّام في الشمس، ثمّ ضربه بالسياط، وحبسه، وضرب مالك بن شاهي وأصحابه، فكتبوا للمأمون بأسماء مَنْ معهم في هذا الأمر من سائر النّاس، فلم يعرض لهم المأمون، وقال: لا آمن أن يكون هؤلاء قذفوا قوماً بِراء.

ثمّ إنّه قتل ابن عائشة وابن شاهي ورجلَيْن من أصحابهما، وكان سبب قتلهم أنّ المأمون بلغه أنّهم يريدون أن ينقبوا السجن، وكانوا قبل ذلك بيوم قد سدّوا باب السجن، فلم يَدَعوا أحداً يدخل عليهم، فلمّا بلغ المأمونَ خبرهم ركب إليهم بنفسه، فأخذهم، فقتلهم صبراً، وصلب ابن عائشة، وهو أوّل عبّاسيّ صُلب في الإسلام؛ ثمّ أُنزل وكُفن، وصلّي عليه، ودُفن في مقابر قريش.

(راجع الكامل، لابن الأثير ٦: ٣٩١)

* * *

ابنِ المسلمة يصلب حياً

روى صاحب «المنتظم»، أن القائد البساسيري استعمل القنارة في تعذيب رئيس الرؤساء ابن المسلمة، وكان ابن المسلمة نافذ الكلمة في دولة الخليفة القائم، وكان شديداً على الشيعة، حتى أنه في السنة ٤٤٨، أمر بقتل أبي عبيد الله بن الجلاب، شيخ البزازين بباب الطاق لما كان يتظاهر به في الغلوّ في الرفض، فقتل وصلب على باب دكانه.

وعندما احتل البساسيري بغداذ سنة ٤٥٠، اعتقل ابن المسلمة، ثم أخرجه من محبسه بالحريم الطاهري وعليه جبّة صوف وطرطور من لبدٍ أحمر، وفي رقبته مخنقة من جلود كالتعاويذ، وأُركب جملاً وطيف به في محال الجانب الغربي، ووراءه من يصفعه بقطعة جلد، وشهر في البلد، وسبّ، ولعن في جميع المحال، ثم نصبت له خشبة بباب خراسان، فحطَّ من الجمل، وخيط عليه جلد ثور قد سلخ في الحال، وجعلت قرونه على رأسه وعلّق بكلّابين من حديد في كتفيه واستبقي في الخشبة حياً، ولبث يضطرب إلى آخر النهار، ثم مات.

* * *

صلب ابن مسلم

في سنة خمس وعشرين ومائة، مات هشام بن عبد الملك بالرصافة، وكانت خلافته تسع عشرة سنة، وعمره خمس وخمسون سنة، كانت حافلة بالأحداث المتنوعة. . . منها إن غَيْلان بن يونس، وقيل ابن مسلم، أبا مروان أظهر القول بالقدر في أيّام عمر بن عبد العزيز، فأحضره عمر واستتابه، فتاب، ثم عاد إلى الكلام فيه أيّام هشام، فأحضر من ناصرة ثمّ أمر به، فقُطعت يداه ورجلاه، ثم أمر به، فصُلب.

(راجع الكامل لابن الأثير)

* * *

صلب أبي الحسين البريديّ والأكراد

في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، في ربيع الأوّل، قدم أبو الحسين البريديُّ إلى بغداد مستأمناً إلى توزون، فأمَّنه، وأنزله أبو جعفر بن شيرزاد إلى جانب داره،

وأكرمه، وطلب أن يقوّي يده على ابن أخيه، وضمن أنّه إذا أخذ البصرة يوصل له مالاً كثيراً، فوعدوه النجدة والمساعدة، فأنفذ ابن أخيه من البصرة مالاً كثيراً، خدم به توزون وابن شيرزاد، فأنفذوا له الخلع، وأقرّوه على عمله.

فلمّا علم أبو الحسين بذلك سعى في أن يكتب لتوزون، ويقبض على ابن شيرزاد، فعلم ابن شيرزاد بذلك، فسعى به إلى أن قُبض عليه، وقُيِّد وضُرب ضرباً عنيفاً، وكان أبو عبد الله بن أبي موسى الهاشميُّ قد أخذ أيّام ناصر الدولة فتوى الفقهاء والقضاة بإحلال دمه، فأحضرها، وأحضر القضاة والفقهاء في دار الخليفة، وأُخرج أبو الحسين، وسُئل الفقهاء عن الفتاوى، فاعترفوا أنّهم أفتوا بذلك، فأمر بضرب رقبته، فقُتل وصُلب، ثمّ أنزل وأُحرق، ونُهبت داره، وكان هذا آخر أمر البريديّين، وكان قتله منتصف ذي الحجّة.

وفي سنة تسع وستين وثلاثمائة سيَّر عضد الدولة جيشاً إلى الأكراد الهكّارية من أعمال الموصل، فأوقع بهم وحصر قلاعهم، وطال مقام الجند في حصرها.

وكان من بالحصون من الأكراد ينتظرون نزول الثلج لترحل العساكر عنهم، فقدَّر الله تعالى أن الثلج تأخَّر نزوله في تلك السنة، فأرسلوا يطلبون الأمان، فأُجيبوا إلى ذلك، وسلَّموا قلاعهم، ونزلوا مع العسكر إلى الموصل، فلم يفارقوا أعمالهم غير يوم واحد حتّى نزل الثلج.

ثمّ إن مقدّم الجيش غدر بهم، وصلبهم على جانبَيّ الطريق من معلثايا إلى الموصل نحو خمسة فراسخ، وكفَّ الله شرّهم عن الناس.

(راجع الكامل لابن الأثير ٨: ٤٤٢)

* * *

صلب أشبانس

في سنة اثنتين وتسعين، غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نُصَير الأندلس في اثني عشر ألفاً، فلقي ملكَ الأندلس، واسمه أذرينوق، وكان من أهل أصبهان، وهم ملوك عجم الأندلس، فزحف له طارق بجميع مَنْ معه، وزحف الأذرينوق

وعليه تاجه وجميع الحلية التي كان يلبسها الملوك، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل الأذرينوق وفتح الأندلس سنة اثنتين وتسعين.

وأوَّل من سكن الأندلس قوم يُعرَفون بالأندلش، بشين معجمة، فسُمّي البلد بهم، ثمّ عُرِّب بعد ذلك بسين مهملة، والنصارى يسمّون الأندلس إشبانية، باسم رجل صُلب فيها يُقال له أشبانس، وقيل باسم ملك كان بها في الزمان الأول اسمه إشبان بن طيطس، وهذا هو اسمها عند بطليموس. وقيل سُمِّيت بأندلس بن يافث بن نوح وهو أوَّل مَن عمرها، قيل: أوَّل مَنْ سكن الأندلس بعد الطوفان قوم يُعرَفون بالأندلس، فعمروها وتداولوا ملكها دهراً طويلاً وكانوا مجوساً، ثم حبس الله عنهم المطر وتوالى عليهم القحط، فهلك أكثرهم وفرَّ منها مَنْ أطاق فرار، فخلت الأندلس مائة سنة، ثم ابتعث الله لعمارتها الأفارقة، فدخل إليها قوم منهم أجلاهم ملك أفريقيا، تخففاً منهم لقحطٍ توالى على بلاده حتى كاد يُفني أهلها، فحملهم في السفن مع أمير من عنده، فأرسوا بجزيرة قادس، ورأوا الأندلس قد أخصبت بلادها وجرت أنهارها فسكنوها وعمروها، ونصبوا لهم ملوكاً يضبطون أمرهم، وهم على دين مَنْ قبلهم، وكانت دار مملكتهم طالقة الخراب من أرض إشبيلية بنوها وسكنوها وأقاموا مدّة تزيد على مائة وخمسين سنة، ملك منهم أحد عشر ملكاً.

ثم أرسل الله عليهم عجم رومة، وملكهم إشبان بن طيطس، فغزاهم ومزَّقهم وقتل فيهم وحاصرهم بطالقة وقد تحصنوا فيها، فابتنى عليهم إشبانيّة وهي إشبيلية، واتخذها دار مملكته، وكثرت جموعه وعتا وتجبَّر، وغزا بيت المقدس، فغنم ما فيه وقتل فيه مائة ألف، ونقل المرمر منه إلى إشبيلية وغيرها، وغنم أيضاً مائدة سليمان بن داود، عليه السلام، وهي التي غنمها طارق من طليطلة لما افتتحها، وغنم أيضاً قُلَيْلة الذهب والحجر الذي لُقي بماردة.

وكان هذا إشبان قد وقف عليه الخضر وهو يحرث الأرض، فقال له: يا إشبان، سوف تحظى وتملك وتعلو، فإذا ملكت إيلياء فارفق بذريّة الأنبياء. فقال: أتسخر منّي؟ كيف ينال مثلي الملك؟ فقال: قد جعله فيكَ مَنْ جعل عصاك هذه كما ترى. فنظر إليها، فإذا هي قد أورقت، فارتاع وذهب عنه الخضر، وقد

وثق إشبان بقوله، فداخل الناس، فارتقى حتى ملك مُلْكاً عظيماً، وكان ملكه عشرين سنة، ودام ملك الأشبانيّين بعده إلى أن ملك منهم خمسة وخمسون ملكاً.

(راجع الكامل لابن الأثير ٤ : ٥٥٦)

* * *

صلب الأفشين

كان الأفشين قد أنفذ إلى المعتصم يطلب أن يُنفذ إليه مَنْ يثق به، وأنفذ إليه حمدون بن إسماعيل، فأخذ يعتذر عمّا قيل فيه، وقال: قلْ لأمير المؤمنين، إنّما مثلي ومثلك كرجل ربّى عجلاً حتى أسمنه، وكبُر، وكان له أصحاب يشتهون أن يأكلوا من لحمه، فعرَّضوا بذبحه، فلم يجبهم، فاتَّفقوا جميعاً على أن قالوا: لِمَ تربّي هذا الأسد، فإنّه إذا كبر رجع إلى جنسه! فقال لهم: إنّما هو عجل؛ فقالوا: هذا أسد، فسلْ مَنْ شئتَ. وتقدَّموا إلى جميع مَن يعرفونه، وقالوا لهم: إن سألكم عن العجل، فقولوا له: إنّه أسد، وكلّما سأل إنساناً قال: هو سبع، فأمر بالعجل فذُبح، ولكنّي أنا ذلك العجل كيف أقدر أن أكون أسداً؟ اللّهَ اللّهَ في أمري.

قال حمدون: فقمتُ عنه، وبين يديه طبق فيه فاكهة قد أرسله المعتصم مع ابنه الواثق، وهو على حاله فلم ألبث إلاّ قليلاً حتى قيل إنّه يموت أو قد مات، فحُمل إلى دار إيتاخ، فمات بها، وأخرجوه وصلبوه على باب العامّة ليراه النّاس، ثم أُلقي وأُحرق بالنّار، وكان موته في شعبان من سنة ست وعشرين ومائتين.

* * *

صلب أهل حمص

وفي سنة سبع وعشرين انتفض أهل حمص على مروان.

وكان سبب ذلك، أنّ مروان لمّا عاد إلى حَرَّان بعد فراغه من أهل الشام أقام ثلاثة أشهر، فانتفض عليه أهل حمص، وكان الذي دعاهم إلى ذلك ثابتُ بن نُعيْم وراسلهم، وأُرسل أهل حمص إلى مَنْ بتَدْمُر من كلب، فأتاهم الأصْبغ بن ذؤالة الكلبيّ وأولاده ومعاوية السَّكسكيّ، وكان فارس أهل الشام، وغيرهما في نحو من

ألف من فرسانهم، فدخلوا ليلة الفطر، فجدَّ مروان في السير إليه ومعه إبراهيم المخلوع وسليمان بن هشام، وكان قد آمنهما، وكان يُكْرمهما، فبلغهما بعد الفطر بيومَيْن وقد سدَّ أهلُها أبوابها، فأحدق بالمدينة ووقف بإزاء باب من أبوابها، فنادى مناديه الذين عند الباب: ما دعاكم إلى النكث؟ قالوا: إنّا على طاعتك لم ننكث. قال: فافتحوا الباب. ففتحوا الباب، فدخله عمر بن الوضّاح في الوضّاحية، وهم نحو من ثلاثة آلاف، فقاتلهم مَنْ في البلد، فكسرتهم خيل مروان، فخرج بها من باب تدمر، فقاتلهم مَنْ عليه من أصحاب مروان فقُتل عامّة من خرج منه، وأفلت الأصبغ بن ذؤالة وابنه فُرافصة، وقتل مروانُ جماعةً من أسرائهم، وصلب خمسمائة من القتلى حول المدينة، وهدم من سورها نحو غَلوة.

وقيل: إن فتح حمص وهدم سورها كان في سنة ثمان وعشرين.

وفي سنة إحدى وأربعين ومائتين، وثب أهل حِمْص بعاملهم محمّد بن عبدوَيْه، وأعانهم عليه قوم من نصارى حمص، فكتب إلى المتوكل بذلك، فكتب إليه يأمره بمناهضتهم، وأمدَّه بجندٍ من دمشق والرملة، فظفر بهم، فضرب منهم رجُلَيْن من رؤسائهم حتى ماتا، وصلبهما على باب حمص، وسيَّر ثمانية من أشرافهم إلى المتوكل، وظفر بعد ذلك بعشرة رجال من أعيانهم، فضرب أعناقهم، وأمره المتوكِّل بإخراج النصارى منها، وهدْم كنائسهم، وبإدخال البِيعة التي إلى جانب الجامع إلى الجامع، ففعل ذلك.

* * *

صلب أنكلاي بن الخبيث وسليمان بن جامع

كان الموفق قد عاد مؤيِّداً بالظفر في حربه مع الزنج، فلمّا عاد عن قتالهم إلى مدينة المُوفّقيّة، عزم على مناجزة الخبثاء. وكان الخبيث لمّا غُلب على نهر أبي الخصيب، وقُطعت القناطر والجسور التي عليه، أحدث سِكراً في النهر من جانبَيْه، وجعل في وسط النهر باباً ضيِّقاً لتُحْتدَّ جرية الماء فيه، فتمتنع الشذا من دخوله في الجَزْر، ويتعذَّر خروجها منه في المدّ، فرأى الموفَّق أن جريه لا يتهيَّأ إلاّ بقلع هذا السِّكر، فحاول ذلك، فاشتدت محاماة الخبثاء عليه. وألحَّ الموفَّق على

هذا السُّكر، وكان يحارب المحامين عليه بأصحابه وأصحاب لؤلؤ وغيرهم، والفَعلة يعملون في قلعه، ويحارب الخبيث وأصحابه في عدَّة وجوه، فيحرق مساكنهم، ويقتل مقاتليهم. . . ثمّ أوقع بهم فانهزموا، فقُتلوا عن آخرهم لم يسلم منهم إلاّ الشريد، فأخذوا من أسلحتهم ما أثقلهم حمله، وقطع القنطرتَيْن، ولم يزل الموفّق يقاتلهم على سِكرهم حتّى تهيَّأ له فيه ما أحبَّه في خرقه.

فلمّا فرغ منه، عزم على لقاء الخبيث، فأمر بإصلاح السفن والآلات، وفرَّق العساكر من جميع جهاته. وكان عبوره يوم الإثنين لثلاث بقين من المحرَّم، فلقيه الزنج، واشتدَّ القتال، وقتل من الفريقَيْن جمع كثير، فانهزم أصحاب الخبيث، وتبعهم أصحاب الموفق يقتلون ويأسرون، وحوى الموفّق المدينة بأسرها.

ومضى الخبيث في أصحابه، ومعه ابنه أنكلاي، هاربين. . .

وفي سنة اثنتين وسبعين ومائتين، تحرَّكت الزنج بواسط، وصاحوا: أنكلاي، يا منصور، وكان هو والمهلَّبيّ، وسليمان بن جامع، وجماعة من قوّادهم في حبس الموفَّق ببغداذ، وكتب الموفّق بقتلهم، فقُتلوا، وأرسلت رؤوسهم إليه، وصلبت أبدانهم ببغداذ.

(راجع الكامل لابن الأثير ٧: ٤٠٠)

* * *

صلب أهل قرطبة

في سنة إحدى وتسعين ومائة، عصى أصْبغ بن عَبْد الله، ووافقه أهل مدينة ماردة من الأندلس، على الحكَم، وأخرجوا عامله، واتصل الخبر بالحكَم، فسار إليها وحاصرها، فبينما هو مجدّ في الحصار، أتاه الخبر عن أهل قُرطُبة أنّهم أعلنوا العصيان له، فرجع مبادراً، فوصل إلى قُرطُبة في ثلاثة أيّام، وكشف عن الذين أثاروا الفتنة، فصلبهم منكسين، وضرب أعناق جماعة، فارتدع الباقون بذلك، واشتدَّت كراهيتهم له.

ولم يزل أهل ماردة تارة يطيعون، ومرّة يعصون إلى سنة اثنتين وتسعين، فضعف

أمر أصْبَغ، لأنّ الحكَم تابع إرسال الجيوش إليه، واستمال جماعة من أعيان أهل ماردة وثقاته من أصحابه، فمالوا إليه، وفارقوا أصبغ، حتى أخوه، فتحيَّر أصبغ، وضعفت نفسه، فأرسل يطلب الأمان فأمَّنه الحكَمَ، ففارق ماردة، وحضر عند الحكَم، وأقام عنده بقُرطُبة.

(راجع الكامل لابن الأثير ٥ : ٢٠١)

* * *

صلب الأمين

لمّا دخل محمّد الأمين إلى مدينة المنصور، واستولى طاهر على أسواق الكرخ وغيرها، وقرَّ بالمدينة، علم قوّاده وأصحابه أنّهم ليس لهم فيها عُدّة الحصر، وخافوا أن يظفر بهم طاهر، فأتاه محمّد بن حاتم بن الصقر، ومحمّد بن إبراهيم بن الأغلب الإفريقيُّ، وغيرهما، فقالوا: لقد آلتْ حالنا إلى ما ترى، وقد رأينا رأياً نعرضه عليك، فانظرْ فيه واعتزم عليه، فإنّا نرجو أن يجعل الله فيه الخيرة.

قال: وما هو؟

قالوا: قد تفرَّق عنك النّاس، وأحاط بك عدوّك، وقد بقي معك من خيلك سبعة آلاف فرس من خيارها، فنرى أن تختار ممن عرفناه بمحبَّتك من الأبناء سبعة آلاف، فتحملهم على هذه الخيل، وتخرج ليلاً على باب من هذه الأبواب، فإنّ اللّيل لأهْلِهِ، ولن يثبت لنا أحد إن شاء الله تعالى، فنخرج، حتى نلحق بالجزيرة والشام، فنفرض الفروض، ونجبي الخراج، ونصير في مملكة واسعة ومُلك جديد، فيسارع إليك النّاس، وينقطع عن طلبك الجند ويُحْدث الله أموراً.

فقال لهم: نِعْم ما رأيتم! وعزم على ذلك، وبلغ الخبر إلى طاهر، فكتب إلى سليمان بن المنصور، ومحمّد بن عيسى بن نَهيك، والسنديّ بن شاهك: والله لئن لم تردّوه عن هذا الرأي، لا تركتُ لكم ضيعةً إلاّ قبضتُها، ولا يكون لي همّة إلاّ أنفسكم.

فدخلوا على الأمين، فقالوا له: قد بلغنا الذي عزمتَ عليه، فنحن نذكِّرك الله

في نفسك، إن هؤلاء صعاليك، وقد بلغ بهم الحصار إلى ما ترى، فهم يرون أن لا أمان لهم عند أخيك، وعند طاهر، لجدِّهم في الحرب، ولسنا نأمن إذا خرجتَ معهم أن يأخذوك أسيراً، أو يأخذوا رأسك، فيتقرَّبوا بك ويجعلوك سبب أمانهم، وضربوا فيه الأمثال؛ فرجع إلى قولهم، وأجاب إلى طلب الأمان والخروج، فقالوا له: إنّما غايتك السلامة، واللّهو، وأخوك يتركك حيث أحببتَ ويفردك في موضع ويجعل لك فيه كلَّ ما يُصلحك، وكلَّ ما تحبُّ وتهوى، وليس عليك منه بأس ولا مكروه. فركن إلى ذلك، وأجاب إلى الخروج إلى هَرْثَمَة بن أعْين، فدخل عليه أولئك النفر الذين أشاروا بقصد الشام، وقالوا: إذا لم تقبلْ ما أشرنا به عليك، وهو الصواب، وقبلتَ من هؤلاء المداهنين، فالخروج إلى طاهر خير لك من الخروج إلى هَرْثَمة، فقال: أنا أكره طاهراً، لأنّي رأيت في منامي كأنّي قائم على حائط من آجرّ شاهق في السماء، عريض الأساس، لم أرَ مثله في الطول والعرض، وعليّ سوادي، ومِنْطَقي، وسيفي، وكان طاهر في أصل ذلك الحائط، فما زال يضربه حتى سقط، وسقطتُ وطارتْ قَلَنْسُوتي عن رأسي، فأنا أتطيَّر منه وأكرهه، وهَرْثَمَة مولانا، وهو بمنزلة الوالد، وأنا أشدّ أنساً به وثقةً إليه.

فأرسل يطلب الأمان، فأجابه هَرْثَمَة إلى ذلك، وحلف له أنّه يقاتل دونَه إن هَمَّ المأمون بقتله، فلمّا علم ذلك طاهر اشتدَّ عليه، وأبى أن يَدَعَه يخرج إلى هَرْثَمَة، وقال: هو في جندي والجانب الذي أنا فيه، وأنا أحرجته بالحصار، حتى طلب الأمان، فلا أرضى أن يخرج إلى هَرثَمَة فيكون له الفتح دوني.

فلما بلغ ذلك هَرْثَمةَ والقوّاد، اجتمعوا في منزل خُزَيْمة بن خازم، وحضر طاهر وقوّاده، وحضر سليمان بن المنصور، والسنديّ، ومحمّد بن عيسى بن نَهيك، وأداروا الرأي بينهم، وأخبروا طاهراً أنّه لا يخرج إليه أبداً، وأنّه إن لم يجب إلى ما سأل لم يؤمن إلّا أن يكون الأمر مثله أيّام الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان. وقالوا له: إنّه إن يخرج إلى هَرْثَمة ببدنه، ويدفع إليك الخاتم، والقضيب، والبُرْدة، وذلك هو الخلافة، فاغتنم هذا الأمر ولا تُفْسِدْه! فأجاب إلى ذلك ورضي به.

ثم إنّ الهرْش، لما علم بالخبر أراد التقرُّب إلى طاهر، فأخبره أنّ الذي جرى

بينهم مَكر، وأنّ الخاتم والقَضيب والبُردة تُحمل مع الأمين إلى هَرْثَمَة، فاغتاظ منه، وجعل حول قصر أمّ الأمين، وقصور الخلد، قوماً معهم العَتَل، ولم يعلم بهم أحد؛ فلمّا تهيَّأ الأمين للخروج إلى هَرْثَمَة، عطش قبل خروجه عطشاً شديداً، فطُلب له في خزانة الشراب ماء، فلم يوجد، فلمّا أمسى، ليلة الأحد، لخمس بقين من محرَّم سنة ثمان وتسعين ومائة، خرج بعد العِشاء الآخرة إلى صحن الدار، وعليه ثياب بيض، وطَيلسان أسود، فأرسل إليه هَرْثَمَة: وافيتُ للميعاد لأحملك، ولكنّي أرى أن لا تخرج اللّيلة، فإنّي قد رأيتُ على الشطّ أمراً قد رابني، وأخافُ أن أُغلب، وتؤخذ من يديّ، وتذهب نفسك ونفسي، فأقِم اللّيلة حتى أستعدَّ وآتيك اللّيلة القابلة، فإن حُوربتَ حاربت دونك.

فقال الأمين للرسول: ارجع إليه، وقلْ له لا يبرح، فإنّي خارجٌ إليه الساعة لا مَحالة، ولست أقيم إلى غدٍ. وقلق، وقال: قد تفرَّق عنّي النّاس من الموالي والحرس وغيرهم، ولا آمن إن انتهَى الخبر إلى طاهر أن يدخل عليَّ فيأخذني؛ ثمّ دعا بابنَيْه، فضمَّهما إليه، وقبَّلهما، وبكى، وقال: أستودعكما الله، عزَّ وجلَّ، ودمعتْ عيناه، فمسح دموعه بكمّه، ثمّ جاء راكباً إلى الشطّ، فإذا حَرّاقة هَرْثمة، فصعد إليها.

وكان أحمد بن سلّام، صاحب المظالم، مع هَرْثَمة في الحرّاقة، قال: فلمّا دخلها الأمين قُمنا له، وجثا هَرْثَمَة على ركبتَيه، واعتذر إليه من نقرس به، ثم احتضنه، وضمَّه إليه، وجعله في حُجره، جعل يقبّل يدَيْه ورجليه وعَيْنَيه، وأمر هَرْثَمَة بالحرّاقة أن تُدفع، إذ شدَّ علينا أصحاب طاهر في الزواريق، وعَطعطوا، ونقبوا الحرّاقة، ورموهم بالآجرّ والنشّاب، فدخل الماء إلى الحرّاقة، فغرقت، وسقط هَرْثَمَة إلى الماء، وسقَطنا، فتعلَّق الملّاح بشعر هَرْثَمة فأخرجه، وأمّا الأمين، فإنّه لما سقط إلى الماء شقَّ ثيابه وخرج إلى الشطّ، فأخذني رجل من أصحاب طاهر، وأتى بي رجلاً من أصحاب طاهر، وأعلمه أنّي من الذين خرجوا من الحرّاقة، فسألني مَنْ أنا؟ فقلتُ: أنا أحمد بن سلّام، صاحب المظالم، مولى أمير المؤمنين، قال: كذبتَ، فاصدقْني! قلتُ: قد صدقتُك. قال: فما فعل المخلوع؟

قلتُ: رأيتُه وقد شقَّ ثيابه؛ فركب، وأخذني معه أعدو، وفي عنقي حبل، فعجزتُ عن العدو، فأمر بضرب عنقي، فاشتريتُ نفسي منه بعشرة آلاف درهم، فتركني في بيت، حتى يقبض المال، وفي البيت بواريّ وحُصر مدرَّجة ووسادتان.

فلمّا ذهب من اللّيل ساعة، وإذ قد فتحوا الباب، وأدخلوا الأمين، وهو عريان، وعليه سراويل، وعمامة، وعلى كتفه خِرقة خَلقَة، فتركوه معي، فاسترجعتُ وبكيتُ فيما بيني وبين نفسي؛ فسألني عن اسمي، فعرَّفتُه، فقال: ضمَّني إليك، فإنّي أجد وحشة شديدة. قال: فضممتُه إليّ، وإذا قلبه يخفق خفقاً شديداً؛ فقال: يا أحمد! ما فعل أخي؟ قلتُ: حيٌّ هو. قال: قبَّح الله بريدهم، كان يقول: قد مات شبه المعتذر من محاربته؛ فقلتُ: بل قبَّح الله وزراءك؛ فقال: ما تراهم يصنعون بي، أيقتلونني أم يفون لي بأمانهم؟ فقلتُ: بل يفون لك.

وجعل يضمّ الخرقة على كتفه، فنزعتُ مبطَّنة كانت عليّ، وقلت: ألقِ هذه عليك! فقال: دَعْني، فهذا من الله، عزَّ وجلّ، في مثل هذا الموضع خير كثير.

فبينما نحن كذلك، إذ دخل علينا رجل، فنظر في وجوهنا، فاستثبتها، فلمّا عرفتُه انصرف، وإذا هو محمّد بن حُمَيْد الطاهريُّ، فلمّا رأيتُه علمتُ أنّ الأمين مقتولٌ، فلمّا انتصف اللّيل فُتح الباب، ودخل الدار قومٌ من العجم معهم السيوف مسلولة، فلمّا رآهم قام قائماً، وجعل يقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ذهبتْ، والله نفسي في سبيل الله. أما من مُغيث، أما من أحد من الأبناء؟

وجاؤوا، حتى وقفوا على باب البيت الذي نحن فيه، وجعل بعضهم يقول لبعض: تقدَّم، ويدفع بعضهم بعضاً، وأخذ الأمين بيده وسادة، وجعل يقول: ويحكم أنا ابن عمّ رسول الله، أنا ابن هارون، أنا أخو المأمون، الله الله في دمي.

فدخل عليه رجلٌ منهم، فضربه بالسيف ضربةً وقعتْ في مقدَّم رأسه، وضربه الأمين بالوسادة على وجهه، وأراد أن يأخذ السيف منه، فصاح: قتلني! قتلني! فدخل فهم جماعة، فنخسه واحد منهم بالسيف في خاصرته، فركبوه، فذبحوه ذبحاً من قفاه، وأخذوا رأسه، ومضوا به إلى طاهر، وتركوا جثته.

فلمّا كان السَّحَر، أخذوا جثَّته، فأدرجوها في جُلٍّ وحملوها، فنصب طاهر الرأس على برج، وخرج أهل بغداذ للنظر، وطاهر يقول: هذا رأس المخلوع محمّد.

فلمّا قُتل، ندم جندُ بغداد وجند طاهر على قتله، لما كانوا يأخذون من الأموال، وبعث طاهر برأس محمّد إلى أخيه المأمون مع ابن عمّه محمّد بن الحسين بن مُصْعَب، وكتب معه بالفتح، فلمّا وصل، أخذ الرأس ذو الرياستَين فأدخله على ترس، فلمّا رآه المأمون سجد، وبعث معه طاهر بالبُردة والقضيب والخاتم.

ولمّا قُتل الأمين، نودي في النّاس بالأمان، فأمن النّاس كلّهم، ودخل طاهر المدينة يوم الجمعة، فصلّى بالنّاس، وخطب للمأمون، وذمَّ الأمين...

قيل إنّ محمداً وليَ يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة، وقُتل ليلة الأحد لست بقين من المحرَّم سنة ثمان وتسعين ومائة، وكنيته أبو موسى، وقيل: أبو عبد الله، وهو ابن هارون الرشيد بن أبي عبد الله المهديّ بن أبي جعفر المنصور.

(راجع الكامل لابن الأثير ٦:٢٨٢)

* * *

صلب بابَك الخُرّميّ وأخيه عبد الله

في سنة ثلاث وعشرين ومائتين، قدم الأفشين إلى سامَرّا، ومعه بابَك الخُرميُّ وأخوه عبد الله، وكان المعتصم يوجِّه إلى الأفشين في كلِّ يومٍ، من حين سار من برزنْد إلى أن وافى سامرّا، خلعةً وفرساً، فلمّا صار الأفشين بقناطر حُذَيْفة تلقّاه هارون الواثق بن المعتصم، وأهل بيت المعتصم، وأنزل الأفشين بابك عنده في قصره بالمطيرة، فأتاه أحمد بن أبي دُؤاد متنكِّراً، فنظر إلى بابك وكلَّمه، ورجع إلى المعتصم، فوصفه له، فأتاه، المعتصم أيضاً متنكِّراً فرآه.

فلمّا كان الغد، قعد المعصتم واصطفَّ من باب العامّة إلى المَطيرة، فشهَّره

المعتصم، وأمر أن يركب على الفيل، فركب عليه، واستشرفه النّاس إلى باب العامّة، فقال محمّد بن عبد الملك الزيّات:

قد خُضِبَ الفيلُ كعاداتِهِ يَحملُ شَيطانَ خُراسانِ
والفيلُ لا تُخْضَبُ أعضَاؤه إلاّ لِذي شأنٍ مِنَ الشانِ

ثمّ أُدخل دار المعتصم، فأمر بإحضار سيّاف بابَك، فحضر، فأمره المعتصم أن يقطع يدَيْه ورجلَيْه، فقطعها، فسقط، فأمره بذبحه، ففعل، وشقَّ بطنه، وأنفذ رأسه إلى خراسان، وصلب بدنه بسامَرّا، وأمر بحمل أخيه عبد الله إلى إسحاق بن إبراهيم ببغداذ، وأمره أن يفعل به ما فعل بأخيه بابك، فعمل به ذلك، وضرب عنقه، وصلبه في الجانب الشرقيّ بين الجسرَين.

ولمّا وصل الأفشين، توجّه المعتصم وألبسه وشاحَين بالجوهر، ووصله بعشرين ألف ألف درهم وعشرة آلاف يفرّقها في عسكره، وعقد له على السّند، وأدخل عليه الشعراء يمدحونه.

(راجع الكامل لابن الأثير ٦: ٤٧٧)

* * *

صلب بطرس وبولس

ذكر غير واحد من علماء التاريخ، أن الروم غلبت اليونان، وهم ولد صوفير، كانوا يدينون قبل النصرانية بمذهب الصابئين، ولهم أصنام يعبدونها. فكان أول ملوكهم برومية غاليوس، ثم أوغسطس، وهو أول من سمِّي قيصر. وقد استخلف على البيت المقدس هيرودس بن أنطيقوس، ولاثنتين وأربعين سنة من ملكه كانت ولادة السيِّد المسيح. ثم ملك بعده طيباريوس، وهو الذي بنى مدينة طبرية، فأُضيفت إليه، وعرَّبها العرب، وفي ملكه رُفع المسيح عليه السلام، ثم ملك بعده ابنه غايوس، وهو أول الملوك من عبّاد الأصنام، قتل النصارى.

ثم ملك نيرون ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر، وفي آخر ملكه قتل بطرس وبولس بمدينة رومية وصلبهما منكَّسين، وفي أيامه ظفرت اليهود بيعقوب بن

يوسف، وهو أول الأساقفة بالبيت المقدس، فقتلوه وأخذوا خشبة الصليب، فدفنوها.

(راجع الكامل لابن الأثير ١ : ٣٢٥)

* * *

صلب بُغا الشرابيّ

في سنة أربع وخمسين ومائتين، قُتل بُغا الشرابيُّ؛ وكان سبب قتله أنّه كان يحرِّض المعتزّ على المسير إلى بغداذ، والمعتزّ يأبى ذلك ويكرهه، فاتَّفق أنّ بُغا اشتغل بتزويج ابنته من صالح بن وصيف، فركب المعتزّ ومعه أحمد بن إسرائيل إلى كرخ سامرّا إلى بابكيال التركيّ ومن معه من المنحرفين عن بُغا.

وكان سبب انحرافه عنه أنّهما كانا على شراب لهما، فعربدَ أحدهما على الآخر، فاختفى بابكيال من بُغا، فلمّا أتاه المعتزّ اجتمع معه أهل الكرخ وأهل الدُّور، ثمّ أقبلوا مع المعتزّ إلى الجوسق بسامرّا، وبلغ ذلك بُغا، فخرج في غلمانه وهم زهاء خمسمائة إنسان من ولده وقوّاده، فسار إلى السنّ، فشكا أصحابه بعضهم إلى بعض ما هم فيه مِن العسف، وأنّهم خرجوا بغير مَضارب ولا ما يلبسونه في البرد، وأنَّهم في شقاء، فأتاه بعض أصحابه وأخبره بقولهم، فقال: دَعْني حتّى أنظر الليلة.

فلمّا جنَّ عليه الليل، ركب في زورق، ومعه خادمان، وشيء من المال الذي صحبه، وكان قد صحبه تسع عشرة بدرة دنانير، ومائة بدرة، ولم يحمل معه سلاحاً، ولا سكّيناً، ولا شيئاً، ولم يعلم به أحد من عسكره.

وكان المعتزُّ، في غيبة بُغا، لا ينام إلّا في ثيابه وعليه السلاح، فسار بُغا إلى الجسر في الثّلث الأوَّل من الليل، فبعث الموكّلون بالجسر ينظرون مَنْ هو، فصاحَ بالغلام فرجع، وخرج بُغا في البستان الخاقانيّ، فلحقه عدّة من الموكّلين، فوقف لهم بُغا، وقال: أنا بُغا، إمّا أن تذهبوا معي إلى صالح بن وصيف، وإمّا أن تصيروا معي حتّى أُحسن إليكم. فتوكّل به بعضهم، وأرسلوا إلى المعتزّ بالخبر، فأمر بقتله، وحمل رأسه إلى المعتزّ، ونُصب بسامرّا، وببغداذ، وأحرقت المغاربة

جسده؛ وكان أراد أن يختفي عند صالح بن وصيف، فإذا اشتغل الناس بالصيد، وكان قد قرب، خرج هو وصالح ووثبوا بالمعتزّ.

(راجع الكامل لابن الأثير ٧ : ١٨٦)

* * *

صلب بُنْدار الطَّبَريّ

في سنة ثلاث وخمسين ومائتين قُتل بُندار الطبريُّ، وكان سبب قتله أنّ مُساور بن عبد الحميد الموصليَّ الخارجيَّ، لمّا خرج بالبوازيج، وكان طريق خُراسان إلى بُندار، ومظفر بن سيسل، وكانا بالدسكرة، أتى الخبر إلى بُندار بمسير مُساور إلى كرخ حدان، فقال المظفر في المسير إليه؛ فقال للمظفِّر: قد أمسينا، وغداً العيد، فإذا قضينا العيد سرنا إليه، فسار بُندار طمعاً في أن يكون الظفر له، فسار ليلاً، حتّى أشرف على معسكر مُساور، فأشار عليه بعض أصحابه أن يبيِّتهم، فأبى، وقال: حتّى أراهم ويروني، فأحسَّ به الخوارج، فركبوا واقتتلوا.

وكان مع بُنْدار ثلاثمائة فارس، ومع الخوارج سبع مائة، فاشتدَّ القتال بينهم، وحمل الخوارج حملة اقتطعوا من أصحاب بُندار أكثر من مائة، فصبروا لهم، وقاتلوهم، حتى قُتلوا جميعاً، فانهزم بُنْدار وأصحابه، وجعل الخوارج يقطعونهم قطعة بعد قطعة، فقتلوهم.

وأمعن بُندار في الهرب، فطلبوه، فلحقوه، ونصبوا رأسه، ونجا من أصحابه نحو من خمسين رجلاً وقُتل مائة.

(راجع الكامل لابن الأثير ٧ : ١٧٩)

* * *

صلب تركي ثار من الفقر

جاء في الحوادث الجامعة، ص ٢٣، أنه في السنة ٦٢٨، دخل بعض الأتراك إلى دار الوزارة، في دار الخلافة ببغداد، وبيده سيف مشهور، ولم يكن الوزير مؤيد الدين القمّي في الدار. فقبض على التركي وضرب ضرباً مبرّحاً،

وقُرِّر، فذكر أن له مدة لم يصله شيء من معيشته وهو ملازم الخدمة، وقد أضرَّ به ذلك، فحمله فقره وحاجته وغيظه على فعل ما فعل، فصُلب.

* * *

سلطان الهند يصلب التجّار وصهره

في «مهذّب رحلة ابن بطوطة»، أن السلطان محمد بن تغلق، سلطان الهند، غضب على ابن ملك التجّار، وعلى صهره ابن قطب الملك، فأمر بهما، فعلّقا من أيديهما في خشب، ثم رميا بالنشاب حتى ماتا.

* * *

صلب ثابت بن عبد الوهاب

جاء في أعلام النبلاء، أنه في السنة ٤٦٠، قتل شنقاً، أبو الحسن ثابت بن أسلم بن عبد الوهاب الحلبي، أحد علماء الشيعة بحلب، وكان من أكابر النحاة والقرّاء، وكان يلي خزانة كتب الأمير سيف الدولة الحمداني، وألّف كتاباً عن الإسماعيلية، فأغضبهم، فحمل إلى صاحب مصر، فأمر بصلبه، فصلب.

* * *

صلب ثابت بن نعيم وأولاده

في سنة سبع وعشرين ومائة، خرج ثابت بن نُعَيم بعد أهل حمص والغوطة، وكان خروجه في أهل فلسطين، وانتفض على مروان أيضاً وأتى طبرية، فحاصرها وعليها الوليدُ بن معاوية بن مروان بن الحَكَم ابن أخي عبد الملك، فقاتله أهلُها أياماً.

فكتب مروان بن محمّد إلى أبي الورد يأمره بالمسير إليهم، فسار إليهم، فلمّا قرب منهم خرج أهلُ طبرية على ثابت، فهزموه واستباحوا عسكره، وانصرف إلى فلسطين منهزماً، وتبعه أبو الورد، فالتقوا واقتتلوا، فهزمه أبو الورد ثانية وتفرّق أصحابه، وأسر ثلاثة من أولاده وبعث بهم إلى مروان، وتغيَّب ثابت وولده رِفاعة.

واستعمل مروانُ على فلسطين الرُّماحِس بن عبد العزيز الكنانيّ، فظفر بثابت، وبعثه إلى مروان موثقاً بعد شهرَيْن، فأمر به وبأولاده الثلاثة، فقُطعت أيديهم وأرجلهم وحُملوا إلى دمشق، فأُلقوا على باب المسجد، ثمَّ صلبهم على أبواب دمشق.

(راجع الكامل لابن الأثير ٥: ٣٣٠)

* * *

قصّة صلب جعفر البرمكيّ

في سنة سبع وثمانين ومائة، أوقع الرشيد بالبرامكة وقتل جعفر بن يحيَى.

وكان سبب ذلك، أنَّ الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته عبّاسة بنت المهديّ، وكان يُحضرهما إذا جلس للشرب، فقال لجعفر: أزوِّجكما ليحلَّ لك النظر إليها ولا تقربها، فإنّي لا أطيق الصبر عنها؛ فأجابه إلى ذلك، فزوَّجها منه، وكانا يحضران معه، ثمّ يقوم عنهما، وهما شابّان، فجامعها جعفر، فحملتْ منه، فولدت له غلاماً، فخافت الرشيد، فسيَّرته مع حواضن له إلى مكّة، فأعطته الجواهر والنفقات.

ثمّ إنَّ عباسة، وقع بينها وبين بعض جواريها شرّ، فأنهت أمرها وأمر الصبيّ إلى الرشيد، فحجَّ هارون هذه السنة، وبحث عن الأمر، فعلمه، وكان جعفر يصنع للرشيد طعاماً بعُسْفان، إذا حجَّ، فصنع ذلك، ودعاه فلم يحضر عنده، فكان ذلك أوّل تغيّر أمرهم.

وقيل: كان سبب ذلك، أنّ الرشيد دفع يحيَى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ إلى جعفر بن يحيَى بن خالد، فحبسه، ثمّ دعا به ليلة، وسأله عن بعض أمره، فقال له: اتَّقِ الله في أمري، ولا تتعرَّض أن يكون غداً خصمَك محمّدٌ ﷺ، فوالله ما أحدثتُ حدثاً، ولا آويتُ مُحْدِثاً.

فرقَّ له، وقال: اذهبْ حيث شئت من بلاد الله. قال: فكيف أذهب ولا آمن أن أؤخذ؟ فوجَّه معه مَنْ أدّاه إلى مأمنه.

وبلغ الخبرُ الفضلَ بن الربيع من عينٍ كانت له من خواصّ جعفر، فرفعه إلى الرشيد، فقال: ما أنت وهذا؟ فعله عن أمري. ثمّ أحضر جعفراً للطعام، فجعل يلقمه ويحادثه، ثمّ سأله عن يحيَى، فقال: هو بحاله في الحبس. فقال: بحياتي؟ ففطن جعفر، فقال: لا وحياتك! وقصَّ عليه أمره، وقال: علمتُ أنّه لا مكروه عنده. فقال: نِعْمَ ما فعلت! ما عدوتَ ما في نفسي. فلمّا قام عنه، قال: قتلني الله إن لم أقتلك! فكان من أمره ما كان.

وقيل: كان من الأسباب، أنّ جعفراً ابتنى داراً غَرِم عليها عشرين ألف درهم، فرُفع ذلك إلى الرشيد وقيل هذه غرامته على دار، فما ظنّك بنفقاته وصِلاته وغير ذلك؟ فاستعظمه.

وكان من الأسباب، أيضاً ما لا تعدّه العامّة سبباً، وهو أقوى الأسباب، ما سُمع من يحيَى بن خالد، وهو يقول، وقد تعلّق بأستار الكعبة في حجّته هذه: اللهمّ إن كان رضاك أن تسلبني نعمك عندي فاسلبني! اللهمّ إن كان رضاك أن تسلبني مالي وأهلي وولدي فاسلبني، إلاّ الفضل؛ ثمّ ولّى، فلمّا كان عند باب المسجد رجع، فقال مثل ذلك، وجعل يقول: اللّهم إنّه سمج بمثلي أن يستثني عليك، اللّهم والفضل.

وسُمع أيضاً يقول في ذلك المقام: اللهمّ إنّ ذنوبي جمّة عظيمة لا يحصيها غيرك. اللهمّ إن كنتَ تعاقبني، فاجعلْ عقوبتي بذلك في الدنيا، وإن أحاط ذلك بسمعي وبصري وولدي ومالي، حتّى يبلغ رضاك، ولا تجعلْ عقوبتي في الآخرة. فاستُجيب له.

فلمّا انصرفوا من الحجّ ونزلوا الأنبار، ونزل الرشيدُ العُمْر نكبهم.

وكان أوَّل ما ظهر من فساد حالهم، أنّ علي بن عيسى بن ماهان سعى بموسى بن يحيَى بن خالد، واتّهمه في أمر خُراسان، وأعلم الرشيدَ أنّه يكاتبهم ليسير إليهم، ويخرجهم عن الطاعة، فحبسه ثمّ أطلقه.

وكان يحيَى بن خالد يدخل على الرشيد بغير إذن، فدخل عليه يوماً وعنده

جبرائيل بن يَخْتيَشوع الطبيب، فسلَّم، فردَّ الرشيد ردّاً ضعيفاً، ثمّ أقبل الرشيد على جبرائيل، فقال: أيدخل عليك منزلكَ أحدٌ بغير إذن؟ قال: لا! قال: فما بالنا يدخل علينا بغير إذن؟ فقال يحيَـى: يا أمير المؤمنين، ما ابتدأتُ ذلك الساعة، ولكنّ أمير المؤمنين خصَّني به، حتى إنْ كنتُ لأدخل وهو في فراشه مجرَّداً، وما علمت أنّ أمير المؤمنين، كره ما كان يحبّ، فإذا قد علمتُ، فإنّي سأكون عنده في الطبقة التي تجعلني فيها؛ فاستحيا هارون، وقال: ما أردتُ ما تكره.

وكان يحيَـى إذا دخل على الرشيد، قام له الغلمان، فقال الرشيد لمسرور: مُرِ الغلمان لا يقومون ليحيَـى إذا دخل الدار، فدخلها فلم يقوموا، فتغيَّر لونه، وكانوا بعد ذلك إذا رأوه أعرضوا عنه.

فلمّا رجع الرشيد من الحجّ نزل العُمْر الذي عند الأنبار، سلخ المحرَّم، وأرسل مَسْرور الخادم ومعه جماعة من الجند إلى جعفر ليلاً، وعنده ابن يَختيشوع المتطبِّب، وأبو زكّار المُغنّي، وهو في لهوه وأبو زكّار يغنّي:

فلا تَبْعَدْ، فكُلُّ فتىً سَيأتي ... عليهِ الموْتُ يَطرُقُ أو يُفادي
وكلُّ ذَخيرَةٍ لا بُدَّ يَوْماً ... وَإن كَرُمتْ تصيرُ إلى نفادِ

قال مسرور: فقلتُ له: يا أبا الفضل، الذي جئتُ له هو والله ذاك، قد طرقك، أجبْ أمير المؤمنين، فوقع على رجلي يقبِّلها، وقال: حتى أدخل فأوصي، فقلتُ: أمّا الدخول، فلا سبيل إليه، وأمّا الوصيّة، فاصنع ما شئتَ، فأوصى بما أراد، وأعتق مماليكه.

وأتتْني رسل الرشيد تستحثُّني، فمضيتُ به إليه، فأعلمتُه وهو في فراشه، فقال: ائتني برأسه، فأتيتُ جعفراً، فأخبرتُه، فقال: اللَّهَ اللَّهَ! والله ما أمرك بما أمرك به إلّا وهو سكران، فدافعْ حتى أُصبح، أو راجعْه فيَّ ثانيةً. فعدتُ لأراجعه، فلمّا سمع حِسّي، قال: يا ماصّ بَظْر أمه، ائتني برأسه!

فرجعتُ إليه فأخبرتُه، فقال: آمِرْهُ، فرجعتُ، فحذفني بعمود كان في يده، وقال: نُفيتُ من المهديّ، إن لم تأتِني برأسه، لأقتلنَّك! قال: فخرجتُ فقتلتُه

وحملتُ رأسه إليه، وأمر بتوجيه مَن أحاط بيحيَى وولده وجميع أسبابه، وحوّل الفضلَ بن يحيَى ليلاً، فحُبس في بعض منازل الرشيد وحُبس يحيَى في منزله، وأُخذ ما وُجد لهم من مال، وضياع ومتاع، وغير ذلك، وأرسل من ليلته إلى سائر البلاد في قبض أموالهم، ووكلائهم، ورقيقهم وأسبابهم وكلّ مالهم.

فلمّا أصبح، أرسل جيفة جعفر إلى بغداذ، وأمر أن ينصب رأسه على جسر، ويُقْطع بدنه قطعتَين، تُنصب كلّ قطعة على جسر، ولم يعرض الرشيد لمحمّد بن خالد بن برمك وولده وأسبابه، لأنّه علم براءته ممّا دخل فيه أهله، وقيل: كان يسعى بهم؛ ثمّ حبَس يحيَى وبنيه الفضل ومحمّداً وموسى مَحبساً سهلاً، ولم يفرِّق بينهم وبين عدّة من خدمهم، ولا ما يحتاجون إليه من جارية وغيرها.

ولم تزل حالهم سهلة حتى قبض الرشيد على عبد الملك بن صالح، فعمَّهم بسخطه، وجدَّد له ولهم التهمة عند الرشيد، فضيَّق عليهم.

ولمّا قُتل جعفر بن يحيَى قيل لأبيه: قتل الرشيدُ ابنك! قال: كذلك يُقتل ابنه؛ قيل: وقد أخرب ديارك؛ قال: كذلك تخرب دياره؛ فلمّا بلغ ذلك الرشيد قال: قد خفتُ أن يكون ما قاله، لأنّه ما قال شيئاً إلاّ ورأيتُ تأويله.

وكان قتلُ جعفر ليلة السبت مستهلّ صفر. وكان عمره سبعاً وثلاثين سنة، وكانت الوزارة إليهم سبع عشرة سنة.

(راجع الكامل لابن الأثير ٦ : ١٧٥)

* * *

جماعة سكين يصلبون أحياء

روى ابن الأثير، قال:

في السنة ٤٣٤، ظهر بمصر إنسان اسمه سكين، ادَّعى أنه الحاكم الفاطمي، واتَّبعه جماعة ممَّن يعتقد رجعة الحاكم، وقصدوا دار الخلافة لاحتلالها، فقتل من أصحاب سكين جماعة وأسر الباقون وصُلبوا أحياء، ورماهم الجند بالنشّاب حتى ماتوا.

* * *

جماعة من ملوك الشام صلبهم يوشع

لمّا توفي موسى بعث الله يوشع بن نون بن إفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، عليه السلام، نبيّاً إلى إسرائيل وأمره بالسير إلى أريحا مدينة الجبّارين. فلمّا بلغها، اجتمع الجبّارون إلى بلعم بن باعور، وهو من ولد لوط، فقالوا له: إنّ يوشع قد جاء ليقتلنا، ويُخرجنا من ديارنا فادعُ الله عليهم.

وكان بلعم يعرف اسم الله الأعظم، فقال لهم: كيف أدعو على نبيٍّ الله والمؤمنين ومعهم الملائكة! فراجعوه، في ذلك وهو يمتنع عليهم، فأتوا امرأته وأهدوا لها هديّة، فقبلتْها، وطلبوا إليها أن تحسِّن لزوجها أن يدعو على بني إسرائيل، فقالت له في ذلك، فامتنع، فلم تزل به حتى قال: أستخير الله. فاستخار الله تعالى، فنهاه في المنام، فأخبرها بذلك، فقالت: راجع ربّك. فعاود الاستخارة، فلم يُرد إليه جواب. فقالت: لو أراد ربّك لنهاك، ولم تزل تخدعه حتى أجابهم، فركب حماراً له متوجهاً إلى جبلٍ مشرف على بني إسرائيل ليقف عليه ويدعو عليهم، فما سار عليه إلّا قليلاً حتى ربض الحمار، فنزل عنه وضربه حتى قام، فركبه، فسار به قليلاً فبرك، فعل ذلك ثلاث مرّات، فلمّا اشتدَّ ضرْبه في الثالثة أنطقه اللَّهُ، فقال له: ويحك يا بلعم، أين تذهب؟ أما ترى الملائكة تردّني؟ فلم يرجع، فأطلق اللَّهُ الحمارَ حينئذٍ، فسار عليه حتى أشرف على بني إسرائيل، فكان كلّما أراد أن يدعو عليهم ينصرف لسانه إلى الدعاء لهم، وإذا أراد أن يدعو لقومه انقلب دعاؤه عليهم، فقالوا له في ذلك: فقال: هذا شيء غلبنا اللَّهُ عليه، واندلع لسانُه، فوقع على صدره، فقال: الآن، قد ذهبت منّي الدنيا والآخرة ولم يبقَ غير المكر والحيلة. وأمرهم أن يزيِّنوا نساءهم ويعطوهنَّ السلع للبيع، ويرسلوهنَّ إلى العسكر، ولا تمنع امرأة نفسها ممَّن يريدها. وقال: إن زنَى منهم رجل واحد كُفيتموهم. ففعلوا ذلك، ودخل النساء عسكر بني إسرائيل، فأخذ زمرى بن شلوم، وهو رأس سبط شمعون بن يعقوب، امرأة وأتَى بها يوشع، فقال له: أظنّك تقول هذا حرام، فوالله لا نطيعك، ثمَّ أدخلها خيمته، فوقع عليها، فأنزل الله عليهم الطاعون، وكان فنحاص بن العزار بن هارون غائباً، فلمّا جاء رأى

الطاعون، قد استقرَّ في بني إسرائيل، وأُخبر الخبر، وكان ذا قوّة وبطش، فقصد زمرى، فرآه وهو مضاجع المرأة، فطعنهما بحربة في يده، فانتظمهما، ورُفع الطاعون، وقد هلك في تلك الساعة عشرون ألفاً، وقيل: سبعون ألفاً، فأنزل الله في بلعم: ﴿وَاتلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الّذي آتَيْنَاهُ آياتِنَا، فانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ﴾.

ثمّ إنّ يوشع قدم إلى أريحا في بني إسرائيل، فدخلها، وقتل بها الجبّارين، وبقيت منهم بقيّة، وقد قاربت الشمس الغروب، فخشي أن يدركهم الليل فيعجزوه، فدعا الله تعالى أن يحبس عليهم الشمس، ففعل وحبسها وزاد في النهار ساعة، فهزم الجبّارين، وجمع غنائمهم ليأخذها القربان، فلم تأتِ النّار، فقال يوشع: فيكم غلول فبايعوني، فبايعوه، فلصقت يده في يد مَنْ غلَّ، فأتاه برأس ثور من ذهب مكلَّل بالياقوت، فجعله في القربان، وجعل الرجل معه، فجاءت النار فأكلتهما.

وقيل بل حصرها ستّة أشهر، فلمّا كان السابع تقدَّموا إلى المدينة وصاحوا صيحة واحدة، فسقط السور، فدخلوها وهزموا الجبّارين وقتلوا فيهم، فأكثروا ثمّ اجتمع جماعة من ملوك الشام وقصدوا يوشع، فقاتلهم وهزمهم وهرب الملوك إلى غار، فأمر بهم يوشع بن نون فقُتلوا وصُلبوا. ثمّ ملك الشام جميعه، فصار لبني إسرائيل وفرّق عمّاله فيه. ثم توفّاه الله، فاستخلف على بني إسائيل كالب بن يوفنّا، وكان عمر يوشع مائة وستّاً وعشرين سنة، وكان قيامه بالأمر بعد موسى سبعاً وعشرين سنة.

وأمّا مَنْ بقي من الجبّارين، فإنّ أفريقش بن قيس بن صيفي بن سبأ بن كعب بن زيد بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، مرَّ بهم متوجهاً إلى أفريقية، فاحتملهم من سواحل الشام، فقدم بهم أفريقية، فافتتحها وقتل ملكها جرجير وأسكنهم إيّاها، فهم البرابرة، وأقام حمير في البربر صنهاجة وكتامة، فهم فيهم إلى اليوم.

(راجع ابن الأثير ١ : ٢٠٠)

* * *

صلب الحاج بدور الخيمي

من عجائب جلال الدين، والي حلب، في السنة ١٢٢٧، أنه بلغه ذات يوم إشاعة سرت في حلب بأنه قد عزل من منصبه، فأمر أعوانه بالقبض على من أشاعها، فقبض أعوانه على واحد واتّهموه بأنه هو الذي اخترع هذه الإشاعة، فأنكر، وحلف لهم، فلم يصدِّقوه، فادَّعى أنه سمعها من شخص آخر، فتركوه وقبضوا على ذلك الشخص، فأنكر، وحلف لهم، فلم يصدقوه، فعزا ذلك إلى شخص آخر، فتركوه وقبضوا على ذلك الشخص، وهكذا إلى أن قبضوا على شخص اسمه الحاج بدور الخيمي، فأنكر، ولم يعزُ ذلك إلى أحد.

فجيء به إلى السوق، ونصبوا له خشبات الصلب، واستنطقوه، وهو يحلف لهم بالأيمان المغلَّظة أنه لم يقل ذلك، ولا علم له بما قيل وبمن قال، فلم يجده ذلك نفعاً، وصلبوه بمحضر من الناس.

* * *

صلب الحسن بن أسد

جاء في معجم الأدباء ٣ : ٤٧ :

عصى الشاعر أبو نصر، الحسن بن أسد بميّا فارقين، على ابن مروان الكردي، ففتح ابن مروان المدينة، وأسر نصر، ثم عفا عنه بتوسط الغسّاني، ثم عاد في عفوه، فصلبه في السنة ٤٨٧ .

* * *

حسن علي يصلب على أبواب همذان

جاء في «تاريخ الغياثي»، أنه في السنة ٨٧٢، قتل جهان شاه بن قرايوسف، وخلفه ولده حسن علي، فظلم الناس وأساء التصرّف وقبض على زوجة أبيه، فعلّقها من ثدييها حتى ماتت، فقصده حسن بيك واشتبك معه في معركة فانفلّ جيش حسن علي وفرَّ إلى باكو، ثم عثر عليه في جبال الوند بهمذان، واعتقله أصحاب حسن بيك، وأحسَّ بما ينتظره، فانتحر بأن ذبح نفسه بموسى، وعندئذٍ

قطعوا رأسه وقطعوا ذكره وحطّوه في فمه، وجاؤوا برأسه إلى حسن بيك، وقطعوا جسده أربع قطع وصلبوها على أبواب همذان، على كل باب قطعة.

* * *

صلب الحلّاج

في سنة إحدى وثلاثمائة، أُحضر بدار عيسى رجل يُعرف بالحلّاج، ويكنّى أبا محمّد، وكان مشعبذاً في قول بعضهم، وصاحب حقيقة في قول بعضهم، ومعه صاحب له، فقيل: إنّه يدَّعي الربوبيّة، وصُلب هو وصاحبه ثلاثة أيام، كلّ يوم من بُكرة إلى انتصاف النهار، ثمّ يؤمَرُ بهما إلى الحبس.

* * *

صلب الحسين بن منصور الحلّاج

في سنة تسع وثلاثمائة قُتل الحسين بن منصور الحلّاج الصوفيُّ وأُحرق، وكان ابتداء حاله أنّه كان يُظهر الزهد والتصوّف ويُظهر الكرامات، ويخرج للناس فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، ويمدّ يده إلى الهواء فيعيدها مملوءة دراهم عليها مكتوب: قل هو الله أحد، ويسمّيها دراهم القدرة، ويخبر الناس بما أكلوه، وما صنعوه في بيوتهم، ويتكلّم بما في ضمائرهم، فافتتن به خلق كثير واعتقدوا فيه الحلول، وبالجملة، فإن الناس اختلفوا فيه اختلافهم في المسيح، عليه السلام، فَمِنْ قائل: إنّه حلَّ فيه جزء إلْهيّ، ويدَّعي فيه الربوبيّة، ومِن قائل: إنّه وليّ الله تعالى، وإن الذي يظهر منه من جملة كرامات الصالحين، ومِن قائل: إنّه مشعبذ، ومَمخرق، وساحر كذّاب، ومتكهِّن، والجنّ تطيعه، فتأتيه بالفاكهة في غير أوانها.

وكان قدم من خُراسان إلى العراق، وسار إلى مكّة، فأقام بها سنة في الحجر لا يستظلّ تحت سقف شتاءً ولا صيفاً، وكان يصوم الدهر، فإذا جاء العشاء أحضر له القوم كوز ماء، وقرصاً، فيشربه، ويعضّ من القرص ثلاث عضّات من جوانبه، فيأكلها ويترك الباقي فيأخذونه، ولا يأكل شيئاً آخر إلى الغد، آخر النهار.

وكان شيخ الصوفيّة يومئذٍ بمكة عبد الله المغربيّ، فأخذ أصحابه ومشى إلى زيارة الحلاّج، فلم يجده في الحجر، وقيل له: قد صعد إلى جبل أبي قُبَيس؛ فصعد إليه، فرآه على صخرة حافياً، مكشوف الرأس، والعرق يجري منه إلى الأرض، فأخذ أصحابه وعاد ولم يكلِّمه، فقال: هذا يتصبَّر ويتقوّى على قضاء الله، سوف يبتليه الله بما يعجز عنه صبره وقدرته؛ وعاد الحسين إلى بغداذ.

وأما سبب قتله، فإنّه نُقل عنه عند عودته إلى بغداذ إلى الوزير حامد بن العبّاس، أنّه أحيا جماعة، وأنّه يحيي الموتى، وأنّ الجن يخدمونه، وأنّهم يُحضرون عنده ما يشتهي، وأنه قدَّموه على جماعة من حواشي الخليفة، وأنّ نصراً الحاجب قد مال إليه وغيره، فالتمس حامد الوزير من المقتدر بالله أن يسلِّم إليه الحلاّج وأصحابه، فدفع عنه نصر الحاجب، فألحَّ الوزير، فأمر المقتدر بتسليمه إليه، فأخذه وأُخذ معه إنسان يُعرف بالشمريّ، وغيره، قيل: إنّهم يعتقدون أنّه إلهٌ، فقرَّرهم، فاعترفوا أنَّهم قد صحَّ عندهم أنّه إلهٌ، وأنّه يحيي الموتى، وقابلوا الحلاّج على ذلك، فأنكره، وقال: أعوذ بالله أن أدَّعي الربوبيّة أو النُّبوَّة، وإنَّما أنا رجل أعبد الله، عزَّ وجلَّ! فأحضر حامد القاضي أبا عمرو والقاضي أبا جعفر بن البهلول، وجماعة من وجوه الفقهاء والشهود، فاستفتاهم، فقالوا: لا يفتي بأمره بشيء، إلاّ أن يصحَّ عندنا ما يوجب قتله، ولا يجوز قبول قول مَن يدَّعي عليه ما ادعاه إلاّ ببيِّنة أو إقرار.

وكان حامد يخرج الحلاّج إلى مجلسه، ويستنطقه، فلا يظهر منه ما تكرهه الشريعة المطهرة.

وطال الأمر على ذلك، وحامد الوزير مجدٌّ في أمره، وجرى له معه قصص يطول شرحها، وفي آخرها أن الوزير رأى له كتاباً، حكى فيه أنّ الإنسان إذا أراد الحجّ، ولم يمكنه، أفرد من داره بيتاً لا يلحقه شيء من النجاسات، ولا يدخله أحد، فإذا حضرت أيّام الحجّ طاف حوله، وفعل ما يفعله الحاج بمكّة، ثمّ يجمع ثلاثين يتيماً، ويعمل أجود طعام يمكنه، ويطعمُهُم في ذلك البيت، ويَخدمُهم

بنفسه، فإذا فرغوا كساهم، وأعطى كلّ واحد منهم سبعة دراهم، فإذا فعل ذلك كان كمَنْ حجّ.

فلمّا قُرِىء هذا على الوزير، قال القاضي أبو عمرو للحلّاج: من أين لك هذا؟ قال: من كتاب الإخلاص للحسن البصريّ؛ قال له القاضي: كذبتَ يا حلالَ الدم! قد سمعناه في مكّة وليس فيه هذا؛ فلمّا قال له: يا حلالَ الدمِ، وسمعها الوزير، قال له: اكتب بهذا، فدافعه أبو عمرو، فألزمه حامد، فكتب بإباحته، دمه، وكتب بعده من حضر المجلس.

ولمّا سمع الحلّاج ذلك قال: ما يحلّ لكم دمي واعتقادي الإسلام ومذهبي السُّنّة، ولي فيها كتب موجودة، فالله الله في دمي! وتفرّق النّاس.

وكتب الوزير إلى الخليفة يستأذنه في قتله، وأرسل الفتاوي إليه، فأذن في قتله، فسلّمه الوزير إلى صاحب الشُّرطة، فضربه ألف سوط، فما تأوّه، ثم قطع يده، ثمّ رجله، ثمّ يده، ثمّ رجله، ثمّ قُتل وأُحرق بالنار، فلمّا صار رماداً أُلقي في دجلة، ونُصب الرأس ببغداذ، وأُرسل إلى خُراسان، لأنّه كان له بها أصحاب، فأقبل بعض أصحابه يقولون: إنّه لم يُقتل، وإنّما أُلقي شبهه على دابّة، وإنّه يجيء بعد أربعين يوماً؛ وبعضهم يقول: لقيتُه على حمار بطريق النّهروان، وإنّه قال لهم: لا تكونوا مثل هؤلاء البقر الذين يظنّون أنّي ضُربتُ وقُتلتُ.

(ابن الأثير ٨: ١٢٦، و ٨: ٧٦)

* * *

صلب حياة بن الوليد

في سنة سبع وأربعين ومائة، أغزى عبدُ الرحمن الأمويّ صاحبُ الأندلس مولاه بَدراً، وتمام بن علقمة طُلَيْطُلة، وبها هاشم بن عُذْرة، وضيّقا عليه، ثمّ أسراه هو وحياة بن الوليد اليحصبيّ، وعثمان بن حمزة بن عبيد الله بن عمر الخطّاب، وأتيا بهم إلى عبد الرحمن في جباب صوف، وقد حُلقت رؤوسهم ولحاهم وقد أُركبوا الحمير وهم في السلاسل، ثمّ صلبوا بقُرْطُبة.

* * *

صلب الحسن بن حرب الكندي

في سنة ثمان وأربعين ومائة، بلغ المنصورَ خروجُ محمّد بن الأشعثْ من أفريقية، فبعث إلى الأغلب بن سالم بن عِقال بن خفاجة التميميّ عهداً بولاية أفريقية. وكان هذا الأغلب ممَّن قام مع أبي مسلم الخراسانيّ وقدم أفريقية مع محمّد بن الأشعث؛ فلمّا أتاه العهدُ قدم القيروان، في جمادى الآخرة سنة ثمانٍ وأربعين ومائة وأخرج جماعةً من قوّاد المُضَريّة وسكن الناس.

وخرج عليه أبو قُرّة في جمعٍ كثيرٍ من البربر، فسار إليه الأغلبُ، فهرب أبو قُرّة من غير قتال، فلم يبقَ معه إلاّ نفر يسير.

وكان الحسن بن حرب الكنديّ بمدينة تُونس، وكاتب الجندَ ودعاهم إلى نفسه، فأجابوه، فسار حتّى دخل القيروان من غير مانع.

وبلغ الأغلبَ الخبرُ، فعاد مجدّاً، فقال له بعض أصحابه: ليس من الرأي أن تعدل إلى لقاء العدوّ في هذه العدّة القليلة، ولكن الرأي أن تعدل إلى قابس، فإنّ أكثر مَنْ معه يجيء إليك، لأنّهم إنّما كرهوا المسيرَ إلى طَنْجةَ لا غير وتقوى بهم وتقاتل عدوّك. ففعل ذلك وكثر جمعُه وسار إلى الحسن بن حرب، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم الحسنُ وقُتل من أصحابه جمع كثير، ومضى الجسن إلى تونس في جمادى الآخرة سنة خمسين ومائة، ودخل الأغلبُ إلى القيروان.

وحشد الحسنُ وجمع فصار، في عدّة عظيمة، فقصدَ الأغلبَ، فخرج إليه الأغلبُ من القيروان، فالتقوا واقتتلوا، فأصاب الأغلبَ سهمٌ فقتله، وثبت أصحابُه، فتقدَّم عليهم المخارقُ بن غفّار، فحمل المخارقُ على الحسن، وكان في ميمنة الأغلب، فهزمه، فمضى منهزماً إلى تونس في شعبان سنة خمسين ومائة ووليَ المخارقُ إفريقية في رمضان، ووجّه الخيلَ في طلب الحسن، فهرب الحسنُ من تونس إلى كناية، فأقام شهرَيْن، ثمّ رجع إلى تونس، فخرج إليه مَنْ بها من الجند فقتلوه.

وقد قيل: إنّ الحسن قُتل بعد قتل الأغلب، لأنّ أصحاب الأغلب ثبتوا بعد

قتله في المعركة، فقُتل الحسن بن حرب أيضاً وولّى أصحابُه منهزمين، وصُلب الحسن، ودُفن الأغلب وسُمِّي الشهيد، وكانت هذه الوقعة في شعبان سنة خمسين ومائة.

(ابن الأثير٥: ٥٨٣)

* * *

صلب خُبَيب بن عدي

في السنة الرابعة من الهجرة كانت غزوة الرجيع.

وكان سببها أنّ رهطاً من عَضَل والقارة قدموا على النبيّ ﷺ، فقالوا: إنّ فينا إسلاماً، فابعثْ لنا نفراً يفقّهوننا في الدين ويُقرئوننا القرآن. فبعث معهم ستّة نفر وأقرّ عليهم عاصم بن ثابت، وقيل مَرْثد بن أبي مَرثدْ، فلمّا كانوا بالهَدْأة غدروا واستصرخوا عليهم حيّاً من هُذيل يقال لهم بنو الحيان، فبعثوا لهم مائة رجل، فالتجأ المسلمون إلى جبل فاستنزلوهم وأعطوهم العهد، فقال عاصم: والله لا أنزل على عهد كافر، اللهمّ خبِّر نبيّك عنّا! وقاتلهم هو ومرثد وخالد بن البُكَير، ونزل إليهم ابن الدَّثِنة وخُبَيب بن عديّ ورجل آخر فأوثقوهم، فقال الرجل الثالث: هذا أوّل الغدر، والله لا أتبعكم! فقتلوه وانطلقوا بخبيب وابن الدَّثنة فباعوهما بمكّة، فأخذ خُبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث بأُحُد، فأخذوه ليقتلوه بالحارث، فبينما خبيب عند بنات الحارث استعار من بعضهنّ موسىً يَستعدُّ بها للقتل، فدبَّ صبيّ لها فجلس على فخذ خبيب والموسى في يده، فصاحت المرأة، فقال خبيب: أتخشين أن أقتله؟ إنّ الغدر ليس من شأننا. فكانت المرأة تقول: ما رأيتُ أسيراً خيراً من خُبيب، لقد رأيتُه وما بمكّة ثمَرَة، وإنّ في يده لَقِطْفاً من عنب يأكله ما كان إلّا رزقاً رزقه الله خُبيباً.

فلمّا خرجوا من الحرم بخبيب ليقتلوه قال: ردّوني أُصَلِّ ركعَتَيْن، فتركوه، فصلّاهما، فجرتْ سُنَّة لمن قُتل صبراً، ثمّ قال خُبيب: لولا أن تقولوا جزع لزِدتُ، وقال أبياتاً، منها:

ولستُ أُبالي حينَ أُقْتَلُ مُسلماً ... على أيّ شيءٍ كان في اللّهِ مصرَعي
وذلك في ذات الإلهِ وإنْ يَشأْ ... يُبارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ ممزَّعِ

اللهمّ أحصهم عدداً، واقتلهم بددا! ثم صلبوه.

* * *

صلب خارجيّ

في سنة ثمانٍ وأربعين ومائتين، حكم محمَّد بن عمرو أيّام المنتصر. وخرج بناحيةِ الموصل خارجيٌّ، فوجَّه إليه المنتصر إسحاق بن ثابت الفرغانيَّ، فأسره مع عدّة من أصحابه، فقُتلوا وصُلبوا.

(ابن الأثير ٧: ١٢٠، و٧: ١٦٧)

* * *

صلب خلف بن حسين

في سنة إحدى وستين وثلاثمائة، سار المعزّ لدين الله العلويّ من أفريقية يريد الديار المصريّة. وكان أوَّل رحيله من المنصوريّة، فأقام بسَردانية، وهي قرية قريبة من القيروان، ولحقه بها رجاله وعُمّاله، وأهل بيته، وجميع ما كان له في قصره من أموال وأمتعة وغير ذلك، حتى إن الدنانير سُبكت وجُعلت كهيئة الطواحين وحُمل كلّ طاحونتَيْن على جمل.

وسار عنها واستعمل على بلاد إفريقية يوسف بلكّين بن زيري بن مناد الصنهاجيّ الحميريّ، وجعل على طرابلس عبد الله بن يخلف الكتاميّ، وكان أثيراً عنده، وجعل على جباية أموال أفريقية زيادة الله بن القُديم، وعلى الخراج عبد الجبّار الخراسانيّ، وحسين بن خلف الموصديّ، وأمرهم بالانقياد ليوسف بن زيري.

ثمّ سار المعزّ حتى وصل إلى الإسكندرية أواخر شعبان من السنة. وأتاه أهل مصر وأعيانها، فلقيهم، وأكرمهم، وأحسن إليهم، وسار فدخل القاهرة خامس شهر رمضان سنة اثنتين وستّين وثلاثمائة، وأنزل عساكره مصر والقاهرة في الديار، وبقي كثيرٌ منهم في الخيام.

وأمّا يوسف بلكّين، فإنّه لمّا عاد من وداع المعزّ أقام بالمنصوريّة يعقد الولايات للعمّال على البلاد، ثمّ سار في البلاد، وباشر الأعمال، وطيّب قلوب الناس، فوثب أهل باغاية على عامله، فقاتلوه وهزموه، فسيَّر إليهم يوسف جيشاً فقاتلهم، فلم يقدر عليهم، فأرسل إلى يوسف يعرّفه الحال، فتأهب يوسف، وجمع العساكر ليسير إليهم . . .

ثمّ إن زيادة الله بن القُديم جرى بينه وبين عامل آخر كان معه، اسمه عبد الله بن محمّد الكاتب، منافسة صارت إلى محاربة، واجتمع مع كلّ واحد منهما جماعة، وكان بينهما حروب عدّة دفعات، وكان يوسف بلكّين مائلاً مع عبد الله لصُحبة قديمة بينهما، ثمّ إنّ أبا عبد الله قبض على ابن القُديم وسجنه واستبدّ بالأمور بعده، وبقي ابن القُديم محبوساً حتّى توفي المُعزّ بمصر، وقوي أمر يوسف بلكّين.

وفي سنة أربع وستّين وثلاثمائة، طلع خلف بن حسين إلى قلعة منيعة، فاجتمع إليه خلق كثير من البربر وغيرهم، وكان من أصحاب ابن القُديم المساعدين له، فسمع يوسف بذلك، فسار إليه ونازل القلعة وحاربه، فقُتل بينهما عدّة قتلى، وافتتحها، وهرب خلف بن حسين، وقُتل ممَّن كان بها خلق كثير، وبعث إلى القيروان من رؤوسهم سبعة آلاف رأس، ثمّ أُخذ خلف وأمر به، فطيف به على جمل، ثمّ صُلب، وسيِّر رأسه إلى مصر، فلمّا سمع أهل باغاية بذلك خافوا، فصالحوا يوسف ونزلوا على حكمه، فأخرجهم من باغاية وخرَّب سورها.

(ابن الأثير ٨: ٦٢٠)

* * *

صلب دعاة بني العباس

روى الطبري، قال:

في السنة ١٠٧، قبض أسد بن عبد الله القسري، أمير خراسان، على جماعة من دعاة بني العباس، فقطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم.

(الطبري ٧: ٤٠)

* * *

تعليق الدمشقيين وعرب هوارة وابن الفرات

جاء في النجوم الزاهرة ١٢ : ٢٤٤، أنه كان من جملة ما عذَّب به تيمورلنك الدمشقيين سنة ٨٠٣، التعليق من إبهام اليدين بحبل مشدود إلى السقف، فإذا رفع المعذَّب عن الأرض، أشعلت النار تحته، فإذا سقط في النار نحّي عنها وترك على الأرض حتى يفيق ليعاود تعذيبه.

وجاء في الضوء اللّامع ١ : ٢٤٤ :

أنه في السنة ٨٨٣، أحضر الدوادار الكبير جماعة من أهل عرب هوارة، فيهم الأمير أحمد بن إسماعيل الهواري، فعلّقوا بباب زويلة وهم أحياء إلى أن ماتوا.

وممّن عذِّب بالتعليق، أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات، لما اعتقل في أيام المعتمد، إذ علِّق بحبال في يديه، بقيت آثارها فيها مدّة حياته.

(راجع كتاب الوزراء للصابي، ص ١٢)

* * *

صلب ديوشتى دهقان سمرقند وسبغرى

يقال: إنّ ديوشتى دهقان سمرقند، واسمه ديوأشنج، فأعربوه، وقيل: كان على أقباض خُجَندة عِلْباء بن أحمر اليشكريّ، فاشترى رجل منهم جُونة بدرهمَيْن، فوجد فيها سبائك ذهب، فرجع وقد وضع يده على وجهه كأنّه رمد، فردَّ الجونة وأخذ الدرهمَيْن، فطُلب فلم يُعرف.

وسرَّح الحَرَشيُّ سليمانَ بن أبي السّريّ إلى حصن يطيف به وادي الصُّغْد إلّا من وجه واحد ومعه خُوارزم مشاه وصاحب آخرون وشُومان، فسيَّر سليمان على مقدِّمته المسيَّبَ بن بِشْر الرياحيّ، فتلقّوه على فرسخ، فهزمهم حتّى ردَّهم إلى حصنهم، فحصرهم، فطلب الديوشتى أن ينزل على حكم الحرشيّ، فسيَّره فأكرمه، وطلب أهل القلعة الصلح، على أن لا يتعرَّض لنسائهم وذراريهم ويُسْلمون القلعة، فبعث سليمان إلى الحرشيّ ليبعث الأمناء لقبض ما في القلعة، فبعث مَنْ قبضه وباعوه وقسموه.

وسار الحرشيّ إلى كِشٍّ وصالحوه على عشرة آلاف رأس. وسار إلى زرنج، فوافاه كتاب ابن هبيرة بإطلاق ديوشتى، فقتله وصلبه وولىّ نصر بن سَيّار قبض صلح كِشّ، واستعمل سليمانَ بن أبـي السريّ على كِشّ ونَسَف حربها وخراجها. وكانت خزائن منيعة، فقال المجشَّر للحرشيّ: ألا أدلُّك على مَنْ يفتحها لك بغير قتال؟ قال: بلى. قال: المُسَرْبَلِ بن الخِرّيت بن راشد الناجيّ، فوجَّهه إليها، وكان صديقاً لملكها، واسم الملك سُبُغْرى، فأخبر الملكَ بما صنع الحرشيّ بأهل خُجَندة وخوَّفه، قال: فما ترى؟ قال: أن تنزل بأمان. قال: فما أصنع بمَنْ لحق بـي؟ قال: تجعلهم في أمانك؛ فصالحهم فآمنوه وبلاده ورجع الحرشيّ إلى بلاده ومعه سُبُغْرى، فقُتل سُبُغْرى وصلب ومعه الأمان.

(ابن الأثير ٥ : ١٠٩)

* * *

ربيع يصلب في وقعة بالس

في سنة سبع ومائتين، وقع عبد الرحمن بن الحكَم، صاحب الأندلس، بجند البَصرة وأهلها، وهي الوقعة المعروفة بوقعة بالس.

وكان سببها أن الحكَم كان قد بلَغه عن عامل اسمه ربيع، أنّه ظلم الأبناءَ أهل الذمّة، فقبض عليه، وصلبه قبل وفاته، فلمّا توفّي ووليَ ابنه عبد الرحمن سمع النّاس بصلب ربيع، فأقبلوا إلى قُرْطبة من النواحي يطلبون الأموال التي كان ظلمهم بها، ظنّاً منهم أنّها تُردُّ إليهم، وكان أهل إلبِيرة أكثرهم طلباً وإلحاحاً فيه، وتألّبوا، فبعث إليهم عبد الرحمن مَنْ يفرِّقهم ويسكِّتهم، فلم يقبلوا، ودفعوا مَنْ أتاهم، فخرج إليهم جمع من الجند، وأصحاب عبد الرحمن، فقاتلوهم، فانهزم جند إلبِيرة ومَنْ معهم، وقُتلوا قتلاً ذريعاً، ونجا الباقون منهزمين، ثمّ طُلبوا بعد ذلك، فقتلوا كثيراً منهم.

(ابن الأثير ٦ : ٣٨٣)

* * *

صلب رشيد الهجري

جاء في شرح نهج البلاغة ٢ : ٢٩٤ ما يلي :

جيء برشيد الهجري، من أصحاب الإمام علي، إلى زياد بن أبيه، فأمر به، فقطعت يداه ورجلاه، ثم قطع لسانه، ثم صلب في عنقه.

* * *

صلب رؤساء قرطبة

في سنة ثمان وتسعين ومائة كانت بقُرطُبة الوقعة المعروفة بالرَّبَض؛ وسببها أنَّ الحكَمَ ابن هشام الأمويّ، صاحبها، كان كثير التشاغل باللّهو، والصيد، والشرب، وغير ذلك ممّا يجانسه؛ وكان قد قتل جماعة من أعيان قُرطُبة، فكرهه أهلها، وصاروا يتعرّضون لجنده بالأذى والسبّ، إلى أن بلغ الأمر بالغوغاء أنَّهم كانوا ينادون عند انقضاء الأذان: الصلاة يا مخمور، الصلاة؛ وشافهه بعضهم بالقول وصفّقوا عليه بالأكفّ؛ فشرع في تحصين قُرطُبة وعمارة أسوارها، وحفر خنادقها، وارتبط الخيل على بابه، واستكثر المماليك، ورتّب جمعاً لا يفارقون باب قصره بالسلاح، فزاد ذلك في حقد أهل قُرطُبة، وتيقَّنوا أنَّه يفعل ذلك للانتقام منهم.

ثم وضع عليهم عشر الأطعمة، كلّ سنة، من غير حرص، فكرهوا ذلك، ثمَّ عمد إلى عشرة من رؤساء سفهائهم فقتلهم، وصلبهم، فهاج لذلك أهل الرّبَض، وانضاف إلى ذلك أنَّ مملوكاً له سلّم سيفاً إلى صَيقَل، ليصقله، فمطله، فأخذ المملوك السيف، فلم يزل يضرب الصيقل به إلى أن قتله، وذلك في رمضان من هذه السنة.

فكان أوَّل مَنْ شهر السلاح أهل الربض، واجتمع أهل الأرباض جميعهم بالسلاح، واجتمع الجند والأمويّون والعبيد بالقصر، وفرّق الحكَم الخيل والأسلحة، وجعل أصحابه كتائبَ، ووقع القتال بين الطائفتين، فغلبهم أهل الرَّبض، وأحاطوا بقصره، فنزل الحكَم من أعلى القصر، ولبس سلاحه، وركب وحرَّض النّاس، فقاتلوا بين يديه قتالاً شديداً.

ثمَّ أمر ابن عمّه عبيد الله، فثلم في السور ثلمة، وخرج منها ومعه قطعة من الجيش، وأتَى أهل الربض من وراء ظهورهم، ولم يعلموا بهم، فأضرموا النّار في الرَّبض، وانهزم أهله، وقتلوا مقتلة عظيمة، وأخرجوا مَنْ وجدوا في المنازل والدور، فأسروهم، فانتقى من الأسرى ثلاثمائة من وجوههم، قتلهم، وصلبهم منكسين، وأقام النهب والقتل والحريق والخراب في أرباض قرطبة ثلاثة أيّام.

ثم استشار الحكمُ عبدَ الكريم بن عبد الواحد بن عبد المُغيث، ولم يكن عنده مَنْ يوازيه في قربه، فأشار عليه بالصفح عنهم، والعفو، وأشار غيره بالقتل، فقبل قوله، وأمر فنودي بالأمان، على أنّه مَنْ بقي من أهل الربض بعد ثلاثة أيام قتلناه وصلبناه؛ فخرج مَنْ بقي بعد ذلك منهم مستخفياً، وتحمّلوا على الصّعب والذُّلول خارجين من حضرة قُرطُبة بنسائهم وأولادهم، وما خفّ من أموالهم، وقعد لهم الجند والفَسَقة بالمرصاد ينهبون، ومَنْ امتنع عليهم قتلوه.

فلمّا انقضت الأيام الثلاثة أمر الحَكَم بكفّ الأيدي عن حُرَم النّاس، وجمعهنّ إلى مكان، وأمر بهدم الربض القبليّ.

(ابن الأثير ٦: ٢٩٨)

* * *

صلب رؤساء نهاوند وقاضيها

جاء في الكامل، لابن الأثير، أنه في السنة ٥٦٨ أنفذ الأمير شملة التركماني، ابن أخيه، ابن سنكا لاحتلال نهاوند، فتحصّن منه أهلها وشتموه أقبح شتم، فعاد عنهم، ثم كبسهم واستولى على البلد، فقبض على القاضي والرؤساء وصلبهم، ونهب البلد وأحرقه، وأخذ الوالي فقطع أنفه وأطلقه.

* * *

صلب قوم من الزنج

في سنة خمس وسبعين اجتمع الزنج بفرات البصرة في آخر أيّام مصعب بن الزّبير، ولم يكونوا بالكثير، فأفسدوا وتناولوا الثمار، ووليَ خالد بن عبد الله بن خالد

البصرة وقد كثروا، فشكا النّاس إليه ما نالهم منهم، فجمع لهم جيشاً، فلمّا بلغهم ذلك تفرَّقوا وأخذ بعضهم فقتلهم وصلبهم.

* * *

صلب زُهَيرَ بن المسيِّب

في سنة إحدى ومائتين أراد أهل بغداد أن يبايعوا المنصور بن المهديّ بالخلافة، فامتنع عن ذلك، فأرادوه على الإمرة عليهم، على أن يدعو للمأمون بالخلافة، فأجابهم إليه.

وكان سبب ذلك أنَّ أهل بغداد أخرجوا عليّ بن هشام منها. فلمّا اتَّصل إخراجه من بغداد بالحسن بن سَهْل سار مِنَ المدائن إلى واسط، وذلك أوَّل سنة إحدى ومائتين، فلمّا هرب إلى واسط تبعه محمّد ابن أبي خالد بن الهندَوَان، مخالفاً له، وقد تولَّى القيام بأمر النّاس، وولَّى سعيد بن الحسن بن قَحْطَبة الجانب الغربيّ، ونصر بن حَمزة بن مالك الجانب الشرقيّ.

وكان ببغداد منصور بن المهديّ، والفضل بن الربيع، وخُزَيْمة بن خازم، وقدم عيسى بن محمَّد بن أبي خالد من الرِّقَّة من عند طاهر، في هذه الأيّام، فوافق أباه على قتال الحسن بن سهل، فمضيا ومَنْ معهما إلى قرية أبي فرسن قريب واسط، ولقيهما في طريقهما عساكر الحسن، في غير موضع، فهزماهم.

ولمّا انتَهى محمَّد إلى دَيْر العاقول أقام به ثلاثاً، وزُهير بن المسيّب مقيم بإسكاف بني الجُنَيْد، عاملاً لحسن على جوخى، وهو يكاتب قوّاد بغداد فركب إليه محمَّد، وأخذ كلّ ماله، وسيّره أسيراً إلى بغداد، وحبسه عند أبيه جعفر.

ثم تقدَّم محمَّد إلى واسط، ووجَّه محمَّد ابنه هارون من دير العاقول إلى النيل، وبها نائب للحسن، فهزمه هارون وتبعه إلى الكوفة.

ثمَّ سار المنهزمون من الكوفة إلى الحسن بواسط، ورجع هارون إلى أبيه وقد استولى على النيل، وسار محمَّد وهارون نحو واسط، فسار الحسن عنها، ونزل خلفها.

وكان الفضل بن الربيع مختفياً، فلمّا رأى أنَّ محمَّداً قد بلغ واسطاً طلب منه الأمان فأمَّنه، وظهر، وسار محمَّد إلى الحسن على تعبئة فوجّه إليه الحسن قوّاده وجنده، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم أصحاب محمَّد بعد العصر، وثبت محمَّد حتى جُرح جراحات شديدة، وانهزموا هزيمة قبيحة، وقُتل منهم خلق كثير، وغنموا مالهم، وذلك لسبع بقين من شهر ربيع الأوَّل.

ونزل محمَّد بفم الصلح، وأتاهم الحسن، فاقتتلوا، فلمّا جنَّهم اللَّيل رحل محمَّد وأصحابه، فنزلوا المنازل، فأتاهم الحسن، فاقتتلوا فلمّا جنَّهم اللَّيل ارتحلوا، حتى أتوا جَبُّل، فأقاموا بها، ووجَّه محمَّد ابنه عيسى إلى عُرنايا، فأقام بها، وأقام محمَّد بجَرْجَرَايا، فاشتدت جراحات محمَّد، فحمله ابنه أبو زنبيل إلى بغداد، وخلف عسكره لستّ خلون من ربيع الآخر؛ ومات مُحمَّد بن أبي خالد فدُفن في داره سرّاً.

وأتى أبو زنبيل خزيمةَ بن خازم، فأعلمه حال أبيه، وأعلم خزيمةُ ذلك النّاسَ، وقرأ عليهم كتاب عيسى بن محمَّد إليه، يبذل فيه القيام بأمر الحرب مقام أبيه، فرضوا به، وصار مكان أبيه؛ وقتل أبو زنبيل زُهَيْرَ بن المسيّب من ليلته، ذبحه ذبحاً، وعلَّق رأسه في عسكر أبيه..

(ابن الأثير ٦: ٣٢١، ٤: ٣٨٨)

* * *

أمير الأندلس
يسملْ عينيْ زياد اللخمي ويصلبه

قبض عبد الملك بن قطب الفهري، أمير الأندلس، على زياد بن عمرو اللخمي، وسمل عينيه. وسبب ذلك: أن البربر حصروا كلثوم بن عياض القشيري بسبتة، وكان معه ابن أخيه بلج وجند من أهل الشام حتى جاعوا، واستغاثوا بوالي الأندلس عبد الملك، فتقاعس عن نصرتهم لخوفه على سلطانه منهم، فأغاثهم زياد بن عمرو اللخمي بمركبين مشحونين ميرة، وبلغ ذلك عبد الملك، فأخذ زياد وضربه سبع مائة سوط، وسمل عينيه ثم ضرب عنقه وصلبه وصلب على يساره

كلباً، وعبر بلج إلى الأندلس بجيشه، وأسر عبد الملك في السنة ١٢٣ فصلبه بقرطبة، وصلب على يمينه خنزيراً وعلى يساره كلباً.

* * *

قصة صلب
زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب

أمر زيد أصحابه بالاستعداد للخروج، وأخذ مَنْ كان يريد الوفاء له بالبيعة يتجهَّز، فانطلق سليمان بن سُراقة البارقيّ إلى يوسف بن عمر فأخبره، فبعث يوسف في طلب زيد، فلم يوجد، وخاف زيد أن يؤخذ فيتعجَّل قبل الأجل الذي جعله بينه وبين أهل الكوفة، وعلى الكوفة يومئذ الحكم بن الصلت، وعلى شُرطته عمرو بن عبد الرحمن من القارة ومعه عبيد الله بن العبّاس الكنديّ في ناس من أهل الشام، ويوسف بن عمر بالحيرة، قال: فلمّا رأى أصحاب زيد بن عليّ من يوسف بن عمر أنَّه قد بلغه أمره وأنَّه يبحث عن أمره اجتمع إليه جماعة من رؤوسهم وقالوا: رحمك الله، ما قولك في أبي بكر وعمر؟ قال زيد: رحمهما الله وغفر لهما، ما سمعتُ أحداً من أهل بيتي يقول فيهما إلاَّ خيراً، وإن أشدّ ما أقول فيما ذكرتم أنَّا كنَّا أحقّ بسلطان ما ذكرتم من رسول الله ﷺ، من الناس أجمعين، فدفعونا عنه ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً، وقد وُلُّوا فعدلوا في الناس وعملوا بالكتاب والسُّنَّة. قالوا: فلم يظلمك هؤلاء إذا كان أولئك لم يظلموك، فلِمَ تدعو إلى قتالهم؟ فقال: إن هؤلاء ليسوا كأولئك، هؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم، وإنَّما ندعوكم إلى كتاب الله وسُنَّة نبيِّه ﷺ، وإلى السنن أن تُحيا وإلى البدع أن تُطفأ، فإن أجبتمونا سعدتم، وإن أبيتم فلستُ عليكم بوكيل. ففارقوه ونكثوا بيعته وقالوا: سبق الإمام، يعنون محمَّداً الباقر، وكان قد مات، وقالوا: جعفر ابنه إمامنا اليوم بعد أبيه، فسمَّاهم زيد الرافضة، وهم يزعمون أنَّ المغيرة سمَّاهم الرافضة حيث فارقوه.

وكانت طائفة أتت جعفر بن محمَّد الصادق قبل خروج زيد، فأخبروه ببيعة زيد، فقال بايعوه فهو والله أفضلنا وسيِّدنا، فعادوا وكتموا ذلك. وكان زيد واعد أصحابه أوَّل ليلة من صفر، وبلغ ذلك يوسف بن عمر، فبعث إلى الحَكَم يأمره أن

يجمع أهل الكوفة في المسجد الأعظم يحصرهم فيه، فجمعهم فيه، وطلبوا زيداً في دار معاوية بن إسحٰق بن زيد بن حارثة الأنصاري، فخرج منها ليلاً، ورفعوا الهراديَّ فيها النيران ونادوا: يا منصور أمِتْ أمِتْ، حتى طلع الفجر، فلمّا أصبحوا بعث زيد التُّبَّعيَّ ثمَّ الحضرميّ وآخر من أصحابه يناديان بشعارهما، فلمّا كانا بصحراء عبد القيس لقيهما جعفر ابن العبّاس الكنديّ فحملا عليه وعلى أصحابه، فقُتل الذي كان مع القاسم التُّبَّعيّ وارتُثَّ القاسم وأُتي به الحَكَم، فضرب عنقه، فكان أوَّل من قُتل من أصحاب زيد. وأغلق الحكم دروب السوق وأبواب المسجد على الناس.

وبعث الحكم إلى يوسف بالحيرة فأخبره، فأرسل جعفر بن العبّاس ليأتيه بالخبر، فسار في خمسين فارساً حتى بلغ جبّانة سالم، فسأل ثمَّ رجع إلى يوسف فأخبره، فسار يوسف إلى تلّ قريب من الحيرة، فنزل عليه ومعه أشراف الناس، فبعث الريّان بن سَلَمَة الأرّانيّ في ألفين ومعه ثلاثمائة من القيقانيَّة رجّاله معهم النُّشَّاب.

وأصبح زيد فكان جميع من وافاه تلك الليلة مائَتَيْ رجل وثمانية عشر رجلاً، فقال زيد: سبحان الله أين الناس؟ فقيل: إنَّهم في المسجد محصورون. فقال: والله ما هذا بعذر لِمَنْ بايعنا! وسمع نصر بن خُزَيْمة العبسيّ النداء فأقبل إليه، فلقي عمرو بن عبد الرحمن صاحب شرطة الحكم في خيله من جُهَيْنة في الطريق، فحمل عليه نصر وأصحابه فقُتل عمرو وانهزم مَنْ كان معه، وأقبل زيد في مَنْ معه وهزمهم، فانتهى زيد إلى دار أنس بن عمرو الأزديّ، فكان في مَنْ بايعه وهو في الدار، فنودي فلم يجبهم، وناداه زيد فلم يخرج إليه، فقال زيد: ما أخلفكم؟ قد فعلتموها، الله حسيبكم، ثمَّ انتهى زيد إلى الكُناسة فحمل على مَنْ بها من أهل الشام فهزمهم، ثمَّ سار زيد ويوسف ينظر إليه في مائَتَيْ رجل، فلو قصده لقتله، والريّان يتبع أثر زيد بن علي بالكوفة في أهل الشام، فأخذ زيد على مصلًّى خالد حتى دخل الكوفة، وسار بعض أصحابه نحو جبَّانة مِخْنَف بن سُلَيْم فلقوا أهل الشام فقاتلوهم، فأسر أهلُ الشام منهم رجلاً، فأمر به يوسف بن عمر فقُتل.

فلمّا رأى زيد خذلان الناس إيَّاه قال: يا نصر بن خُزَيْمة أنا أخاف أن يكونوا

قد فعلوها حسينيَّة. قال: أمَّا أنا والله لأقاتلنَّ معك حتَّى أموت، وإن الناس في المسجد فامض بنا نحوهم. فلقيهم عبيدُ الله بن العبَّاس الكنديّ عند دار عمر بن سعد، فاقتتلوا، فانهزم عبيد الله وأصحابه، وجاء زيد حتى انتهى إلى باب المسجد، فجعل أصحابه يُدخلون راياتهم من فوق الأبواب ويقولون: يا أهل المسجد اخرجوا من الذلّ إلى العزّ، اخرجوا إلى الدين والدنيا فإنَّكم لستم في دين ولا دنيا. فرماهم أهل الشام بالحجارة من فوق المسجد.

وانصرف الرّيّان عند المساء إلى الحيرة، وانصرف زيد في مَنْ معه، وخرج إليه ناس من أهل الكوفة فنزل دار الرزق، فأتاه الرّيّان بن سَلَمة فقاتله عند دار الرزق وجُرح أهل الشام ومعهم ناس كثير، ورجع أهلُ الشام مساء يوم الأربعاء أسوأ شيء ظنّاً.

فلمّا كان الغد، أرسل يوسف بن عمر العبّاسَ بن سعيد المُزَنيّ في أهل الشام فانتهى إلى زيد في دار الرزق، فلقيه زيد وعلى مجنَّبته نصر بن خُزَيْمة ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن ثابت فاقتتلوا قتالاً قتالاً شديداً، وحمل نابل بن فروة العبسيّ من أهل الشام على نصر بن خزيمة فضربه بالسيف فقطع فخذه، وضربه نصر فقتله، ولم يلبث نصر أن مات واشتدّ قتالهم، فانهزم أصحاب العبّاس وقُتل منهم نحوٌ مِنْ سبعين رجلاً.

فلمّا كان العشاء عبّأهم يوسف بن عمر ثمّ سرّحهم، فالتقوا هم وأصحاب زيد، فحمل عليهم زيد في أصحابه فكشفهم وتبعهم حتى أخرجهم إلى السَّبْخة، ثمَّ حمل عليهم بالسبخة حتى أخرجهم إلى بني سُلَيم، وجعلتْ خيلهم لا تثبت لخيله، فبعث العبّاسُ إلى يوسف يُعْلمه ذلك وقال له: ابعثْ إليَّ الناشبيَّة، فبعثهم إليه، فجعلوا يرمون أصحاب زيد، فقاتل معاوية بن إسحاق الأنصاريّ بين يَدَيْ زيد قتالاً شديداً، فقُتل وثبت زيد ابن عليّ ومَنْ معه إلى اللَّيل، فرُمي زيد بسهم فأصاب جانب جبهته اليسرى فثبت في دماغه، ورجع أصحابه ولا يظنّ أهل الشام أنَّهم رجعوا إلاَّ للمساء والليل، ونزل زيد في دار من دور أرحب، وأحضر أصحابُه طبيباً، فانتزع النصل، فضجّ زيد، فلمّا نزع النصل مات زيد، فقال أصحابه: أين ندفنه؟ قال بعضهم: نطرحه في الماء. وقال بعضهم: بل نحتزّ رأسه ونلقيه في

القتلى. فقال ابنه ـ يحيى ـ : والله لا تأكل لحم أبي الكلاب. وقال بعضهم: ندفنه في الحفرة التي يؤخذ منها الطين ونجعل عليه الماء، ففعلوا، فلمّا دفنوه أجروا عليه الماء، وقيل: دُفن بنهر يعقوب، سكّر أصحابه الماء ودفنوه وأجروا الماء، وكان معهم مولى لزيد سنديّ، وقيل رآهم فسار فدلّ عليه، وتفرّق الناسُ عنه، وسار ابنُه يحيى نحو كربلاء فنزل بِنِينوى على سابق مولى بِشر بن عبد الملك بن بِشر.

ثمَّ إنَّ يوسف بن عمر تتبّع الجرحى في الدور، فدلَّه السندي مولى زيد يومَ الجُمْعَة على زيد، فاستخرجه من قبره وقطع رأسه وسُيِّر إلى يوسف ابن عمر وهو بالحيرة، سيَّره الحكمُ بن الصَّلت، فأمر يوسف أن يُصلب زيد بالكُناسة هو ونصر بن خُزَيْمة ومعاوية وزياد النَّهْديّ، وأمر بحراستهم، وبعثَ الرأسَ إلى هشام، فصُلب على باب مدينة دمشق، ثمَّ أُرسل إلى المدينة وبقي البدن مصلوباً إلى أن مات هشام وَوُلّيَ الوليد فأمر بإنزاله وإحراقه. وقيل: كان خِراش بن حَوْشب بن يزيد الشيبانيّ على شرطة زيد، وهو الذي نبش زيداً وصلبه؛ فقال السيِّد الحمويّ:

بتُّ ليلاً مُسهَّداً ساهِرَ العينِ مُقصَدا
ولقد قلتُ قولةً وأطلتُ التبلّدا
لعنَ الله حَوْشَباً وخِراشاً ومَزْيَدا
شركوا في دم المُطَهَّـ ـرِ زيدٍ تعنُّدا
يا خِراشَ بن حَوْشَبٍ أنتَ أشقى الورَىٰ غدا

(راجع ابن الأثير ٥: ٢٤٢ وما بعدها)

* * *

السلطان الكامل يُصلب على باب الفراديس

جاء في تاريخ أبي الفدا (٣: ٢٠٣) أنه في السنة ٦٥٨ استولى التتار على ميافارقين وقتلوا ملكها السلطان الملك الكامل محمد بن المظفَّر غازي بن العادل، وقطعوا رأسه وحملوه على رمح، وطِيفَ به في البلاد، ومرّوا به على حلب وحماة،

ووصلوا به إلى دمشق فطافوا به بالمغاني والطبول ثم صلب الرأس في شبكة بسور باب الفراديس إلى أن عادت دمشق إلى المسلمين، فدفن بمشهد الحسين.

* * *

صلب سَهْم بن غالب

في سنة إحدى وأربعين خرج سَّهْم بن غالب الهُجَيْميّ على ابن عامر في سبعين رجلًا، منهم الخَطيم الباهليّ، وهو يزيد بن مالك، وإنَّما قيل له الخطيم لضربة ضُربها على وجهه، فنزلوا بين الجسرين والبصرة، فمرَّ بهم عُبادة بن فرص الليثيّ من الغزو ومعه ابنه وابن أخيه، فقال لهم الخوارج: مَنْ أنتم؟ قالوا: قوم مسلمون، قالوا: كذبتم. قال عُبادة: سبحان الله! اقبلوا منّا ما قبل رسول الله ﷺ مني، فإنِّي كذَّبتُهُ وقاتلتُهُ ثمَّ أتيتُهُ فأسلمتُ فقبل ذلك مني. قالوا: أنت كافر، وقتلوه وقتلوا ابنه وابن أخيه. فخرج إليهم ابن عامر بنفسه وقاتلهم فقتل عدَّة وانحاز بقيَّتهم إلى أجَمة وفيهم سَهْم والخَطيم، فعرض عليهم ابن عامر الأمان فقبلوه، فآمنهم، فرجعوا، فكتب إليه معاوية يأمر بقتلهم، فكتب إليه ابن عامر: إنِّي قد جعلتُ لهم ذمَّتك.

فلما أتى زياد البصرة سنة خمس وأربعين هرب سَهْم والخطيم فخرجا إلى الأهواز، فاجتمع إلى سهم جماعة فأقبل بهم إلى البصرة، فأخذ قوماً، فقالوا: نحن يهود، فخلَّاهم، وقتل سعداً مولى قُدامة بن مظعون، فلمّا وصل إلى البصرة تفرَّق عنه أصحابه، فاختفى سَهْم، وقيل إنَّهم تفرَّقوا عند استخفائه، فطلب الأمان وظنَّ أنَّه يسوغ عند زياد ما ساغ له عند ابن عامر، فلم يؤمنه زياد، وبحث عنه، فدُلَّ عليه، فأخذه وقتله وصلبه في داره.

وقيل: لم يزل مستخفياً إلى أن مات زياد فأخذه عبيد الله بن زياد فصلبه سنة أربع وخمسين، وقيل قبل ذلك؟

(ابن الأثير ٣: ٤١٧)

* * *

صلـب الشحـنـة

جاء في المنتظم (١٠: ٧٢)، في السنة ٥٣٢ قتل الشحنة ببغداد صبياً مستوراً من أهل المختارة فأمر السلطان بصلب الشحنة، فصُلب، وحطَّه العوام فقطَّعوه.

* * *

صلـب شُمَيـلـة

في سنة ثمانين ومائتين أخذ المعتضد عبد الله بن المهتدي، ومحمد بن الحسين المعروف بشُمَيلة، وكان شُمَيلة هذا مع صاحب الزنج إلى آخر أيّامه، ثمَّ لحق بالموفق في الأمان، فأمَّنه.

وكان سبب أخذه إيَّاه أنَّ بعض المستأمِنة سعى به إلى المعتضد، وأنه يدعو لرجل لا يعرف اسمه، وأنَّه قد أفسد جماعة من الجند وغيرهم، فأخذه المعتضد فقرّره، فلم يقرّ بشيء، وقال: لو كان الرجل تحت قدميَّ مارفعتهما عنه! فأمر به فشُدَّ على خشبة من خشب الخيم، ثمَّ أُوقدت نار عظيمة، وأُدير على النار حتى تقطع جلده، ثمَّ ضُربت عنقه، وصُلب عند الجسر؛ وحبس عبد الله بن المهتدي إلى أن علم براءته، وأطلقه، وكان المعتضد قال لشُمَيلة: بلغني أنَّك تدعو إلى ابن المهتدي؟ فقال: المشهور عنِّي أنَّني أتولَّى آل أبي طالب.

(ابن الأثير ٧: ٤٦١)

* * *

المهدي يصلب صالح بن عبد القدوس

ورد في معجم الأدباء، أن المهدي اتَّهم صالح بن عبد القدوس، الشاعر الحكيم بالزندقة، فضربه بالسيف بيده فشطره شطرين، وصلبه بضعة أيام للناس ثم دفن.

* * *

صلب رأس صالح بن وصيف

روى الطبري، قال:

في السنة ٢٥٦، كان صالح بن وصيف، القائد التركي المسيطر على جميع أمور الدولة، بعد أن خلع المعتزّ وقتله واستخلف المهتدي وقتل جماعة من الكتّاب، وخشي بقية القواد سطوته، فكاتبوا موسى بن بغا، فلما حضر موسى بجيشه إلى بغداد، استتر صالح، ثم عثر عليه صبيّ، فأخبر عنه، فقصده خمسة من أصحاب السلطان، وأخرجوه حافياً، مكشوف الرأس، وعليه قميص وسراويل، فحمل على برذون، والعامة تعدو خلفه حتى انتهوا إلى دار موسى بن بغا، ثم أخرجوه ليذهبوا به إلى الجوسق، فقتلوه، في الطريق واحتزّوا رأسه وحمل على قناة، وطيف به ونُودي عليه:

هذا جزاء من قتل مولاه، إشارة إلى قتله المعتزّ، ونصب بباب العامة.

* * *

صلب طَوّاف بن غلّاق

في سنة ثمان وخمسين، كان قوم من الخوارج بالبصرة يجتمعون إلى رجل اسمه جدار، فيتحدَّثون عنده ويصيبون السلطان، فأخذهم ابن زياد، فحبسهم ثمّ دعا بهم وعرض عليهم أن يقتل بعضهم بعضاً ويُخلّي سبيل القاتلين، ففعلوا، فأطلقهم، وكان ممَّن قتل طَوّاف، فعذلهم أصحابهم، وقالوا: قتلتم إخوانكم! قالوا: أُكرهنا وقد يُكرَه الرجل على الكفر وهو مطمئنّ بالإيمان.

وندم طَوّاف وأصحابُه، فقال طوّاف: أما من توبة؟ فكانوا يبكون، وعرضوا على أولياء مَنْ قُتلوا الديّة، فأبوا، وعرضوا عليهم القَوَدَ فأبوا، ولقي طَوّافٌ الهثهاثَ بن ثَوْر السدوسيّ، فقال له: أما ترى لنا من توبة؟ فقال: ما أجد لك إلاّ آية في كتاب الله، عزّ وجلّ، قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. فدعا طَوّاف أصحابه إلى الخروج وإلى أن يفتكوا بابن زياد، فبايعوه في سنة ثمان وخمسين، وكانوا سبعين

رجلاً من بني عبد القيس بالبصرة، فسعى بهم رجلٌ من أصحابهم إلى ابن زياد، فبلغ ذلك طَوّافاً فعجَّل الخروج، فخرجوا من ليلتهم، فقتلوا رجلاً ومضوا إلى الجَلْحاء، فندب ابنُ زياد الشُرَط البُخاريّة، فقاتلوهم، فانهزم الشُرَط حتى دخلوا البصرة واتبعوهم، وذلك يوم عيد الفطر، وكثرهم الناس فقاتلوا فقُتلوا، وبقي طوّاف في ستّة نفر، وعطش فرسُه، فأقحمه الماء، فرماه البُخاريّة بالنشّاب حتى قتلوه وصلبوه، ثمّ دفنه أهله.

(ابن الأثير ٣: ٥١٦)

* * *

عبد الرحمن بن محمد (ابن أبي عامر) يصبر ويعلّق

روى صاحب الأعلام، قال:

في السنة ٤٠٠، خرج عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر غازياً، فظهر بقرطبة محمد بن هشام الأموي، وخلع هشام المؤيد، فانقلب يريد قرطبة وتفرق عنه أصحابه قبل وصوله إلى قرطبة، فبعث إليه محمد بن هشام، فأحيط به وذبح، وحمل إلى قرطبة، فصبِّر بدنه، وكُسي قميصاً وسراويل وعلِّق على خشبة طويلة بقرطبة على باب السدّة.

* * *

صلب عبد الرشيد الصوفي

جاء في الذيل على الروضتين، ص ٢٠، أنه في السنة ٥٨٦، غضب الخليفة على عبد الرشيد الصوفي الفقيه، فأمر بصلبه فصُلب.

* * *

صلب عبد الله بن حليس وعبد السلام بن أبي الماضي

جاء في «الولاة للكندي»، أنه في السنة ٢١٤، دخل أبو إسحاق بن الرشيد (المعتصم) مصر، وكان يليها لأخيه المأمون، وبعث في طلب اثنين أشعلا فيها الفتنة، فأحضرهما، وهما عبد الله بن حليس، وعبد السلام بن أبي الماضي،

فقيَّدهما وسجنهما وأقامهما للناس، ثم قتلهما وصلبهما. فقال: معلّى الطائي يصف حالهما:

إن الحليسيّ غدا سابقاً ... في حلبة الجسرين قد قصّبا
على طمّرٍ ما له أرجل ... من صنعة النجّار قد شذّبا
وليس يدري عند إلجامه ... من أثغر الطرف ومن لبّبا
مسمَّر الخلق أمون الشوى ... يأنف أن يأكل أو يشربا
ولو سرى ليلته كلَّها ... ما جاوز الجسر ولا قرَّبا
لو كان من بعض نخيل القرى ... كان أبو القاسم قد أرطبا
كسا أبو إسحاق أوداجه ... أبيض لا يعتب من أغضبا
وقد سقى عبد السلام الردى ... فكيف بالله إذا جرَّبا

* * *

قصّة صلب عبد الله بن الزّبَير

لمّا بويع عبد الملك بالشام، بعث إلى المدينة عُروة بن أُنَيف في ستة آلاف من أهل الشام، وأمره أن لا يدخل المدينة وأن يعسكر بالعَرْصة، وكان عامل عبد الله بن الزبير على المدينة الحارث بن حاطب بن الحارث بن مَعمَر الجُمحيّ، فهرب الحارث، وكان ابن أُنيف يدخل ويصلّي بالنّاس الجُمعة، ثمّ يعود إلى عسكره، فأقام شهراً ولم يبعث إليهم ابنُ الزبير أحداً.

وكتب إليه عبد الملك بالعَود إليه، فعاد هو ومَنْ معه، وكان يصلّي بالنّاس بعده عبد الرحمن بن سعد القُرَظيُّ، ثم عاد الحارث إلى المدينة، وبعث ابنُ الزبير سليمانَ بن خالد الزُّرقيَّ الأنصاريَّ، وكان رجلاً صالحاً عاملاً على خَيبرٍ وفَدَك، فنزل في عمله، فبعث عبدُ الملك عبدَ الواحد بن الحارث بن الحكَم، وقيل: اسمه عبد الملك، وهو أصحّ، في أربعة آلاف، فسار حتى نزل وادي القُرى، وسيَّر سريّةً عليها أبو القمقام في خمسمائة إلى سليمان، فوجدوه قد هرب، فطلبوه، فأدركوه فقتلوه ومن معه. فاغتمَّ عبد الملك بن مروان لقتله، وقال: قتلوا رجلاً مسلماً صالحاً بغير ذنب.

وعزل ابنُ الزبير الحارثَ واستعمل مكانه جابر بن الأسود بن عوْف الزُّهْريّ، فوجَّه جابر أبا بكر بن أبي قيس في ستِّمائة فارس وأربعين فارساً إلى خَيبر، فوجدوا أبا القمقام ومَن معه مقيمين بفَدَك يعسفون الناس فقاتلوهم، فانهزم أصحابُ أبي القمقام وأُسر منهم ثلاثون رجلاً، فقُتلوا صبراً وقيل: بل قُتل الخمسمائة أو أكثرهم.

ووجَّه عبدُ الملك طارقَ بن عمرو، مولى عثمان، وأمره أن ينزل بين أيْلة ووادي القرى ويمنع عُمّالَ ابن الزبير من الانتشار ويسدَّ خللاً إن ظهر له. فوجَّه طارق إلى أبي بكر خيلاً، فاقتتلوا، فأُصيب أبو بكر في المعركة، وأُصيب من أصحابه أكثر من مائتي رجل.

وكان ابن الزبير قد كتب إلى القُباع أيّام كان عامله على البصرة يأمره أن يرسل إليه ألفَيْ فارس، ليعينوا عامله على المدينة، فوجَّه إليه ألفَيْ رجل، فلمّا قُتل أبو بكر أمر ابنُ الزبير جابرَ بن الأسود أن يسيِّر جيش البصرة إلى قتال طارق، فسار البصريون عن المدينة، وبلغ طارقاً الخبرُ فسار نحوه، فالتقيا: فقُتل مقدَّم البصريِّين وقُتل أصحابه قتلاً ذريعاً، وطلب طارق مدبِّرهم وأجهز على جريحهم ولم يستبقْ أسيرهم.

ورجع طارق إلى وادي القرى، وكان عامل ابن الزبير بالمدينة جابر بن الأسود، وعزل ابنُ الزبير جابراً واستعمل طلحةَ بن عبيد الله بن عَوْف، الذي يُعرَف بطلحة النَّدى، سنة سبعين، فلم يزل على المدينة حتّى أخرجه طارق.

فلمّا قتل عبدُ الملك مصعباً وأتَى الكوفة، وجَّه منها الحجّاجَ بن يوسف الثقفيَّ في ألْفين، وقيل: في ثلاثة آلاف، من أهل الشام لقتال عبد الله بن الزبير. وكان السبب في تسييره دون غيره أنّه قال لعبد الملك: قد رأيتُ في المنام أنّي أخذتُ عبد الله بن الزبير فسلختُه، فابعثْني إليه وولِّني قتاله، فبعثه وكتب معه أماناً لابن الزبير ومَنْ معه إن أطاعوا، فسار في جمادى الأولى سنة اثنتَيْن وسبعين، ولم يعرض للمدينة، ونزل الطائف، وكان يبعث الخيلَ إلى عَرَفة ويبعثُ ابنُ الزبير

أيضاً، فيقتتلون بعَرَفة فتنهزم خيل ابن الزبير في كلّ ذلك، وتعود خيلُ الحجّاج بالظفر.

ثمّ كتب الحجّاج إلى عبد الملك يستأذنه في دخول الحَرَم وحصر ابن الزبير ويُخْبر بضعفه، وتفرُّق أصحابه ويستمدُّه، فكتب عبد الملك إلى طارق يأمره باللحاق بالحجّاج، فقدم المدينة في ذي القعدة، سنة اثنتين وسبعين، وأخرج عاملَ ابن الزبير عنها، وجعل عليها رجلاً من أهل الشام اسمه ثعلبة، فكان ثعلبة يُخرج المخّ وهو على منبر النبيّ ﷺ، ثمّ يأكله ويأكل عليه التمر ليغيظ أهلَ المدينة، وكان مع ذلك شديداً على أهل الزبير، وقدم طارق على الحجّاح بمكّة في سلخ ذي الحجّة في خمسة آلاف.

وأمّا الحجّاج، فإنّه قدم مكّة في ذي القعدة وقد أحرم بحجّة، فنزل بئر ميمون، وحجَّ بالناس تلك السنة الحَجّاج، إلاّ أنّه لم يَطُف بالكعبة ولا سعى بين الصَّفا والمَرْوَة، منعه ابن الزبير من ذلك، فكان يلبس السلاح ولا يقرب النساء ولا الطيب إلى أن قُتل ابن الزّبير، ولم يحجّ ابن الزبير ولا أصحابه، لأنّهم لم يقفوا بعَرَفة ولم يرموا الجِمار، ونحر ابنُ الزّبير بُدنه بمكّة.

ولمّا حصر الحجّاجُ ابن الزبير، نصب المنجنيق على أبي قُبَيس، ورمى به الكعبة، وكان عبدُ الملك ينكر ذلك أيّام يزيد بن معاويه ثمّ أمر به، فكان الناس يقولون: خُذِل في دينه.

وحجَّ ابن عمر تلك السنة، فأرسل إلى الحجّاج، أن اتَّقِ الله واكففْ هذه الحجارة عن النّاس، فإنّك في شهر حرام وبلد حرام، وقد قدمتْ وفود الله من أقطار الأرض ليؤدّوا فريضة الله ويزدادوا خيراً، وإنّ المنجنيق قد منعهم عن الطَّواف، فاكففْ عن الرمي حتّى يقضوا ما يجب عليهم بمكّة، فبطل الرمي حتّى عاد النّاسُ من عَرَفات وطافوا وسعوا، ولم يمنع ابنُ الزّبير الحاجَّ من الطواف والسعي، فلمّا فرغوا من طواف الزيارة نادى منادي الحجّاج: انصرفوا إلى بلادكم، فإنّا نعود بالحجارة على ابن الزبير الملحد.

وأوّل ما رُمي بالمنجنيق إلى الكعبة، رعدت السماء وبرقت، وعلا صوت الرعد على الحجارة، فأعظم ذلك أهل الشام وأمسكوا أيديهم، فأخذ الحجّاج حجر المنجنيق بيده، فوضعه فيه ورمى به معهم، فلمّا أصبحوا جاءت الصواعقُ، فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلاً، فانكسر أهل الشام، فقال الحجّاج: يا أهلَ الشام لا تنكروا هذا، فإنّي ابنُ تهامة، وهذه صواعقُها، وهذا الفتح قد حضر فأبشروا. فلمّا كان الغد، جاءت الصاعقةُ، فأصابت من أصحاب ابن الزبير عدّةً، فقال الحجّاج: ألا ترون أنّهم يُصابون وأنتم على الطاعة، وهم على خلافها؟ وكان الحجر يقع بين يدي ابن الزبير وهو يصلّي فلا ينصرف، وكان أهل الشام يقولون:

يا ابن الزّبير طالما عصيكا وطالما عنّيتنا إلَيكَا

* لتُجزَيَنَّ بالذي أتيكا *

يعنون: عصيت وأتيت.

وقدم عليه قومٌ من الأعراب، فقالوا: قدمنا للقتال معك، فنظر، فإذا مع كلّ امرىءٍ منهم سيف كأنّه شَفْرة وقد خرج من غمده، فقال: يا معشر الأعراب، لا قرَّبكم الله! فوالله إنَّ سلاحكم لرثّ، وإن حديثكم لغثّ؛ وإنّكم لقتال في الجدب، أعداء في الخصب، فتفرَّقوا ولم يزل القتال بينهم دائماً، فغلت الأسعار عند ابن الزّبير وأصاب الناسَ مجاعةٌ شديدة حتى ذبح فرسَه وقسم لحمها في أصحابه، وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم، والمدّ الذّرة بعشرين درهماً، وكان يحفظ ذلك ولا ينفق منه إلاّ ما يمسك الرمق، ويقول: أنفس أصحابي قويّة ما لم تغن.

فلمّا كان قُبيل مقتله تفرّق الناسُ عنه، وخرجوا إلى الحجّاج بالأمان، خرج من عنده نحو عشرة آلاف، وكان ممَّن فارقه ابناه حمزة وخُبَيب، أخذا لأنفسهما أماناً، فقال عبد الله لابنه الزّبير: خذْ لنفسك أماناً كما فعل أخواك، فوالله إنّي لأحبّ بقاءكم، فقال: ما كنتُ لأرغب بنفسي عنك. فصبر معه فقُتل.

ولمّا تفرّق أصحابه عنه خطب الحجّاجُ الناسَ، وقال: قد تَروْن قلّة مَنْ مع ابن الزبير وما هم عليه من الجهد والضيق. ففرحوا واستبشروا، فتقدّموا فملأوا

ما بين الحَجون إلى الأبواء، فدخل على أمّه، فقال: يا أمّاه، قد خذلني الناس حتى ولديّ وأهلي ولم يبقَ معي إلاّ اليسير، ومَنْ ليس عنده إلاّ من صبر ساعة، والقوم يعطونني ما أردتُ من الدنيا، فما رأيك؟ فقالت: أنت أعلم بنفسك، إن كنتَ تعلم أنّك على حقٍّ وإليه تدعو، فامضِ له، فقد قُتل عليه أصحابك ولا تمكِّنْ من رقبتك يتلعَّب بها غلمان بني أميّة، وإن كنتَ إنّما أردتَ الدنيا، فبئسَ العبدُ أنتَ أهلكتَ نفسك، ومَنْ قُتل معك، وإن قلتَ كنتُ على حقّ، فلمّا وهن أصحابي ضعفتُ، فهذا ليس فعلَ الأحرار ولا أهل الدّين، كم خلودك في الدّنيا! القتل أحسن! فقال: يا أمّاه، أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثلوا بي ويصلبوني. قالت: يا بنيّ، إنّ الشاة إذا ذُبحت لا تتألّم بالسَّلخِ، فامضِ على بصيرتك واستعِنْ بالله.

فقبَّل رأسَها، وقال: هذا رأيي، والذي قمتُ به داعياً إلى يومي هذا، ما ركنتُ إلى الدنيا ولا أحببتُ الحياة فيها، وما دعاني إلى الخروج إلاّ الغضب لله، وأن تُستَحلَّ حُرُماته، ولكنّي أحببتُ أن أعلم رأيك، فقد زدتني بصيرة، فانظري يا أماه، فإنّي مقتول في يومي هذا، فلا يشتدّ حزنُك وسلِّمي الأمر إلى الله، فإنّ ابنك لم يتعمَّد إتيان منكر ولا عملاً بفاحشة، ولم يَجُرْ في حكم الله، ولم يغدر في أمان، ولم يتعمَّد ظلم مسلم أو معاهد، ولم يبلغني ظلم عن عُمّالي، فرضيتُ به بل أنكرتُه، ولم يكن شيء آثر عندي من رضا ربّي، اللهمّ لا أقول هذا تزكية لنفسي، ولكنّي أقوله تعزية لأمّي حتّى تسلو عنّي!

فقالت أمّه: إنّي لأرجو أن يكون عزائي فيك جميلاً، إن تقدَّمتني احتسبتُكْ، وإن ظفرتَ سُررتُ بظفرك، اخرجْ حتى أنظر إلى ما يصير أمرك. فقال: جزاكِ الله خيراً، فلا تدعي الدعاء لي. قالت: لا أدعه لك أبداً، فمن قُتل على باطل فقد قُتلتَ على حقّ. ثمّ قالت: اللهمّ ارحم طول ذاك القيام في اللّيل الطويل، وذلك النحيب والظمأ في هواجر مكّة والمدينة، وبرّه بأبيه وبي! اللهمّ قد سلَّمتُه لأمرك فيه ورضيتُ بما قضيتَ، فأثبني فيه ثواب الصابرين الشاكرين.

فتناول يديها ليقبِّلهما، فقالت: هذا وَداع، فلا تَبْعَد. فقال لها: جئتُ مودِّعاً لأنّي أرى هذا آخر أيّامي من الدنيا. قالت: امضِ على بصيرتك، وادنُ منّي حتّى

أودِّعك، فدنا منها، فعانقها وقبَّلها، فوقعت يدها على الدرع، فقالت: ما هذا صنيع مَنْ يريد ما تريد. فقال: ما لبسته إلّا لأشدَّ منك. قالت: فإنّه لا يشدُّ منّي، فنزعها ثمّ درج كُمّيه وشدَّ أسفل قميصه وجبّة خز تحت أثناء السراويل، وأدخل أسفلها تحت المنطقة وأمّه تقول له: البس ثيابك مشمَّرة، فخرج وهو يقول:

إنّي إذ أعرفُ يومي أصبرْ وإنّما يعرِفُ يومَهُ الحُرّ

* إذ بعضُهم يعرفُ ثمّ يُنكر *

فسمعتْهُ، فقالت: تصبر إن شاء الله، أبواك أبو بكر والزّبير، وأمّك صَفيّة بنت عبد المطّلب، فحمل على أهل الشام حملةً منكرةً، فقتل منهم ثمّ انكشف هو وأصحابه، وقال له بعضُ أصحابه: لو لحقتَ بموضع كذا. قال: بئس الشيخ، أنا إذاً في الإسلام لئن أوقعتُ قوماً فقُتلوا ثمّ فررتُ عن مثل مصارعهم. ودنا أهل الشام حتى امتلأت منهم الأبواب، وكانوا يصيحون به! يا ابنَ ذات النّطاقَيْنِ، فيقول:

* وتلكَ شكاةٌ ظاهِرٌ عنكَ عارُها *

وجعل أهلُ الشام على أبواب المسجد رجلاً من أهل كلّ بلد، فكان لأهل حِمْص الباب الذي يواجه باب الكعبة، ولأهل دمشق باب بني شَيْبة، ولأهل الأردنّ باب الصَّفا، ولأهل فلسطين باب بني جُمَح، ولأهل قِنَّسْرين باب بني تميم، وكان الحجّاج وطارق من ناحية الأبطح إلى المروة، فمرَّة يحمل ابن الزبير في هذه الناحية ومرَّة في هذه الناحية، فكأنّه أسد في أجمة ما يقدم عليه الرجال يعدو في أثر القوم حتى يُخرجهم، ثمّ يصيح: أبا صفوان! ويل أمّه فتحاً لو كان له رجال أو كان قِرْني واحداً كفيته! فيقول أبو صفوان عبد الله بن صفوان بن أميّة بن خَلَف: أي والله وألف.

فلمّا رأى الحجّاج أنّ النّاس لا يقدمون على ابن الزبير، غضب وترجَّل وأقبل يسوقُ الناس ويصمد بهم صمد صاحب عَلَم ابن الزبير وهو بين يديه. فتقدَّم ابنُ الزبير على صاحب عَلَمه وضاربهم وانكشفوا، وعرَّج وصلّى ركعَتَيْن عند

المقام، فحملوا على صاحب علمه، فقتلوه عند باب بني شَيْبَة، وصار العَلَم بأيدي أصحاب الحجّاج، فلمّا فرغ من صلاته تقدَّم فقاتل بغير عَلَم، فضرب رجلاً من أهل الشام، وقال: خُذْها وأنا ابن الحواريّ! وضرب آخر، وكان حبشيّاً، فقطع يده وقال: اصبر أبا حُمَمَة، اصبر ابن حام. وقاتل معه عبد الله بن مُطيع وهو يقول:

أنا الذي فَرَرْتُ يومَ الحَرَّهْ والحُرُّ لا يفرُّ إلاّ مَرَّهْ

* واليومَ أجزي فَرَّةً بكَرَّهْ *

وقاتل حتى قُتل، قيل: إنّه أصابته جراح، فمات منها بعد أيّام.

وقال ابن الزبير لأصحابه وأهله يوم قُتل بعد صلاة الصبح: اكشفوا وجوهكم حتى أنظر إليكم، وعليهم المغافر، ففعلوا، فقال: يا آل الزبير، لو طِبْتم بي نفساً عن أنفسكم كنّا أهل بيت من العرب اصطلحنا في الله، فلا يرعكم وقعُ السيوف، فإنَّ ألم الدواء للجراح أشد من ألم وقعها، صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم، غضّوا أبصاركم من البارقة، وليشغلْ كلُّ امرىءٍ قِرنه ولا تسألوا عنّي، فمن كان سائلاً عنّي، فإنّي في الرعيل الأوَّل، احملوا على بركة الله. ثمّ حمل عليهم حتّى بلغ بهم الحَجون، فرُمي بآجرّة، رماه رجل من السَّكون، فأصابته في وجهه فأرعش لها ودمي وجهه، فلمّا وجدالدم على وجهه، قال:

فلَسنا على الأعقابِ تَدمى كلُومُنا ولكن على أقدامنا تقطرُ الدِّمَا

وقاتلهم قتالاً شديداً، فتعاوروا عليه، فقتلوه يوم الثلاثاء من جمادى الآخرة وله ثلاث وسبعون سنة، وتولّى قتله رجلٌ من مُراد، وحمل رأسه إلى الحجّاج، فسجد ووفَّد السكونيَّ والمراديَّ إلى عبد الملك بالخبر، فأعطى كلّ واحد منهما خمسمائة دينار.

وسار الحجّاج وطارق حتى وقفا عليه، فقال طارق: ما ولدت النساء أذكر من هذا. فقال الحجّاج: أتمدح مخالف أمير المؤمنين؟ قال: نعم، هو أعذر لنا، ولولا هذا لما كان لنا عذر، إنّا محاصروه منذ سبعة أشهر وهو في غير جند ولا حصن ولا مَنَعة، فينتصف منّا بل يفضل علينا، فبلغ كلامهما عبد الملك فصوَّب طارقاً.

ولمّا قُتل ابن الزبير كبَّر أهل الشام فرحاً بقتله، فقال ابن عمر: انظروا إلى

هؤلاء ولقد كبَّر المسلمون فرحاً بولادته، وهؤلاء يكبِّرون فرحاً بقتله.

وبعث الحجّاج برأسه ورأس عبد الله بن صَفْوان ورأس عُمارة بن عمرو بن حزم إلى المدينة، ثمّ ذُهب بها إلى عبد الملك بن مروان وأخذ جثته، فصلبها على الثنيّة اليمنى بالحُجون. فأرسلت إليه أسماء: قاتلك الله! على ماذا صلبتَه؟ قال: استبقتُ أنا وهو إلى هذه الخشبة وكانت له. فاستأذنْته في تكفينه ودفنه، فأبَى ووكَّل بالخشبة مَنْ يحرسها، وكتب إلى عبد الملك يُخبره بصلبه، فكتب إليه يلومه ويقول: ألا خلَّيت بينه وبين أمّه! فأذن لها الحجّاج، فدفنته بالحَجون، فمرَّ به عبد الله بن عمر، فقال: السلام عليك يا أبا خُبَيْب! أما والله، لقد كنتُ أنهاك عن هذا، ولقد كنتَ صوّاماً قوّاماً وَصولاً للرحم، أما والله إنّ قوماً أنت شرّهم لنعم القوم.

ولمّا قُتل عبد الله، ركب أخوه عُروة ناقةً لم يرَ مثلها، فسار إلى عبد الملك، فقدم الشام قبل وصول رسل الحجّاج بقتل عبد الله، فأتَى باب عبد الملك، فاستأذن عليه، فأذن، فلما دخل سلَّم عليه بالخلافة، فردَّ عليه عبدُ الملك ورحَّب به، وعانقه وأجلسه على السرير، فقال عُروة:

مَتَّتْ بأرحامٍ إليكَ قريبَةٍ ولا قُربَ للأرحامِ ما لم تُقرَّبِ

ثمّ تحدَّثا حتى جرى ذكر عبد الله، فقال عُرْوة: إنّه كان، فقال عبد الملك: وما فعل؟ قال: قُتل، فخرَّ ساجداً، فقال عُروَة: إن الحجّاج صلبه، فهبْ جثّته لأمّه، قال: نعم، وكتب إلى الحجّاج يعظِّم صلبه.

فأنزل الحجّاج جثّة عبد الله عن الخشبة وبعث به إلى أمّه، فغسلته، فلمّا أصابه الماء تقطَّع، فغسلته عضواً عضواً فاستمسك، وصلّى عليه عُرْوَة، فدفنته.

* * *

صلب عبد الرحمن بن يوسف

في سنة أربعين ومائة نكث يوسف الفِهْريّ، الذي كان أمير الأندلس، عهدَ عبد الرحمن الأمويّ.

وكان سبب ذلك أن عبد الرحمن كان يضع عليه من يُهينه وينازعه في أملاكه، فإذا أظهر حجةَ الشريعة لا يعمل بها، ففطن لما يُراد منه، فقصد مارِدَة واجتمع عليه عشرون ألفاً، فسار نحو عبد الرحمن، وخرج عبدُ الرحمن من قُرطبة نحوه إلى حصن المُدوّر.

ثُمّ إن يوسف رأى أن يسير إلى عبد الملك بن عمر بن مروان، وكان والياً على إشْبيلية، وإلى ابنه عمر بن عبد الملك، وكان على المدوّر، فسار نحوها؛ وخرجا إليه فلقياه، فاقتتلا قتالاً شديداً، فصبر الفريقان، وانهزم أصحابُ يوسف وقُتل منهم خلقٌ كثير، وهرب يوسف وبقي متردِّداً في البلاد، فقتله بعض أصحابه في رجَب من سنة اثنتين وأربعين بنواحي طُلَيْطُلَة، وحمل رأسه إلى عبد الرحمن، فنصبه بقُرْطُبَةَ وقتل ابنَه عبد الرحمن بن يوسف الذي كان عنده رهينةً، ونصب رأسه مع رأس أبيه، وبقي أبو الأسود بن يوسف عند عبد الرحمن الأمويّ رهينةً.

(ابن الأثير ٤ :٣٤٨ وما بعدها)

* * *

صلب عبد الرحمن الملقَّب بالناصر

في سنة ست وستّين وثلاثمائة توفّي الحاكم بن عبد الرحمن بن محمّد بن عبد الله بن محمّد بن عبد الرحمن المستنصر بالله الأمويُّ، صاحب الأندلس، وكانت إمارته خمس عشرة سنة وخمسة أشهر، وعمره ثلاثاً وستّين سنة، وسبعة أشهر. وكان محبّاً لأهل العلم، عالماً، فقيهاً في المذاهب، عالماً بالأنساب والتواريخ، جمّاعاً للكتب والعلماء، مكرماً لهم، محسناً إليهم، أحضرهم من البلدان البعيدة ليستفيد منهم ويحسن إليهم.

ولمّا توفّي، وليَ بعده ابنه هشام بعهد أبيه، وله عشر سنين، ولُقِّب بالمؤيِّد بالله، واختلفت البلاد في أيّامه، وأُخذ وحُبس، ثم عاد إلى الإمارة.

وسببه أنَّه لمّا وليَ المؤيّد تحجَّب له المنصور أبو عامر بن أبي عامر المعافريُّ، وابناه المظفَّر والناصر، فلمّا حجب له أبو عامر حجبه عن الناس، فلم

يكن أحد يراه، ولا يصل إليه، وقام بأمر دولته القيام المرضي، وعدل في الرعيّة، وأقبلت الدنيا إليه، واشتغل بالغزو، وفتح من بلاد الأعداء كثيراً، وامتلأت بلاد الأندلس بالغنائم والرقيق، وجعل أكثر جنده منهم كواضح الفتى وغيره من المشهورين، وكانوا يُعرفون بالعامريّين.

وأدام الله له الحال ستّاً وعشرين سنة، غزا فيها اثنتين وخمسين غزاة ما بين صائفة وشاتية، وتوفّي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، وكان حازماً، قويّ العزم، كثير العدل والإحسان، حسن السياسة.

فلمّا توفّي، وليَ بعده ابنه عبد الملك الملقَّب بالمظفَّر، فسار كسيرة أبيه، وتوفْي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، فكانت ولايته سبع سنين.

وكان سبب موته أنّ أخاه عبد الرحمن سمَّه في تفّاحة قطعها بسكّين، كان قد سمَّ أحد جانبَيْها فناول أخاه ما يلي الجانب المسموم، وأخذ هو ما يلي الجانب الصحيح، فأكله بحضرته، فاطمأنَّ المظفَّر، وأكل ما بيده منها، فمات.

فلمّا توفي، وليَ بعده أخوه عبد الرحمن الملقَّب بالناصر، فسلك غير طريق أبيه وأخيه، وأخذ في المجون، وشرب الخمور، وغير ذلك، ثمّ دسَّ إلى المؤيد من خوَّفه منه إن لم يجعله وليّ عهده، ففعل ذلك، فحقد الناس وبنو أميّة عليه ذلك، وأبغضوه، وتحرّكوا في أمره إلى أن قُتل.

وغزا شاتية، وأوغل في بلاد الجلالقة، فلم يقدم ملكها على لقائه، وتحصَّن منه في رؤوس الجبال، ولم يقدر عبد الرحمن على اتّباعه لزيادة الأنهار، وكثرة الثلوج، فأثخن في البلاد التي وطئها، وخرج موفوراً، فبلغه في طريقه ظهور محمّد بن هشام بن عبد الجبّار بن الناصر لدين الله بقُرطُبة، واستيلاؤه عليها، وأخذه المؤيّد أسيراً، فتفرّق عنه عسكره، ولم يبقَ معه إلّا خاصّته، فسار إلى قُرطُبة ليتلافى ذلك الخطب، فخرج إليه عسكر محمّد بن هشام، فقتلوه وحملوا رأسه إلى قُرطُبة، فطافوا به؛ وكان قتله سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، ثمّ صلبوه.

(ابن الأثير ٨: ٦٧٧)

* * *

صلب عبد الملك بن قَطَن

في سنة ثلاث وعشرين ومائة، توفّي عقبة بن الحجّاج السَّلوليّ أمير الأندلس، فقيل: بل ثار به أهل الأندلس فخلعوه، وولّوا بعده عبد الملك بن قَطَن، وهي ولايته الثانية، وكانت ولايته في صفر من هذه السنة، وكانت البربر قد حصرت بَلْج بن بشر العبسيّ حتّى ضاق عليه وعلى مَنْ معه الأمر واشتدَّ الحصر، وهم صابرون إلى هذه السنة، فأرسل إلى عبد الملك بن قَطَن يطلب منه أن يرسل إليه مراكب يجوز فيها هو ومَنْ معه إلى الأندلس، وذكر ما أُنزل عليه من الشدَّة وأنَّهم أكلوا دوابّهم. فامتنع عبدُ الملك من إدخالهم الأندلس ووعدهم بإرسال المدد إليهم، فلم يفعل.

فاتّفق أن البربر قويت بالأندلس، فاضطُرَّ عبد الملك إلى إدخال بلْج ومَنْ معه، وقيل: إن عبد الملك استشار أصحابه في جواز بلج، فخوّفوه من ذلك، فقال: أخاف أمير المؤمنين أن يقول: أهلكتَ جندي، فأجازهم وشرط عليهم أن يقيموا سنة ويرجعوا إلى أفريقية، فأجابوه إلى ذلك، وأخذ رهائنهم وأجازهم.

فلمّا وصلوا إليه، رأى هو والمسلمون ما بهم من سوء الحال والفقر والعُري لشدَّة الحصار عليهم، فكسوهم وأحسنوا إليهم، وقصدوا جمعاً من البربر بشَدونة، فقاتلوهم، فظفروا بالبربر، فأهلكوهم وغنموا ما لهم ودوابّهم وسلاحهم، فصلحت أحوال أصحاب بلج، وصار لهم دوّاب يركبونها.

ورجع عبد الملك بن قَطَن إلى قرطبة، وقال لبلج ومَنْ معه ليخرجوا من الأندلس، فأجابوه إلى ذلك، فطلبوا منه مراكب يسيرون فيها من غير الجزيرة الخضراء لئلا يلقوا البرابر الذين حصروهم، فامتنع عبد الملك، وقال: ليس لي مراكب إلاّ في الجزيرة. فقالوا: إنّنا لا نرجع نتعرَّض إلى البربر ولا نقصد الجهة التي هم فيها، لأنّنا نخاف أن يقتلونا في بلادهم، فألحَّ عليهم في العود، فلمّا رأوا ذلك ثاروا به وقاتلوه، فظفروا به وأخرجوه من القصر وذلك أوائل ذي القعدة من هذه السَّنَة.

فلمّا ظفر بلج بعبد الملك، أشار عليه أصحابُه بقتل عبد الملك، فأخرجه من داره وكأنَّه فرخ لكبر سنّه، فقتله وصلبه، ووليَ الأندلس، وكان عمر عبد الملك

تسعين سنة، وهرب ابناه قَطَن وأُمَيَّة، فلحق أحدهما بماردة والآخر بسرقسطة، وكان هَرَبهما قبل قتل أبيهما.

(ابن الأثير ٥ : ٢٥١)

* * *

عبد المؤمن يُسمَّر ويُصلَب

جاء في النجوم الزاهرة (١٠ : ١٧)، أنه في السنة ٧٤٢ خلع الملك المنصور أبو بكر بن محمد بن قلاوون. ونُفِيَ من القاهرة إلى قوص حيث قام متولّي قوص عبد المؤمن بقطع عنقه وحمل رأسه إلى الأمير قوصون سراً.

ولما قبض على قوصون اعترف عبد المؤمن بما صنع، فأمر الملك الناصر أحمد (أخو المنصور) بتسمير عبد المؤمن، فسُمِّر بباب المارستان المنصوري بمسامير جافية شنيعة، وطِيفَ به مدة ستة أيام، ثم شُنِقَ على قنطرة السدّ وصُلِب وأكلته الكلاب.

* * *

صلب عبدان بن الموفق حيّاً

ذكر الطبري أنه في السنة ٢٥٢ أحدث شخص اسمه عبدان بن الموفق فتنة في بغداد، وكان قد أحدث من قبل فتنة في سامراء، فضربه سعيد الحاجب خمسمائة سوط، وحبسه، ثم أطلقه، فقدم بغداد، وحثَّ خلقاً من الجند طلاب المشغبة على طلب أرزاقهم فاجتمعوا عليه وأنفق عليهم ثلاثة أيام لطعامهم، ومنعوا الإمام في المسجد من الدعاء للمعتزّ فوجَّه إليهم أمير بغداد محمد بن عبد الله بن طاهر، عدَّة من قواده، واستمرَّت الحرب بينهم حتى سقط عبدان أسيراً في يد أحد قواد ابن طاهر، فقيِّد بقيدين ثلاثون رطلاً، وحُبس، ثم سحب بقيوده وحمل على بغل إلى الجسر وجُرِّد وضُرب مائة سوط، ثم صلبه حيّاً على الجسر وربط بالحبال وتُرِك إلى العصر، ثم أُنزل ومات بعد يومين، فأُعيد صلبه على خشبة في الجانب الشرقي.

* * *

صلب عُرْوَة بن أُدَيَّة

في سنة ثمان وخمسين اشتدَّ عُبيد الله بن زياد على الخوارج فقتل منهم جماعة كثيرة، منهم: عُرْوة بن أُدَيَّة أخو أبي بلال مرداس بن أُدَيَّة، وأُدَيَّة أمّهما، وأبوهما حُدَيْر وهو تميميّ.

وكان سبب قتله أنَّ ابن زياد كان قد خرج في رهان له، فلمَّا جلس ينتظر الخيل اجتمع إليه الناس وفيهم عروة، فأقبل على ابن زياد يعظه، وكان مما قال له: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رَيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُون وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾. فلمّا قال ذلك ظنَّ ابنُ زياد أنَّه لم يقلْ ذلك إلاَّ ومعه جماعة، فقام وركب وترك رهانه. فقيل لعروة: ليقتلنَّك! فاختفى، فطلبه ابن زياد فهرب وأتى الكوفة، فأُخِذ وقُدِم به على ابن زياد، فقطع يدَيْه ورجليه وقتله وصلبه.

(ابن الأثير ٣: ٥١٧)

* * *

صلب عُقْبَة بن أبي مُعَيط

كان من المستهزئين بالنبيّ محمَّد ﷺ، وأشدَّهم إيذاءً له: عُقْبَة بن أبي مُعَيط. واسم أبي مُعَيط أبان بن أبي عمرو بن أميَّة بن عبد شمس، ويكنَّى أبا الوليد، وكان من أشدّ الناس عداوةً للنبيّ ﷺ وللمسلمين، عمد إلى مِكتل فجعل فيه عَذِرة وجعله على باب رسول الله ﷺ، فبَصُر به طُلَيْب بن عُمَير بن وهب بن عبد مناف بن قُصَيّ، وأمّه أروى بنت عبد المطَّلب، فأخذ المكتل منه وضرب به رأسه وأخذ بأذنيه، فشكاهُ عُقبة إلى أمّه، فقال: قد صار ابنك ينصر محمَّداً. فقالت: ومَنْ أولى به مِنَّا؟ أموالنا وأنفسنا دون محمَّد. وأُسر عُقبة ببدر فقُتل صبراً، قتله عاصم بن ثابت الأنصاريّ، فلمّا أراد قتله قال: يا محمَّد من للصبيَّة؟ قال: النار. قُتل بالصفراء، وقيل بعِرْق الظَّبية، وصُلب، وهو أوَّل مصلوب في الإسلام.

(ابن الأثير ٢: ٧٤)

* * *

صلب علي بن الجهم مجرداً

روى صاحب الأغاني، أنه في السنة ٢٣٢ غضب المتوكل على علي بن الجهم الشاعر فنفاه إلى خراسان، وأمر أميرها هناك بأن يصلبه، فلمّا وصل حبسه طاهر بن عبد الله بن طاهر، ثم أخرجه فصلبه مجرَّداً.

* * *

قصة صلب
عيسى بن خضير وأصحاب محمد بن الحسن

في سنة خمس وأربعين ومئة كان ظهور محمَّد بن عبد الله بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب بالمدينة لليلتَيْن بقيتا من جمادى الآخرة، وقيل رابع عشر شهر رمضان.

وكان المنصور قد تتبَّعه وحمل أهله إلى العراق. فلمّا حملهم وسار بهم ردَّ رِياحاً إلى المدينة أميراً عليها، فألحَّ في طلب محمَّد وضيَّق عليه وطلبه حتى سقط ابنه فمات، وأرهقه الطلبُ يوماً فتدلَّى في بئر بالمدينة يناول أصحابه الماء وانغمس في الماء إلى حلقه، وكان بدنه لا يخفى لعظمه، وبلغ رياحاً خبرُ محمَّد وأنَّه بالمذار، فركب نحوه في جنده. فتنحَّى محمَّد عن طريقه واختفى في دار الجُهَنِيَّة، فحيث لم يره رياح رجع إلى دار مروان.

وكان الذي أعلم رياحاً سليمان بنُ عبد الله بن أبي سَبْرَة.

فلمّا اشتدَّ الطلبُ خرج قبل وقته الذي واعد أخاه إبراهيم على الخروج فيه، وقيل: بل خرج محمَّد لميعاده مع أخيه، وإنَّما أخوه تأخَّر لجُدَريّ لحقه، وكان عبيد الله بن عمرو بن أبي ذئب وعبد الحميد بن جعفر يقولان لمحمَّد بن عبد الله: ما تنتظر بالخروج! فوالله ما على هذه الأمَّة أشأم منك. أخرج ولو وحدك. فتحرَّك بذلك أيضاً (؟!).

... وأقبل محمَّد من المذار في مائة وخمسين رجلاً، فأتى في بني سلمة بهؤلاء تفاؤلاً بالسلامة، وقصد السجنَ فكسر بابه وأخرج مَنْ فيه، وكان فيهم

محمَّد بن خالد بن عبد الله القَسْريّ، وابن أخي النُّذَيْر بن يزيد ورِزام، فأخرجهم وجعل على الرجّالة خَوّات بن بُكَيْر بن خَوّات بن جُبَيْر، وأتى دار الأمارة وهو يقول لأصحابه: لا تقتلوا إلَّا يَقتلوا. فامتنع منهم رياح، فدخلوا من باب المقصورة وأخذوا رياحاً أسيراً وأخاه عبّاساً وابن مسلم بن عُقْبَة المرّيّ فحبسهم في دار الأمارة، ثمَّ خرج إلى المسجد فصعد المنبر فخطبَ النّاسَ فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال: أمّا بعدُ فإنَّه قد حان من أمر هذا الطاغية عدوّ الله أبي جعفر ما لم يخفَ عليكم من بنائه القبَّة الخضراء التي بناها معاندةً لله في ملكه وتصغيراً للكعبة الحرام، وإنَّما أخذ اللَّهُ فرعون حين قال: أنا ربُّكم الأعلى، وأنَّ أحقَّ النّاس بالقيام في هذا الدين أبناء المهاجرين والأنصار المواسين، اللهمَّ إنَّهم أحلُّوا حرامك وحرَّموا حلالك، وأمنوا مَنْ أخفتَ وأخافوا مَنْ أمنتَ! اللهمَّ فاحصِهم عدداً، واقتلهم بَدَداً، ولا تغادر منهم أحداً! أيُّها النّاس إنِّي والله ما خرجتُ من بين أظهركم وأنتم عندي أهل قوَّة ولا شدَّة، ولكنِّي اخترتكم لنفسي! والله ما جئتُ هذه وفي الأرض مصر يُعبد الله فيه إلَّا وقد أُخذ لي فيه البيعة!

... ولمّا بلغ المنصورَ خبرُ ظهور محمَّد كتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إنَّما جَزاءُ الَّذينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ في الأرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَو تُقطَّعَ أَيْدِيهِمْ وأَرجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوا مِنَ الأرْضِ﴾ الآيتَيْن، ولك عهد الله ومِيثاقه وذمَّةُ رسوله أن أؤمنك وجميع ولدك وإخوتك وأهل بيتك ومَنْ اتَّبعكم على دمائكم وأموالكم، وأسوِّغك ما أصبتَ من دم أو مال، وأُعطيك ألف ألف درهم وما سألتَ من الحوائج، وأُنزلك من البلاد حيث شئتَ، وأن أُطلق مَنْ في حبسي من أهل بيتك، وأن أؤمن كلَّ مَنْ جاءك وبايعك واتَّبعك أو دخل في شيء من أمرك ثمَّ لا أتبع أحداً منهم بشيء كان منه أبداً، فإن أردتَ أن تتوثَّق لنفسك فوجِّهْ إليَّ مَنْ أحببتَ يأخذ لك مِنَ الأمان والعهد والميثاق ما تتوثَّق به، والسلام.

فكتب إليه محمد: ﴿طسم تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ الْمُبِينِ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بالحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤمِنُونَ﴾ إلى ﴿يَحْذَرُونَ﴾ وأنا أعرض عليك من

الأمان مثل ما عرضتَ عليَّ، فإن الحقَّ حقُّنا وإنَّما ادَّعيتم هذا الأمرَ بنا وخرجتم له بشيعتنا وحظيتم بفضله، فإنَّ أبانا علياً كان الوصيّ وكان الإمام، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء؟ . . .

ثمَّ كتب إليه المنصور: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فقد بلغني كلامك وقرأتُ كتابك . . . فكيف تفخر علينا وقد عُلناكم في الكفر وفديناكم من الأسر وحُزنا عليكم مكارم الآباء وورثنا دونكم خاتمَ الأنبياء، وطلبنا بثأركم فأدركنا منه ما عجزتم عنه، ولم تدركوا لأنفسكم! والسلام عليكم ورحمة الله.

ثم إنَّ المنصور أحضر ابنَ أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس وأمره بالمسير إلى المدينة لقتال محمَّد. وسار عيسى حتّى نزل الأعْوص، وكان محمَّد قد جمع الناس وأخذ عليهم الميثاق وحصرهم فلا يخرجون، وخطبهم محمَّد بن عبد الله فقال لهم: إنَّ عدوَّ الله وعدوَّكم قد نزل الأعوص، وإن أحقَّ النّاس بالقيام بهذا الأمر لأبناء المهاجرين والأنصار، ألا وإنّا قد جمعناكم وأخذنا عليكم الميثاق، وعدوُّكم عدد كثير والنصر من الله والأمر بيده، وإنَّه قد بدا لي أن آذن لكم، فمن أحبّ منكم أن يقيم أقام، ومَنْ أحبّ أن يظعن ظعن.

فخرج عالم كثير، وخرج ناسٌ من أهل المدينة بذراريهم إلى الأعراض والجبال، وبقي محمَّد في شِرذمة يسيرة، فأمر أبا القَلَمَّس بردِّ مَنْ قدر عليه، فأعجزه كثير منهم، فتركهم.

وأرسل عيسى إلى محمَّد يُخْبره أنَّ المنصور قد آمنه وأهله، فأعاد الجواب: يا هذا إنَّ لك برسول الله ﷺ قرابة قريبة، وإنّي أدعوك إلى كتاب الله وسنَّة نبيِّه والعمل بطاعته، وأحذِّرك نقمته وعذابه، وإنّي والله ما أنا منصرف عن هذا الأمر حتى ألقى الله عليه، وإيّاك أن يقتلك مَنْ يدعوك إلى الله فتكون شرَّ قتيل، أو تقتله فيكون أعظم لوزرك. فلمّا بلغتْه الرسالة قال عيسى: ليس لنا بيننا وبينه إلاَّ القتال. وقال محمَّد للرسول: علامَ تقتلوني وإنَّما أنا رجل فرَّ من أن يُقتل؟ قال: القوم يدعونك إلى الأمان، فإن أبيتَ إلاَّ قتالهم قاتلوك على ما قاتل عليه خير آبائك عليٌّ وطلحةَ

والزُّبَيْر على نكث بيعتهم وكيد ملكهم. فلمّا سمع المنصور قوله قال: ما سرَّني أنَّه قال غير ذلك.

ونزل عيسى بالجُرْف لاثنتي عشرة من رمضان يوم السبت، فأقام السبت والأحد وغدا يوم الاثنَيْن فوقف على سَلْع فنظر إلى المدينة ومَنْ فيها فنادى: يا أهل المدينة إنَّ الله حرَّم دماء بعضنا على بعض فهلمُّوا إلى الأمان! فمَنْ قام تحت رايتنا فهو آمن، ومَنْ دخل داره فهو آمن، ومَنْ دخل المسجد فهو آمن، ومَنْ ألقى سلاحه فهو آمن، ومَنْ خرج من المدينة فهو آمن، خلُّو بيننا وبين صاحبنا فإمّا لنا وإمّا له! فشتموه. وانصرف من يومه وعاد من الغد وقد فرَّق القوّاد من سائر جهات المدينة وأخلى ناحية مسجد أبي الجرّاح، وهو على بُطْحان، فإنَّه أخلى تلك الناحية لخروجَ مَنْ ينهزم، وبرز محمَّد في أصحابه، وكانت رايته مع عثمان بن محمَّد بن خالد بن الزبير، وكان شعاره: أحد أحد. فبرز أبو القَلَمَّس، وهو من أصحاب محمَّد، فبرز إليه أخو أسد واقتتلوا طويلاً، فقتله أبو القَلَمَّس، وبرز إليه آخر فقتله، فقال حين ضربه: خذْها وأنا ابن الفاروق. فقال رجل من أصحاب عيسى: قتلتَ خيراً من ألف فاروق...

وقاتل محمَّد بن عبد الله يومئذ قتالاً عظيماً فقتل بيده سبعين رجلاً، وأمر عيسى حُمَيْدَ بن قحْطبة فتقدَّم في مائة كلُّهم راجل سواه فزحفوا حتى بلغوا جداراً دون الخندقَ عليه ناس من أصحاب محمَّد، فهدم حُميد الحائط وانتهى إلى الخندق ونصب عليه أبواباً وعبر هو وأصحابه عليها فجازوا الخندق وقاتلوا مِن ورائه أشدَّ قتال من بُكرة إلى العصر، وأمر عيسى أصحابه فألقوا الحقائب وغيرها في الخندق وجعل الأبوابَ عليها وجازت الخيلُ فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانصرف محمَّد قبل الظهر فاغتسل وتحنَّط ثمَّ رجع، فقال له عبدُ الله بن جعفر: بأبي أنت وأمِّي! والله ما لك بما ترى طاقة! فلو أتيت الحسن ابن معاوية بمكَّة فإنَّ معه جُلَّ أصحابك. فقال: لو خرجتُ لقُتل أهل المدينة، والله لا أرجع حتَّى أُقتَل أو أَقتل، وأنت منّي في سعة فاذهب حيث شئتَ.

فمشى معه قليلاً ثمَّ رجع عنه، وتفرَّق عنه جلّ أصحابه حتّى بقي في ثلاثمائة

رجل يزيدون قليلاً، فقال لبعض أصحابه: نحن اليوم بعدَّة أهل بدر. وصلَّى محمَّد الظهر والعصر، وكان معه عيسى بن خضير وهو يناشده إلاَّ ذهبتَ إلى البصرة أو غيرها، ومحمَّد يقول: والله لا تبتلون بي مرَّتين، ولكن اذهبْ أنت حيث شئتَ. فقال ابن خُضَير: وأين المذهب عنك؟ ثمَّ مضى فأحرق الديوان الذي فيه أسماء مَنْ بايعه، وقتل رياح بن عثمان وأخاه عبّاس بن عثمان وقتل ابنَ مسلم بن عُقْبَة المرّيّ ومضى إلى محمَّد بن القَسْريّ وهو محبوس ليقتله، فعلم به فردم الأبوابَ دونه، فلم يقدر عليه ورجع إلى محمَّد فقاتل بين يديهِ حتى قُتل.

وتقدّم حُمَيد بن قَحْطبة وتقدَّم محمَّد، فلمّا صار ينظر مسيل سَلْع عرقب فرسه وعرقب بنو شجاع الخميسيُّون دواتهم ولم يبقَ أحد إلاَّ كسر جفن سيفه، فقال لهم محمَّد: قد بايعتموني ولستُ بارحاً حتَّى أُقْتَل، فمَنْ أحبَّ أن ينصرف فقد أذنتُ له.

واشتدَّ القتالُ فهزموا أصحابَ عيسى مرَّتَيْن وثلاثاً، وقال يزيد بن معاوية بن عبّاس بن جعفر: ويل أمِّه فتحاً لو كان له رجال: فصعد نفر من أصحاب عيسى على جبل سَلْع وانحدروا منه إلى المدينة، وأمرت أسماء بنت حسن بن عبد الله بن عبيد الله بن عبّاس بخِمار أسود فرُفع على منارة محمَّد رسول الله ﷺ، فقال أصحاب محمَّد: دُخلت المدينة، فهربوا، فقال يزيد: لكلِّ قوم جبل يعصمهم، ولنا جبل لا نؤتى إلاَّ منه، يعني سَلْعاً.

وفتح بنو أبي عمرو الغِفاريُّون طريقاً في بني غِفار لأصحاب عيسى ودخلوا منه أيضاً وجاؤوا من وراء أصحاب محمَّد، ونادى محمَّد حُمَيْدَ بن قُحْطبة: ابرزْ إليَّ فأنا محمَّد بن عبد الله، فقال حُمَيد: قد عرفتُك وأنت الشريف الكريم ابن الكريم، لا والله لا أبرز إليك وبين يديّ من هؤلاء الأغمار أحد، فإذا فرغتُ منهم فسأبرز إليك. وجعل حُمَيد يدعوا ابن خُضَيْر إلى الأمان ويشحّ به على الموت، وابن خُضير يحمل على الناس راجلاً لا يصغي إلى أمانة وهو يأخذه بين يديه، فضربه رجل من أصحاب عيسى على إليته فحلَّها، فرجع إلى أصحابه فشدَّها بثوب ثمَّ عاد إلى القتال، فضربه إنسان على عينه فغاص السيف وسقط، فابتدروه فقتلوه واحتزَّ رأسه

وكأنّه بإذنجانة مغلقة من كثرة الجراح فيه. فلمّا قُتل تقدَّم محمَّد فقاتل على جيفته، فجعل يهذّ النّاس هذّاً، وكان أشبه النّاس بقتال حمزة. ولم يزل يقاتل حتى ضربه رجل دون شحمة أذنه اليمنى فبرك لركبته وجعل يذبّ عن نفسه ويقول: ويحكم ابن نبيّكم مجرّح مظلوم! فطعنه ابن قحطبة في صدره فصرعه، ثم نزل إليه فاحتزّ رأسه وأتى به عيسى، وهو لا يُعْرَف من كثرة الدماء. فأرسل عيسى الرأس إلى المنصور مع محمَّد بن أبي الكرام بن عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وبالبشارة مع القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، فأرسل معه رؤوس بني شجاع، فأمر المنصورُ فطيف برأس محمَّد في الكوفة وسيَّره إلى الآفاق؛ وانتقلوا معه، ثمَّ قاتلوا معه حتى قُتلوا.

وكان قتل محمَّد وأصحابه يوم الاثنَيْن بعد العصر لأربع عشرة خلت من شهر رمضان.

ولمّا قُتل محمَّد أرسل عيسى ألويةً فنُصبتِ في مواضع بالمدينة ونادى مناديه: مَنْ دخل تحت لواء منها فهو آمن. وأخذ أصحابَ محمَّد فصلبهم ما بين ثَنِيَّةِ الوَداع إلى دار عمر بن عبد العزيز صفَّيْن ووُكِّل بخشبة ابن خُضير مَنْ يحفظها، فاحتمله قومٌ من الليل فَواروه سرّاً وبقي الآخرون ثلاثاً، فأمر بهم عيسى، فأُلقوا على مقابر اليهود، ثمَّ أُلقوا بعد ذلك في خندق في أصل ذِباب، فأرسلتْ زينب بنت عبد الله أخت محمَّد وابنة فاطمة إلى عيسى: إنَّكم قد قتلتموه وقضيتم حاجتكم منه، فلو أذنتم لنا في دفنه؟ فأذن لها، فدُفن بالبقيع.

(ابن الأثير ٥ : ٥٢٩ وما بعدها)

* * *

رفع السيِّد المسيح إلى السماء وصلب من شُبِّه به

لما عاد عيسى وأمّه مريم من مصر إلى الشام، نزلا بقرية يقال لها ناصرة، وبها سمِّيت النصارى، فأقام إلى أن بلغ ثلاثين سنة، فأوحى الله إليه أن يبرز للناس ويدعوهم إلى الله تعالى ويداوي المرضى والزمنى والأكمه والأبرص وغيرهم من المرضى، ففعل ما أُمر به، وأحبَّه الناس، وكثُرَ أتباعه، وعلا ذكره وتبعه نفر من

أصحابه، فكانوا الحواريين وكانت عدتهم اثني عشر رجلاً، وكانوا إذا جاعوا أو عطشوا قالوا: يا روح الله قد جعنا وعطشنا، فيضرب يده إلى الأرض فيخرج لكل إنسان منهم رغيفين وما يشربون. فقالوا: مَنْ أفضل منّا، إذا شئنا أطعمتنا وسقيتنا! فقال: أفضل منكم من يأكل من كسب يده. فصاروا يغسلون الثياب بالأجرة.

وكان غالباً على زمانه الطبّ، فأتى قومه بما أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى تعجيزاً لهم، فممَّن أحياه عازر، وكان صديقاً لعيسى، فمرض فأرسلت أُخته إلى عيسى أن عازر يموت، فسار إليه وبينهما ثلاثة أيام، فوصل إليه وقد مات منذ ثلاثة أيام، فأتى قبره فدعا له فعاش، وبقي حتى وُلد له. وأحيا عزيراً النبي، قال له بنو إسرائيل: احيِ لنا عزيراً وإلاَّ أحرقناك. فدعا الله فعاش، فقالوا: ما تشهد لهذا الرجل قال: أشهد أنه عبد الله ورسوله. وأحيا يحيى بن زكرياء، وكان يمشي على الماء.

وكان من المعجزات العظيمة نزول المائدة. وسبب ذلك: أن الحواريين قالوا له: يا عيسى: «هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟»، فدعا عيسى فقال: «اللَّهُمَّ ربَّنا أنزلْ علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأوَّلنا وآخرنا»، فأنزل الله المائدة...

قيل: إن عيسى استقبله ناس من اليهود، فلما رأوه قالوا: قد جاء الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة! وقذفوه وأمّه، فسمع ذلك ودعا عليهم، فاستجاب الله دعاءه ومسخهم خنازير، فلما رأى ذلك رأس بني إسرائيل فزع وخاف وجمع كلمة اليهود على قتله، فاجتمعوا عليه، فسألوه، فقال: يا معشر اليهود، إن الله يبغضكم، فغضبوا من مقالته وثاروا إليه ليقتلوه، فبعث إليه جبرائيل فأدخله في خوخة إلى بيت فيها روزنة في سقفها فرفعه إلى السماء من تلك الروزنة، وأمر رأس اليهود رجلاً من أصحابه اسمه قطيبانوس أن يدخل إليه فيقتله، فدخل فلم يَرَ أحداً، وألقى الله عليه شبح المسيح، فخرج إليهم فظنُّوه عيسى فقتلوه وصلبوه.

وقيل: إن عيسى قال لأصحابه: أيّكم يحب أن يُلقى عليه شبهي وهو مقتول؟ فقال رجل منهم: أنا يا روح الله. فأُلقي عليه شبهه، فقُتل وصُلب.

وقيل: إن الذي شُبِّه بعيسى وصُلب رجل إسرائيلي اسمه يوشع.

واختلف العلماء في موته قبل رفعه إلى السماء: فقيل رُفع ولم يمت، وقيل: توفّاه الله ثلاث ساعات وقيل سبع ساعات، ثم أحياه ورفعه، ولمّا رُفع إلى السماء قال الله له: انزل، فلمّا قالوا لشمعون عن المسيح، جحد بكى وأحزنه ذلك. وأتى أحد الحواريين إلى اليهود فدلَّهم على المسيح وأعطوه ثلاثين درهماً فأتى معهم إلى البيت الذي فيه المسيح، فدخله، فرفع الله المسيح وألقى شبهه على الذي دلَّهم عليه، فأخذوه وأوثقوه وقادوه وهم يقولون له: أنت كنت تحيي الموتى وتفعل كذا وكذا فهلَّا تنجِّي نفسك؟ وهو يقول: أنا الذي دلَّكم عليه، فلم يصغوا إلى قوله ووصلوا به إلى الخشبة وصلبوه عليها.

وقيل: إن اليهود لما دلَّهم عليه الحواريّ اتَّبعوه وأخذوه من البيت الذي كان فيه ليصلبوه، فأظلمت الأرض وأرسل الله ملائكته فخالوا بينهم وبينه، وألقى شبه المسيح على الذي دلَّهم عليه، فأخذوه ليصلبوه، فقال: أنا الذي دلَّكم عليه، فلم يلتفتوا إليه فقتلوه وصلبوه عليها. ورفع الله المسيح إليه بعد أن توفّاه ثلاث ساعات، وقيل: سبع ساعات كما ذكرنا، ثم أحياه ورفعه، ثم قال له: انزل إلى مريم فإنه لم يبكِ عليك أحد بكاءها ولم يحزن أحد حزنها. فنزل عليها بعد سبعة أيام، فاشتعل الجبل حين هبط نوراً، وهي عند المصلوب تبكي ومعها امرأة كان أبرأها من الجنون، فقال ما شأنكما تبكيان؟ قالتا: عليك! قال: إني رفعني الله إليه ولم يصبني إلاّ خير، وإن هذا شيء شبِّه لهم، وأمرها فجمعت له الحواريين فبثَّهم في الأرض رسلاً عن الله وأمرهم أن يبلِّغوا عنه ما أمره الله به، ثم رفعه الله إليه وكساه الريش وألبسه النور... وطار مع الملائكة.

وتفرَّق الحواريون حيث أمرهم، فتلك الليلة التي أهبطه الله فيها هي التي تدخن فيها النصارى.

وتعدَّى اليهود على بقية الحواريين يعذِّبونهم ويشتمونهم، فسمع بذلك ملك الروم واسمه هيرودس فانتزع الحواريين من أيدي اليهود وسألهم عن دين عيسى فأخبروه وتابعهم على دينهم واستنزل المصلوب الذي شبِّه لهم فغيَّبه وأخذ الخشبة

التي صُلب عليها فأكرمها وصانها وعدا على بني إسرائيل فقتل منهم قتلى كثيرة، فمن هناك كان أصل النصرانية في الروم...

(ابن الأثير ١:٣١٣ وما بعدها)

* * *

صلب غيلان القَدَري

هو غيلان بن مسلم الدمشقي، كاتب من البلغاء، تنسب إليه فرقة «الغيلانية» من القدرية، وهو ثاني من تكلَّم في القدر ودعا إليه، لم يسبقه سوى معبد الجهني.

قال الشهرستاني في الملل والنحل: كان غيلان يقول: بالقدر خيره وشرّه من العبد، وفي الإمامة، إنها تصلح في غير قريش، وكان من كان قائماً بالكتاب والسنّة، فهو مستحق لها، ولا تثبت إلّا بإجماع الأمة.

قيل: تاب عن القول بالقدر على يد عمر بن عبد العزيز، فلما مات عمر جاهر بمذهبه، فطلبه هشام بن عبد الملك، وأحضر الأوزاعي لمناظرته، فأفتى الأوزاعي بقتله، فصُلب على باب كيسان بدمشق.

(راجع الأعلام للزركلي ٥:١٢٤ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ٢٤٣)

* * *

صلب فَرْوة بن عمرو الجُذاميّ

في سنة عشر، أرسل فَرْوة بن عمرو الجُذاميّ، ثمّ النُّفاثيّ رسولاً إلى رسول الله ﷺ، بإسلامه وأهدى له بغلة بيضاء، وكان فروة عاملاً للروم على مَنْ يليهم من العرب، وكان منزله مُعان في أرض الشام، فلمّا بلغ الروم إسلامه طلبوه حتى أسروه، فحبسوه، فقال في محبسه ذلك:

طرقَتْ سُلَيْمى مَوْهناً فشَجاني ... والرّومُ بينَ البابِ والقرْبانِ
صدّ الخيالُ وساءهُ ما قد رآني ... وهممتُ أن أُغفي وقد أبكاني
لا تكحلِنَّ العينَ بعدي إثمداً ... سَلْمَى ولا تَدْنِنَّ للإنسانِ

فلمّا اجتمعت الروم لصلبه على ماء لهم يقال لهم عِفْرَى، بفلسطين، قال:

ألا هَـلْ أتى سَلْمَـى بـأنّ خَـليـلَهـا   على ماء عِفرَى فـوْق إحدى الـرّواحلِ
على نـاقـةٍ لم يلقـح الفحـلُ أمّهـا   مشـذّبـةٍ أطـرافُهـا بـالـمَنـاجـلِ

وهذا من أبيات المعاني، فلمّا قدموه ليصلبوه، قال:

بلِّغْ سَـرَاةَ المسلمينَ بـأنّني   سَلْمٌ لـرَبّي أعْظُمي ومقـامي

ثمّ ضربوا عنقه وصلبوه.

(ابن الأثير ۲ :۲۹۷)

* * *

صلب قاضي ميّافارقين وابن الطبري

ذكر صاحب تجارب الأمم (:۳۹۰)، أنه في السنة ٣٦٨، حصر جيش عضد الدولة مدينة ميّـا فارقين وفتحهـا بالأمـان، واستثني من الأمان قـاضي البلدة وغلامـاً يُعرف بابن الطبري، كانا أثناء الحصار يسرفان في شتم عضد الدولـة، فلما أخـذا، ضربت رقبتاهما وصلبا على البرج الذي كانا يظهران عليه ويشتمان.

* * *

صلب قواد الزنج

روى الطبري، قال:

في السنة ٢٧٢، كانت للزنج حركة بواسط، فصاحوا: أنكـلاي، يا منصـور، وأنكلاي هو ابن صاحب الزنج، وكان قد أودع الحبس بعد مقتل أبيه، ومعه جماعة من قـوّاد الـزنـج، منهم: علي بن أبـان المهلّبـي وإبـراهيم بن جعفـر الهمـذاني، وسليمـان بن جامـع، والشعراني، وكـانوا قـد حبسوا في دار محمـد بن عبـد الله بن طاهر في دار السلام، وفي دار البطيخ، في يد غلام من غلمان المـوفّق، يقال لـه: فتح السعيدي، فكتب الموفّق إلى فتح، أن يوجّه إليه برؤوس هؤلاء الستة، فدخـل إليهم، وجعل يخرج الأول فالأول منهم، فذبحهم غلام له، وقلع رأس بـالوعـة في الدار، وطرحت أجسادهم فيها وسدّ رأسها، ووجّه برؤوسهم إلى الموفّق.

ثم ورد كتاب الموفّق على محمد بن عبد الله بن طاهر، أمير بغداد، أن يصلب جثث هؤلاء الستة، فأخرجوا من البالوعة وقد انتفخوا، وتغيّرت روائحهم، وتقشّر بعض جلودهم، فحملوا في المحامل، المحمل بين رجلين، وصلب ثلاثة منهم بالجانب الشرقي، وثلاثة بالجانب الغربي، وركب محمد، حتى صلبوا بحضرته.

وجاء في شرح نهج البلاغة، أنه لما قتل صاحب الزّنج علي بن محمد الورزنيني، أمر أبو أحمد الموفّق برفع رأس صاحب الزنج على قناة، وانصرف إلى الموفقية، ورأس صاحب الزنج منصوب بين يديه على قناة في شذاة، وسليمان بن جامع والهمذاني، من كبار قوّاد صاحب الزنج مصلوبين أحياء في شذاتين على جانبيه حتى وافى قصره بالموفقية.

(شرح نهج البلاغة ٨: ٢١٠)

* * *

صلب الكرمانيّ

في سنة ثمانٍ وعشرين ومائة، كان الكرمانيّ قد قتل الحارثَ بن سُرَيْج؛ ولمّا قتله خلصت له مرو وتنحّى نصر بن سيّار عنها، فأرسل نصرٌ إليه سالمَ بن أحْوَز في رابطته وفرسانه، فوجد يحيى بن نُعَيْم الشيبانيّ واقفاً في ألف رجل من ربيعة، ومحمَّدَ بن المثنى في سبعمائة من فرسان الأزد، وابنَ الحسن بن الشيخ في ألف من فتيانهم، والجَرْميّ السعديّ في ألف من أبناء اليمن. فقال سالم لمحمّد بن المثنّى: يا محمّد، قل لهذا الملّاح ليخرج إلينا؛ يعني الكرمانيّ. فقال محمّد: يا ابن الفاعلة، لأبي عليّ تقول هذا! واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم سالم بن أحْوز وقُتل من أصحابه زيادة على مائة، ومن أصحاب الكرمانيّ زيادة على عشرين.

فلمّا قدم أصحاب نصر عليه منهزمين، قال له عِصْمة بن عبد الله الأسديّ: يا نصرُ، شأمت العرب! فأمّا إذ فعلتَ ما فعلتَ، فشمّر عن ساق، فوجّه عِصْمة في جمع، فوقف سالم فنادى: يا محمّد بن المثنّى! لتعلمنَّ أن السمك لا يأكل اللُّخم؛ واللُّخم دابّة من دواب الماء تشبه السبع يأكل السمك. فقال له محمّد:

يـا ابن الفاعلة، قف لنـا إذاً! وأمر محمّـد السعـديّ، فخـرج إليـه في أهـل اليمن، فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزم عِصْمة حتى أتى نصراً وقد قُتل من أصحابه أربعمائة.

ثمّ أرسل نصرٌ مالكَ بن عمرو التميميّ في أصحابـه، فنادى، يـا ابن المثنّى، ابرزْ إليَّ! فبرز إليه، فضربه مالك على حبل عاتقه، فلم يصنع شيئاً، وضربه محمّـد بعمود، فشج رأسه، والتحم القتال، فـاقتتلوا قتالاً شـديداً، وانهـزم أصحاب نصـر وقد قُتل منهم سبعمائة، ومن أصحاب الكرمانيّ ثلاثمائة، ولم يزل الشرّ بينهم حتّى خرجوا إلى الخندقَيْن، فاقتتلوا قتالاً شديداً.

فلمّا استيقن أبو مسلم أنّ كـلا الفريقَيْن قـد أثخن صاحبـه وأنّه لا مـدد لهم، جعـل يكتب إلى شيبـان ثمّ يقـول للرسـول: اجعـلْ طـريقـك على مُضَـر، فـإنّهم سيأخذون كتبك، فكانوا يأخذونها فيقـرأون فيها: إنّي رأيتُ أهـلَ اليمن لا وفاء لهم ولا خير فيهم، فلا تثقنَّ بهم ولا تطمئننّ إليهم، فإنّي أرجو أن يُريـك الله في اليمانيّـة ما تحبّ، ولئن بقيتُ لا أدع لها شَعراً ولا ظُفراً. ويرسل رسولاً آخر بكتـاب فيه ذكـر مُضَـر بمثل ذلـك ويأمـر الرسـولَ أن يجعل طـريقه على اليمـانيّة، حتّى صـار هوى الفريقَيْن معه، ثمّ جعل يكتب إلى نصر بن سيّار وإلى الكرمانيّ: إنّ الإمام أوصاني بكم ولست أعـدو رأيه فيكم. وكتب إلى الكُـوَر بإظهـار الأمر؛ فكـان أوّل مَنْ سـوَّد أسيد بن عبد الله الخُزاعيّ بنسا، ومقاتل بن حكيم، وابن غزوان، ونادوا: يا محمّد! يا منصور! وسوَّد أهل أبيورد وأهل مرو الرُّوذ وقرى مرو.

وأقبل أبو مسلم حتّى نزل بين خندق الكرمانيّ وخندق نصر، وهابه الفريقان، وبعث إلى الكـرمانيّ: إنّي معك. فقبل ذلـك الكرمـانيّ، فانضمَّ أبـو مسلم إليـه، فاشتدَّ ذلك على نصر بن سَيّار، فأرسـل إلى الكرمـانيّ: ويحك لا تغتـرّ! فوالله إنّي لخائف عليك وعلى أصحابك منه، فأدخل مروَ ونكتب كتاباً بيننا بالصلح. وهو يريد أن يفرِّق بينه وبين أبـي مسلم، فدخل الكرمانيّ، فنزله وأقام أبو مسلم في العسكر، وخرج الكرمانيّ حتّى وقف بالرحبة في مائة فارس وعليه قُـرْطق، وأرسل إلى نصـر: اخرجْ لنكتب بيننا ذلك الكتاب، فأبصر نصـر منه غِـرَّة، فوجَّـه إليه ابن الحـارث بن سُرَيْج في نحو ثلاثمائة فارس في الرّحبة، فالتقوا بها طويلاً، ثمّ إنّ الكـرمانيّ طُعن

في خاصرته، فخرَّ عن دابَّته وحماه أصحابه حتّى جاءهم ما لاقِبل لهم به، فقتل نصر بن سيّار الكرمانيّ وصلبه وصلب معه سمكة.

(ابن الأثير ٥ : ٣٦٣)

* * *

صلب كورصول ملك سمرقند

في سنة إحدى وعشرين ومائة، غزا نصر بن سيّار إلى الشاش من مرو، فحال بينه وبين عبور نهر الشاش كورصول في خمسة عشر ألفاً، وكان معهم الحارث بن سُرَيج، وعبر كورصول في أربعين رجلاً، فخرج عاصم بن عمير، وهو على جند سمرقند، فمرَّت به خيلُ الترك، فحمل على رجل في آخرهم فأسره، فإذا هو ملك من ملوكهم، صاحب أربعة آلاف قبّة، فأتى به إلى نصر، فقال له نصر: من أنت؟ قال: كورصول. فقال نصر: الحمد لله الذي أمكن منك يا عدوّ الله... فقتله وصلبه ثم أحرقت التركُ أبنيته، وقطعوا آذانهم، وقصُّوا شعورهم وأذناب خيلهم، فلمّا أراد نصر الرجوع أحرقه لئلا يحملوا عظامه، فكان ذلك أشدّ عليهم من قتله.

وكتب يوسف بن عمر إلى نصر: سرْ إلى هذا الخارز ذنبه في الشاش، يعني الحارث بن سُرَيْج، فإن أظفرك اللّهُ به وبأهل الشاش، فخرِّبْ بلادهم واسبِ ذراريهم، وإيّاك وورطة المسلمين. فقرأ الكتاب على الناس واستشارهم، فقال يحيى بن الحُضَيْن: امضِ لأمر أمير المؤمنين، وأمر الأمير، فقال نصر: يا يحيى، تكلّمتَ بكلمة أيّام عاصم بلغت الخليفة، فحظيتَ بها وبلغت الدرجة الرفيعة، فقلتَ أقول مثلها، سرْ يا يحيى فقد ولّيتك مقدّمتي؛ فلامَ الناسُ يحيى، فسار إلى الشاش، فأتاهم الحارث، فنصب عليهم عرّادتَيْن، وأغار الأخْرم، وهو فارس الترك، على المسلمين، فقتلوه وألقوا رأسه إلى الترك، فصاحوا وانهزموا.

وسار نصر إلى الشاش، فتلقّاه ملكها بالصلح والهديّة والرهن، واشترط عليه نصر إخراج الحارث بن سُرَيج عن بلده، فأخرجه إلى فاراب واستعمل على الشاش نيزك بن صالح مولى عمر بن العاص.

(ابن الأثير ٥ : ٢٣٦)

* * *

قصة صلب مازيار وآخرين

في سنة أربع وعشرين ومائتين، أظهر مازيار بن قارن بن وَنداد هُرمُز الخلاف على المعتصم بطَبرسْتان، وعصى وقاتل عساكره.

وكان سببه أنّ مازيار كان منافراً عبد الله بن طاهر لا يحمل إليه خراجه، وكان المعتصم يأمره بحمله إلى عبد الله، فيقول: لا أحمله إلاّ إليك، وكان المعصتم ينفذ مَنْ يقبضه من أصحاب مازيار بهمَذَان، ويسلِّمه إلى وكيل عبد الله بن طاهر يردّه إلى خراسان.

وعظُم الشرّ بين مازيار وعبد الله، وكان عبد الله يكتب إلى المعتصم، حتّى استوحش من مازيار، فلمّا ظفر الأفشين ببابَك، وعظم محلّه عند المعصتم، طمع في ولاية خراسان، فكتب إلى مازيار يستميله، ويظهر له المودَّة، ويُعْلمه أنّ المعتصم قد وعده ولاية خراسان، ورجا أنّه إذا خالف مازيار سيَّره المعتصم إلى حربه، وولاّه خراسان، فحمل ذلك مازيار على الخلاف، وترك الطاعة، ومنع جبالَ طَبَرستان، فكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر يأمره بمحاربته، وكتب الأفشين إلى مازيار يأمره بمحاربة عبد الله، وأعلمه أنّه يكون له عند المعتصم كما يحبّ، ولا يشكّ الأفشين أنّ مازيار يقوم في مقابلة ابن طاهر، وأن المعصتم يحتاج إلى إنفاذه وإنفاذ عساكر غيره.

فلمّا خالف، دعا النّاس إلى البَيعة، فبايعوه كرهاً، وأخذ الرهائن فحبسهم، وأمر أكرة الضياع بانتهاب أربابها. وكان مازيار أيضاً يكاتب بابَك، واهتمَّ مازيار بجمع الأموال من تعجيل الخراج وغيره، فجبَى في شهرين ما كان يؤخذ في سنة، ثمّ أمر قائداً له يقال له سرخاستان، فأخذ أهل آمل، وأهل سارية جميعهم، فنقلهم إلى جبل على النصف ما بين سارية وآمل، يقال له هُرْمُزاباذ، فحبسهم فيه، وكانت عدَّتهم عشرين ألفاً، فلمّا فعل ذلك تمكّن من أمره، وأمر بتخريب سور آمل، وسور سارية، وسور طميس، فخربت الأسوار.

وبنى سرخاستان سوراً من طَميسَ إلى البحر، مقدار ثلاثة أميال، كانت الأكاسرة بنَته لتمنع الترك من الغارة على طَبَرستان، وجعل له خندقاً، ففزع أهل

جُرجان، وخافوا، فهرب بعضهم إلى نَيسابور، فأنفذ عبد الله بن طاهر عمَّه الحسن بن الحسين بن مصعب في جيش كثيف لحفظ جُرجان، وأمره أن ينزل على الخندق الذي عمله سرخاستان، فسار حتّى نزله، وصار بينه وبين سرخاستان صاحب الخندق، ووجَّه أيضاً ابن طاهر حيّان بن جَبَلة في أربعة آلاف إلى قُومِس، فعسكر على حدِّ جبال شَرْوين، ووجَّه المعتصم من عنده محمّد بن إبراهيم بن مصعب أخا إسحاق بن إبراهيم، ومعه الحسن بن قارن الطبَريّ، ومن كان عنده من الطبريّة، ووجَّه المنصور بن الحسن صاحب دُنْباوند إلى الريّ ليدخل طَبَرستان من ناحية الريّ، ووجّه أبا الساج إلى اللارز ودُنباوند.

فلمّا أحدقت الخيل بمازيار من كلِّ جانب، كان أصحاب سرخاستان يتحدَّثون مع أصحاب الحسن بن الحسين، حتّى استأنس بعضهم ببعض، فتوامر بعض أصحاب الحسن في دخول السور، فدخلوه إلى أصحاب سرخاستان على غفلة من الحسن، ونظر النّاس بعضهم إلى بعض، فثاروا، وبلغ الخبر إلى الحسن، فجعل يصيح بالقوم، ويمنعهم خوفاً عليهم فلم يقفوا، ونصبوا علمه على معسكر سرخاستان؛ وانتهى الخبر إلى سرخاستان وهو بالحمّام، فهرب في غلالةٍ، وحيث رأى الحسن أنّ أصحابه قد دخلوا السور، قال: اللهمّ إنّهم عصوني وأطاعوك، فانصرهم.

وتبعهم أصحابه حتّى دخلوا إلى الدرب من غير مانع، واستولوا على عسكر سرخاستان، وأُسر أخوه شهريار، ورجع النّاس عن الطلب لما أدركهم اللّيل، فقتل الحسن شهريار، وسار سرخاستان حافياً فجهده العطش، فنزل عن دابَّته وشدَّها، فبصر به رجل من أصحابه، وغلام اسمه جعفر، وقال سرخاستان: يا جعفر! اسقني ماء، فقد هلكتُ عطشاً؛ فقال: ليس عندي ما أُسقيك فيه.

قال: واجتمع إليّ عدّة من أصحابي، فقلتُ لهم: هذا الشيطان قد أهْلَكنا، فَلِمَ لا نتقرَّب إلى السلطان به، ونأخذ لأنفسنا الأمان؟ فشاورناه، وكتفناه، فقال لهم: خذوا منّي مائة ألف درهم واتركوني، فإنَّ العرب لا تُعْطيكم شيئاً؛ فقالوا: أحضرْها! فقال: سيروا معي إلى المنزل لتقبضوها، وأعطيكم المواثيق على الوفاء،

فلم يفعلوا، وساروا به نحو عسكر المعتصم، ولقيتهم خيل الحسن بن الحسين، فضربوهم، وأخذوه منهم، وأتوا به الحسن، فأمر به، فقُتل.

ووجَّه الحسن برأس سرخاستان إلى عبد الله بن طاهر، وكان حيّان بن جَبَلة مولى عبد الله بن طاهر قد أقبل مع الحسن، كما ذكرنا، وهو بناحية طَميس، وكاتب قارنَ بن شهريار، وهو ابن أخي مازيار، ورغَّبه في المملكة، وضمن له أن يملِّكه على جبال أبيه وجدِّه، وكان قارن من قوّاد مازيار، وقد أنفذه مازيار مع أخيه عبد الله بن قارن، ومعه عدّة من قوّاده، فلمّا استماله حيّان ضمن له قارن أن يسلِّم إليه الجبال ومدينة سارية إلى حدود جُرجان، على هذا الشرط، وكتب بذلك حَيّان إلى عبد الله بن طاهر، فأجابه إلى كلّ ما سأل، وأمر حيّان أن لا يوغل حتّى يستدلَّ على صدق قارن، لئلا يكون منه مكر؛ وكتب حيّان إلى قارن بإجابة عبد الله، فدعا قارن بعمّه عبد الله بن قارن، وهو أخو مازيار، ودعا جميع قوّاده إلى طعامه، فلمّا وضعوا سلاحهم، واطمأنّوا أحدق بهم أصحابه في السلاح، وكتفهم ووجّه بهم إلى حَيّان، فلمّا صاروا إليه استوثقَ منهم، وركب في أصحابه حتّى دخل جبال قارن.

وبلغ الخبر مازيار، فاغتمَّ لذلك، فقال له القوهيار: في حبسك عشرون ألفاً من بين حائك، وإسكاف، وحدّاد، وقد شغلت نفسك بهم، وإنّما أُتيت من مأمنك وأهل بيتك، فما تصنع بهؤلاء المحبَّسين عندك؟ قال: فأطلق مازيار جميع مَنْ في حبسه، ودعا جماعة من أعيان أصحابه، وقال لهم: إنَّ بيوتكم في السهل، وأخاف أن يؤخذ حُرَمكم وأموالكم، فانطلقوا وخذوا لأنفسكم أماناً، ففعلوا ذلك.

ولما بلغ أهلَ سارية أخْذُ سرخاستان ودخول حيّان جبل شَروين، وثبوا على عامل مازيار بسارية، فهرب منهم، وفتح النّاس السجن، وأخرجوا مَنْ فيه، وأتى حيّان إلى مدينة سارية، وبلغ قوهيارَ أخا مازيار الخبر، فأرسل إلى حَيّان مع محمّد بن موسى بن حفص يطلب الأمان، وأن يملك على جبال أبيه وجدّه ويسلِّم إليه مازيار، فحضر عند حَيّان ومعه أحمد بن الصّقر، وأبلغاه الرسالة، فأجاب إلى ذلك.

فلمّا رجعا، رأى حَيّان تحت أحمد فرساً حسناً، فأرسل إليه وأخذه منه،

فغضب أحمد من ذلك، وقال: هذا الحائك العبد يفعل بشيخ مثلي ما فعل! ثمّ كتب إلى قوهيار: ويحَك! لِمَ تغلظ في أمرك وتترك مثل الحسن بن الحسين عمّ الأمير عبد الله بن طاهر، وتَدْخل في أمان هذا العبد الحائك، وتدفع إليه أخاك، وتضع قدرك، وتُحقد عليك الحسنَ بتركك إيّاه، وبميلك إلى عبد من عبيده؟

فكتب إليه قوهيار: أراني قد غلطتُ في أوّل الأمر، ووعدت الرجل أن أصير إليه بعد غد، ولا آمن إن خالفتُهُ أن يناهضني ويستبيح دمي ومنزلي وأموالي، وإن قاتلتُه فقتلتُ من أصحابه، وجرت الدماء فسد كلُّ ما عملناه، ووقعت الشحناء.

فكتب إليه أحمد: إذا كان يوم الميعاد، فابعثْ إليه رجلًا من أهلك، واكتبْ إليه أنّه قد عرضت علّة منعتْني من الحركة، وأنّك تتعالج ثلاثة أيّام، فإن عوفيت، وإلّا سرتُ إليك في محمل، وسنحمله نحن على قبول ذلك، فأجابه إليه، وكتب أحمد بن الصقر، ومحمّد بن موسى بن حَفص إلى الحسن بن الحسين، وهو بطَميس: أن أقدمْ علينا لندفع إليك مازيار والخيلَ وإلّا فاتك؛ ووجّها الكتاب إليه مع مَنْ يستحثُّه.

فلما وصل الكتاب، ركب من ساعته، وسار مسيرة ثلاثة أيّام في ليلة، وانتهَى إلى سارية، فلمّا أصبح تقدَّم إلى خُرَّماباذ، وهو الموعد بين قوهيار وحيّان، وسمع حَيّان طبول الحسن، فتلقّاه على فرسخ، فقال له الحسن: ما تصنع ها هنا؟ ولِمَ توجه إلى هذا الموضع؟ وقد فتَحت جبال شَروين وتركتها، فما يؤمنك أن يغدر أهلها، فينتقض جميع ما عملنا؟ ارجعْ إليهم حتّى لا يمكنهم الغدر إن همّوا به. فقال حيّان: أريد أن أحمل أثقالي وآخذ أصحابي؛ فقال له الحسن: سِرْ أنت، فأنا باعث بأثقالك وأصحابك.

فخرج حيّان من فوره، كما أمره، وأتاه كتاب عبد الله بن طاهر أن يعسكر بكور، وهي من جبال ونداد هرمز وهي أحصنها، وكانت أموال مازيار بها، فأمر عبدُ الله بن طاهر أن لا يمنع قارن ممّا يريد من الأموال والجبال، فاحتمل قارن ممّا كان بها وبغيرها من أموال مازيار وسرخاستان، وانتقض على حيّان ما كان عمله بسبب شرهه إلى ذلك الفرس، وتوفيّ بعد ذلك حيّان، فوجّه عبد الله مكانه عمّه

محمّد بن الحسين بن مُصعب، وسار الحسن بن الحسين إلى خُرّماباذ، فأتاه محمّد بن موسى بن حفص، وأحمد بن الصقر، فشكرهما وكتب إلى قوهيار، فأتاه، فأحسن إليه الحسن، وأكرمه، وأجابه إلى جميع ما طلب إليه منه لنفسه وتواعدوا يوماً يحضر مازيار عنده.

ورجع قوهيار إلى مازيار، فأعلمه أنّه قد أخذ له الأمان، واستوثق له. وركب الحسن يوم الميعاد وقت الظهر، ومعه ثلاثة غلمان أتراك، وأخذ إبراهيم بن مهران يدلّه على الطريق إلى أُرم، فلمّا قاربها خاف إبراهيم، وقال: هذا موضع لا يسلكه إلّا ألف فارس، فصاح به: امضِ! قال: فمضيتُ وأنا طائش العقل، حتّى وافينا أُرم، فقال: أين طريق هُرمُزاباذ؟ قلتُ: على هذا الجبل في هذا الطريق، فقال: سِرْ إليها! فقلتُ: اللّهَ اللّهَ في نفسك وفينا، وفي هذا الخلق الذين معك، فصاح: امضِ يا ابن اللخناء! فقلتُ: اضربْ عنقي أحبّ إليَّ من أن يقبّلني مازيار، ويلزمني الأمير عبد الله الذنب، فانتهرني حتّى ظننتُ أنّه يبطش بي، فسرت وأنا خائف، فأتينا هرمزاباذ مع اصفرار الشمس، فنزل، فجلس ونحن صيام.

وكانت الخيل قد تقطّعت لأنّه ركب بغير علم النّاس، فعلموا بعد مسيره. قال: وصلّينا المغرب، وأقبل اللّيل، وإذا بفرسان بين أيديهم الشمع مشتعلاً، مقبلين من طريق لبورة، فقال الحسن: أين طريق لبورة؟ فقلتُ: أرى عليه فرساناً ونيراناً، وأنا داهش، لا أقف على حقيقة الأمر، حتى قربت النيران، فنظرتُ، فإذا المازيار مع القوهيار، فنزلا، وتقدّم مازيار، فسلّم على الحسن، فلم يردّ عليه السلام، وقال لرجلَين من أصحابه: خذاه إليكما، فأخذاه، فلمّا كان السحر وجّه الحسن مازيار معهما إلى سارية، وسار الحسن إلى هُرمزاباذ، فأحرق قصر مازيار، وأنهب ماله وسار إلى خُرّماباذ، وأخذ إخوة مازيار، فحُبسوا هنالك، ووكّلوا بهم، وسار إلى مدينة سارية، فأقام بها، وحُبس مازيار.

ووصل محمّد بن إبراهيم بن مُصعَب إلى الحسن بن الحسين، فسار ليناظره في معنى المال الذي لمازيار وأهله، فكتب إلى عبد الله بن طاهر، فأمر الحسنَ بتسليم مازيار وأهله إلى محمّد بن إبراهيم ليسير بهم إلى المعتصم، وأمره أن

يستقصي على أموالهم ويحرزها، فأحضر مازيار وسأله عن أمواله، فذكر أنّها عند خزّانه، وضمن قوهيار ذلك، وأشهد على نفسه، وقال مازيار: اشهدوا عليَّ أنّ جميع ما أخذتُ من أموالي ستّة وتسعون ألف دينار، وسبعة عشرة قطعة زمرّد، وستّ عشرة قطعة ياقوت، وثمانية أحمال من ألوان الثياب، وتاج، وسيف مذهَّب بجوهر، وخنجر من ذهب مُكَلَّل بالجوهر، وحقّ كبير مملوء جوهراً، قيمته ثمانية عشر ألف ألف درهم، وقد سلّمت ذلك إلى خازن عبد الله بن طاهر، وصاحب خبره على العسكر.

وكان مازيار قد استخلف هذا ليوصله إلى الحسن بن الحسين ليظهر للنّاس والمعتصم أنّه آمنه على نفسه، وماله، وولده، وأنّه جعل له جبال أبيه، فامتنع الحسن من قبوله، وكان أعفّ النّاس.

فلمّا كان الغد، أنفذ الحسن مازيار إلى المعتصم مع يعقوب بن المنصور، ثمّ أمر الحسن قوهيار أن يأخذ بغاله ليحمل عليها مال مازيار، فأخذها، وأراد الحسن أن ينفذ معه جيشاً، فقال: لا حاجة لي بهم.

وسار هو وغلمانه، فلمّا فتح الخزائن، وأخرج الأموال وعبّأها ليحملها، وثب عليه مماليك المَرزُبان، وكانوا ديالمة، وقالوا: غدرتَ بصاحبنا، وأسلمتَهُ إلى العرب، وجئت لتحمل أمواله! وكانوا ألفاً ومائتين، فأخذوه وقيّدوه، فلمّا جنّهم الليل، قتلوه، وانتهبوا الأموال والبغال، فانتهَى الخبر إلى الحسن بن الحسين، فوجّه جيشاً، ووجّه قارن جيشاً، فأخذ أصحاب قارن منهم عدّة منهم ابن عمّ مازيار يقال له: شهريار بن المصمغان، وكان هو يحرّضهم، فوجّهه قارن إلى عبد الله بن طاهر، فمات بقُومس.

وعلم محمّد بن إبراهيم خبرهم، فأرسل في أثرهم، فأُخذوا، وبعث بهم إلى مدينة سارية.

وقيل أنّ السبب في أخذ مازيار كان ابن عمّ له اسمه قوهيار، كان له جبال طَبَرستان، وكان لمزيار السهل؛ وجبال طبرستان ثلاثة أجبل: جبل وَندادهُرمُز،

وجبل أخيه ونداسَنجان، والثالث جبل شَـروين بن سرخـاب، فقوي مـازيار، وبعث إلى ابن عمِّه قوهيار، وقيل هو أخوه، فألزمه بابه، وولّى الجبل والياً من قبله يقال له درّي، فلمّا خالف مـازيار واحتـاج إلى الرجـال دعا قـوهيار، وقـال له: أنت أعـرف بجبلك من غيـرك، وأظهره على أمـر الأفشين، ومكاتبتـه، وأمره بـالعـود إلى جبله، وحفظه، وأمر الدرّي بالمجيء إليه، فأتاه، فضمَّ إليه العساكر، ووجَّهه إلى محاربة الحسن بن الحسين، عمّ عبد الله بن طاهر.

وظنَّ مازيار أنّه قد استوثق من الجبل بقوهيار، وتـوثّق من المواضـع المخوفـة بدرّي وعساكره، واجتمعت العساكر عليه، كما تقدَّم ذكره، وقربت منه.

وكان مازيار في مدينته، في نفر يسير، فدعا قوهيار الحقدُ الذي في قلبه على مازيار وما صنع به، إلى أن كاتب الحسن بن الحسين، وأعلمه جميع مـا في عسكره ومكاتبة الأفشين، فأنفذ الحسن كتاب قوهيار إلى عبد الله بن طاهر، فأنفذه عبـد الله إلى المعتصم، وكاتب عبدُ الله والحسنُ قوهيارَ، وضمنّا له جميع ما يريد، وأن يعيد إليه جبله، وما كان بيده لا ينازعه فيه أحد، فرضي بذلك، وواعدهم يـوماً يسلِّم فيـه الجبل.

فلمّا جاء الميعاد، تقدَّم الحسن فحارب درّي، وأرسل عبد الله بن طاهر جيشاً كثيفاً، فوافوا قوهيارَ، فسلَّم إليهم الجبل، فـدخلوه، ودرّي يحارب الحسنَ ومـازيار في قصره، فلم يشعر مازيار إلاّ والخيل على باب قصره، فأخذوه أسيراً.

وقيل أنَّ مازيار كان يتصيَّد، فأخـذوه وقصدوا بـه نحو درّي وهـو يقاتـل، فلم يشعر هو وأصحـابه إلاّ وعسكـر عبد الله من ورائهم، ومعهم مـازيار، فـانـدفـع درّي وعسكره، واتَّبعوه، وقتلوه، وأخذوا رأسه وحملوه إلى عبد الله بن طاهر، وحملوا إليه مـازيار، فـوعده عبـد الله بن طاهـر إن هـو أظهـره على كتب الأفشين أن يسـأل فيـه المعتصم ليصفح عنه، فأقرَّ مـازيار بـذلك، وأظهـر الكتب عند عبـد الله بن طاهـر، فسيَّرها إلى إسحاق بن إبراهيم، وسيَّر مازيار، وأمره أن لا يسلِّمها إلاّ من يده إلى يد المعتصم، ففعـل إسحاق ذلـك، فسـأل المعتصم مـازيـار عن الكتب، فـأنكـرهـا،

فضربه حتى مات، وصلبه إلى جانب بابَك.

(راجع ابن الأثير ٦: ٤٩٥ وما بعدها)

* * *

مدَّعي النبوّة بالأندلس

في سنة سبع وثلاثين ومائتين، قام رجلٌ بالأندلس بناحية الثغور وادَّعى النبوّة وتأوَّل القرآن على غير تأويله، فتبعه قوم من الغوغاء، فكان من شرائعه أنّه كان ينهى عن قصِّ الشعر وتقليم الأظفار، فبعث إليه عامل ذلك البلد، فأُتي به، وكان أوَّل ما خاطبه به أن دعاه إلى اتِّباعه، فأمره العامل بالتوبة، فامتنع فصلبه.

* * *

صلب محمد بن علي

في سنة ثماني عشرة ومائة وجَّه بُكَيْرُ بن هامان عَمّارَ بن يزيد إلى خُراسان والياً على شيعة بني العبّاس، فنزل مرو وغيَّر اسمه وتسمّى بخِداش، ودعا إلى محمّد بن عليّ، فسارع إليه الناسُ وأطاعوه، ثمّ غيَّر ما دعاهم إليه وتكذَّب، وأظهر دين الخرّميّة ودعا إليه، ورخَّص لبعضهم في نساء بعض، وقال لهم: إنّه لا صوم ولا صلاةَ ولا حجّ، وإنّ تأويل الصوم أن يصام عن ذكر الإمام فلا يباح باسمه، والصلاة الدعاء له، والحجّ القصد إليه، وكان يتأوَّل من القرآن قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. وكان خِداش نصرانيّاً بالكوفة، فأسلم ولحق بخراسان.

وكان ممَّنْ اتبعه على مقالته، مالك بن الهَيْثم والحَريش بن سُلَيْم الأعجميّ وغيرهما، وأخبرهم أنّ محمّد بن عليّ أمر بذلك.

فبلغ خبرُه أسدَ بن عبد الله، فظفر به، فأغلظ القول لأسد، فقطع لسانه وسمل عينَيْه، وقال: الحمد لله الذي انتقم لأبي بكر وعمر منك! وأمر يحيى بن نُعَيْم الشيبانيّ، فقتله وصلبه بآمُل، وأُتي أسد بجذور مولى المهاجر بن دارة الضّبيّ، فضرب عنقه بشاطىء النهر.

* * *

صلب محمود البواب

جاء في خلاصة الأثر (٢ : ٤١)، أنه في السنة ٩٨٨، مات بدمشق شخص اسمه محمود بن يونس بن شاهين الأعور، فتزوَّج أحد الأجناد الدمشقيين واسمه يوسف السقّا بزوجة الأعور المتوفّى وسافر إلى اصطنبول، وتقدَّم إلى السلطان بشكوى خلاصتها أن الأعور مات عن تركة مقدارها ثلاثة وثلاثين ألف دينار، وليس له وارث، فهي من حق بيت المال، ولكن بعض القضاة وسمّاهم، اتفقوا مع الترجمان، واقتسموا التركة فيما بينهم، بعد أن نصبوا له بطريق التزوير وارثاً، فوجَّه السلطان أحد موظفي بلاطه واسمه محمودَ البواب للتحقيق في الموضوع، فلما وافى الشام ألقى القبض على القضاة، وفرَّ أحدهم إلى طرابلس، فأحضره البواب وأدخله إلى دمشق وعلى رأسه قلنسوة نصراني، وفي رجليه القيود وفي عنقه الغلّ. أما القضاة الباقون، فإن البواب وضع الزناجير في رقابهم واستولى على جميع ما يملكونه، وعاقبهم معاقبة بالغة، ثم صادر جميع أعيان دمشق ووجوهها، وأخذ منهم أموالاً عظيمة، فشكوه إلى السلطان، فخرج الأمر السلطاني بقتله، فأحضره الوزير حسن باشا، والي الشام، وعقد له مجلساً حضره القضاة ورجال الدولة، وأحضروا من كان في حبس البواب على صورتهم والقيود والأغلال في أعناقهم.

ولمّا أحضر البواب إلى المجلس، نُزعت عنه كسوة السلطان، وأُلبس قلنسوة نصراني وأُقيمت عليه البيِّنة بتحقير العلماء، وحكم عليه القاضي بالقتل، فأنزلوه. ولمّا تحقَّق البواب أنه مقتول، طلب إمهاله ليغتسل، فأُمهل حتى اغتسل، وصلّى ركعتين، وصُلب في خشب الأرجوحة المنصوبة على باب دار الإمارة.

* * *

صلب مزدك وبعض الزنادقة

لمّا لبس كسرى أنوشروان بن قُباذ التاجَ، خطبَ الناسَ، فحمد الله وأثنى عليه وذكر ما ابتُلوا به من فساد أمورهم ودينهم وأولادهم، وأعلمهم أنّه يُصْلح ذلك، ثم أمر برؤوس المزدكيّة، فقُتلوا وقسمت أموالهم في أهل الحاجة.

وكـان سبب قتلهم، أنّ قُباذ كـان قد اتبـع مزدك على دينـه وما دعـاه إليـه من الزندقة. فقد استحلّ المحارم والمنكرات، وسوّى بين النّـاس في الأموال والأمـلاك والنساء والعبيد والإمـاء حتّى لا يكون لأحـد على أحد فضـل في شيء البتّة، فكـان مزدك يأخذ امرأة هذا، فيسلّمها إلى الآخر، وكذا في الأموال والعبيد والإماء وغيرهـا من الضياع والعقار، فاستولى وعظُم شأنُـه وتبعه الملك قُبـاذ. وكانت أمّ أنـو شروان يوماً بين يديّ قُباذ، فدخل عليـه مزدك. فلمّـا رأى أمّ أنو شـروان قال لقبـاذ: ادفعها إليّ لأقضي حاجتي منها. فقـال: دونكها. فـوثب إليه أنـو شروان، ولم يـزل يسألـه ويتضرّع إليه أن يهب له أمّه حتّى قبّل رجله، فتركها، فحاك ذلك في نفسه.

فهلك قبـاذ على تلك الحال وملك أنـو شروان، فجلس للملك، وكان منكـراً لمذهب مزدك وكارهاً لـه. ثمّ أذن للناس إذنـاً عامّـاً، ودخل عليـه مزدك، ثمّ دخـل عليه المنذر، وكان المنذر بن ماء السماء قد رفض دعوة قُبـاذ إلى مذهب مـزدك يوم كـان عامـلاً على الحيرة، فـطرده عن مملكته. فقـال أنو شـروان: إنّي كنتُ تمنّيتُ أمنيتَين، أرجو أن يكون الله عزّ وجلّ قـد جمعهما إليّ. فقـال مزدك: ومـا هما أيّهـا الملك؟ قال: تمنّيتُ أن أملك وأستعمل هـذا الرجـل الشريـف، يعني المنـذر، وأن أقتل هذه الزنادقة. فقال مزدك: أوَتستطيع أن تقتل النّاس كلّهم؟ فقال: وإنّك ها هنا يا ابن الزانية! والله ما ذهب نتن ريح جَوْرَبِـكَ من أنفي منذ قَبّلت رجلك إلى يـومي هذا. وأمر به فقُتل وصُلب، وقتل منهم ما بين جازر إلى النهروان وإلى المـدائن في ضحوة واحدة مائة ألف زنديق وصلبهم، وسمّي يومئذٍ أنو شروان.

(ابن الأثير ١ : ٤١٣)

* * *

صلب المعارك بن أبـي صُفْرَة

لمّا قربتِ الخوارج من البصرة، أتى أهلُها الأحنفَ بن قيس وسألـوه أن يتولّى حربَهم، فأشار بالمهلّب بن أبـي صُفْرَة لِما يعلم فيه من الشجاعـة والرأي والمعـرفة بالحرب، وكان قد قدِم من عند ابن الزبير وقد ولّاه خُراسان، فقال الأحنف: ما لهذا الأمر غير المهلّب.

فخـرج إليـه أشـراف أهـل البصـرة، فكلّمـوه، فـأبَى، فكلّمـه الحـارث بن

أبـي ربيعة، فاعتذر بعهده على خُراسان، فوضع الحارث وأهل البصرة كتاباً إليه عن ابن الزبير يأمره بقتال الخوارج وأتوه بالكتـاب، فلمّا قـرأه، قال: والله لا أسيـر إليهم إلّا أن تجعلوا لي ما غلبتُ عليه، وتُقطعوني من بيت المال ما أقوّي به مَنْ معي.

فأجابوه إلى ذلك وكتبوا له به كتاباً، وأرسلوا إلى ابن الزبير، فأمضاه، فاختـار المهلَّبُ من أهـل البصـرة ممَّنْ يعـرف نجـدتَـه وشجـاعتَـه اثني عشـر ألفـاً، منهم: محمّـد بن واسع وعبـد الله بن رياح الأنصـاريُّ ومعاويـة بن قُرّة المُـزَنيُّ وأبو عمـران الجَـوْبـيُّ، وخرج المهلَّب إلى الخـوارج وهم عند الجسـر الأصفـر، فـارتفعـوا إلى الجسر الأكبر، فسار إليهم في الخيل والرجال. فلمّا رأوه قد قاربهم ارتفعوا فوق ذلك.

ولمّا بلغ حارثَـة بن بدر تـأميرُ المهلَّب على قتـال الأزارقة، قـال لمن معه من الناس:

كَـرْنِـبـوا ودَوْلِـبـوا حـيـث شئـتُـم فـاذهَـبُـوا

فأقبل بمن معه نحو البصرة، فردَّ الحارثَ بن أبـي ربيعة إلى المهلَّب، وركب حـارثة في سفينـة في نهر دُجَيـل يريـد البصرة، فـأتاه رجـل من تميم وعليه سـلاحه والخوارج وراءه، فصاح التميميُّ بحارثة يستغيثُ به ليحمله معه، فقرَّب السفينة إلى شاطىء النهر، وهو جُرف، فوثب التميميُّ إليها، ففاضت بجميع من فيها، فغرقوا.

وأمّا المهلَّب، فإنّه سار حتّى نزل بالخـوارج وهم بنهر تِيـرى وتنحّوا عنـه إلى الأهواز، وسيَّر المهلَّب إلى عسكرهـم الجواسيس تأتيه بأخبارهم، فلمّـا أتاه خبـرَهم سار نحوهـم، واستخلف أخاه المعارك بن صُفْرَة، فجال أصحابه ثمّ عادوا.

فلمّا رأى الخوارج صبرهم ساروا عن سوق الأهواز إلى مَناذر، فسار يريدهم، فلمّا قاربهم سيَّر الخوارج جمعـاً عليهم واقد مـولى أبـي صُفْرَة إلى نهـر تيرى وبهـا المعارك، فقتلوه وصلبوه، وبلغ الخبر إلى المهلَّب فسيّر ابنَه المغيرة إلى نهر تيرى، فأنزل عمّه المعارك ودفنه وسكّن الناس، واستخلف بهـا جماعـةً وعاد إلى أبيـه وقد نزل سولاف...

(ابن الأثير ٤ : ١٩٥)

* * *

صلب المفضل بن المهلَّب وآخرين

ولمّا أتت هزيمة يزيد بن المهلَّب إلى واسط، أخرج ابنه معاوية اثنين وثلاثين أسيراً كانوا عنده فضرب أعناقهم، منهم: عديّ بن أرطأة، ومحمّد بن عديّ بن أرطأة، ومالك وعبد الملك إبنا مِسْمع وغيرهم، ثمّ أقبل حتى أتى البصرة ومعه المال والخزائن، وجاء المفضّل بن المهلّب، واجتمع أهلُ المهلَّب بالبصرة، فأعدّوا السفن وتجهَّزوا للركوب في البحر، وكان يزيد بن المهلَّب بعث ودّاع بن حُمَيْد الأزديّ على قَنْدابيل أميراً، وقال له: إنّي سائر إلى هذا العدوّ ولو قد لقيتهم لم أبرح العرصة حتى يكون لي أوَّلهم، فإن ظفرت أكرمتُك، وإن كانت الأخرى، كنتَ بقَنْدابيل حتى يقدم عليك أهل بيتي فيتحصّنوا بها حتى يأخذوا لأنفسهم أماناً، وقد اخترتُك لهم من بين قومي، فكن عند أحسن ظنّي، وأخذ عليه العهودَ ليناصحنَّ أهل بيته إن هم لجأوا إليه.

فلمّا اجتمع كَرمان خرجوا من سفنهم وحملوا عيالاتهم وأموالهم في السفن البحرية، ثمّ لجّجوا في البحر حتى إذا كانوا بحيال كَرمان خرجوا من سفنهم وحملوا عيالاتهم وأموالهم على الدوّاب، وكان المقدّم عليهم المفضّل بن المهلّب، وكان بكرمان فلول كثيرة، فاجتمعوا إلى المفضّل، وبعث مَسْلَمةُ بن عبد الملك مُدْرِكَ بن ضبّ الكلبيّ في طلبهم وفي أثر الفلّ، فأدرك مدرك المفضّلَ ومعه الفلول في عقبة، فعطفوا عليه فقاتلوه، واشتدَّ قتالهم إيّاه، فقُتل من أصحاب المفضّل النعمان بن إبراهيم بن الأشْتر النَّخْعيّ، ومحمّد بن إسحاق بن محمّد بن الأشْعث، وأُخذ ابن صُول ملك قُهستان أسيراً، وجُرح عثمان بن إسحاق بن محمّد بن الأشْعث وهرب حتى انتهى إلى حُلْوان، فدُلَّ عليه، فقُتل وحُمل رأسه إلى مسلمة بالحيرة. ورجع ناس من أصحاب ابن المهلّب، فطلبوا الأمان فأومنوا، منهم: مالك بن إبراهيم بن الأشتر، والورد بن عبد الله بن حَبيب السَّعديّ التميميّ.

ومضى آل المهلَّب ومَنْ معهم إلى قَندابيل، وبعث مسلمة إلى مدرك بن ضبّ، فردَّه وسيَّر في أثرهم هلال بن أحْوز التميميّ، فلحقهم بقندابيل، فأراد أهل المهلَّب دخولها فمنعهم ودّاع بن حُمَيْد، وكان هلال بن أحوز لم يباين آل المهلّب،

فلمّا التقوا كان ودّاع على الميمنة وعبد الملك بن هلال على الميسرة، وكلاهما أزديّ، فرفع هلال بن أحْوز راية أمان، فمال إليه ودّاع بن حميد وعبد الملك بن هلال وتفرَّق النّاس عن آل المهلَّب، فلمّا رأى ذلك مروان بن المهلَّب أراد أن ينصرف إلى النساء فيقتلهنّ، لئلا يصرن إلى أولئك، فنهاه المفضّل عن ذلك، وقال: إنّا لا نخاف عليهنّ من هؤلاء، فتركهنَّ، وتقدَّموا بأسيافهم، فقاتلوا حتّى قُتلوا من عند آخرهم، وهم: المفضّل، وعبد الملك، وزياد، ومروان بنو المهلَّب ومعاوية بن يزيد بن المهلَّب، والمِنْهال بن أبي عُيَيْنَة بن المهلَّب، وعمرو والمغيرة ابنا قَبيصة بن المهلَّب، وحُملت رؤوسهم، وفي أُذن كلّ واحد رقعة فيها اسمه، إلاّ أبا عُيَيْنة بن المهلَّب، وعمر بن يزيد بن المهلَّب، وعثمان بن المفضّل بن المهلَّب، فإنّهم لحقوا برُتبيل. وبعث هلال بن أحْوز بنسائهم ورؤوسهم والأسرى من آل المهلَّب إلى مَسْلمة بالحيرة، فبعثهم مسلمةُ إلى يزيد بن عبد الملك، فسيَّرهم يزيدُ إلى العبّاس بن الوليد وهو على حلب، فنصب الرؤوس، وأراد مسلمة أن يبيع الذرّية، فاشتراهم منه الجرّاح بن عبد الله الحكَميّ بمائة ألف وخلّى سبيلهم، ولم يأخذ مسلمة من الجراح شيئاً.

ولما بلغ يزيدَ بن عبد الملك الخبرُ بقتل يزيد سرَّه لانتصاره، ولما في نفسه منه قبل الخلافة. وكان سبب العداوة بينهما أنّ ابن المهلَّب، خرج من الحمّام أيّام سليمان بن عبد الملك وقد تضمَّخ بالغالية، فاجتاز بيزيد بن عبد الملك، وهو إلى جانب عمر بن عبد العزيز، فقال: قبَّح الله الدنيا، لوددتُ أنّ مثقال غالية بألف دينار، فلا ينالها إلاّ كلّ شريف، فسمع ابنُ المهلَّب، فقال له: بل وددتُ أنّ الغالية كانت في جبهة الأسد، فلا ينالها إلاّ مثلي. فقال له يزيد بن عبد الملك: والله لئن وليتَ يوماً لأقتلنَّك. فقال له ابن المهلَّب: والله لئن وليتَ هذا الأمر وأنا حيّ، لأضربنَّ وجهك بخمسين ألف سيف.

(ابن الأثير ٥: ٨٥)

* * *

صلب رأس المقتدر

قتل المقتدر سنة ٣٢٠، وكان ذلك لما قصد مؤنس الخادم الملقَّب بالمظفَّر بغداد بجيشه، وخيَّم بباب الشماسية، وأراد المقتدر أن ينحدر إلى واسط، فردَّه القائد محمد بن ياقوت، فبقي في بغداد وهو كاره. ثم أشار عليه بحضور المعركة، فخرج وهو كاره، وبين يديه الفقهاء والقراء معهم المصاحف مشهورة وعليه البردة، فوقف على تلٍّ بعيداً عن المعركة، فأرسل إليه قوّاده مراراً يسألونه أن يتقدَّم، فلما ألحّوا عليه، تقدَّم، فانهزم أصحابه قبل وصوله إليهم، فلقيه بعض جنود مؤنس، فضربه أحدهم بالسيف على عاتقه، فسقط على الأرض، وذبحه بعضهم وكان المقتدر ثقيل البدن، عظيم الجثة، فلمّا قتلوه، قطعوا رأسه، ورفعوه على خشبة، وأخذوا ثيابه حتى سراويله، وتركوه مكشوف العورة.

* * *

صلب ملاّح

في سنة إحدى وخمسين ومائتين، قُتل باغر التركيُّ، قتله وصيف وبُغا.

وكان سبب ذلك أنَّ باغراً، كان أحد قتلة المتوكِّل، فزِيدَ في أرزاقه، فأُقطع قطائع، فكان ممّا أُقطع قُرى بسواد الكوفة، فتضمَّنها رجل من أهل باروسما بألفَيْ دينار، فوثب رجل من أهل تلك الناحية، يقال له ابن مارِمَّة، بوكيل لباغر، وتناوله، فحُبس ابن مارمَّة، وقُيِّد، ثمّ تخلَّص، وسار إلى سامرّا، فلقي دليل بن يعقوب النصرانيَّ، وهو يومئذٍ صاحب أمر بُغا الشرابيّ والحاكمُ في الدولة، وكان ابن مارمَّة صديقاً له، وكان باغر أحد قوّاد بُغا، فمنعه دليل من ظلم أحمد بن مارمَّة، فانتصف له منه، فغضب باغر وباين دليلاً.

وكان باغر شجاعاً يتَّقيه بُغا وغيره، فحضر عند بُغا في ذي الحجّة من سنة خمسين ومائتين وهو سكران، وبُغا في الحمّام، فدخل إليه وقال: من قتل دليلاً يُقْتَل به؛ فقال له بُغا: لو أردتَ ولدي ما منعتُك منه، ولكن اصبرْ، فإن أمور الخلافة بيد دليل، وأقيم غيره، ثمّ افعلْ به ما تريد.

وأرسل بُغا إلى دليل يأمره ألاّ يركب، وعرَّفه الخبر، وأقام في كتابته غيره، وتوهَّم باغر أنّه قد عزله، فسكن باغر، ثمّ أصلح بينهما بُغا، وباغر يتهدَّده، ولزم باغر خدمة المستعين، فقيل ذلك للمستعين.

فلمّا كان يوم نوبة بُغا في منزله، قال المستعين: أي شيء كان إلى إيتاخ من الخدمة؟ فأخبره وصيف، فقال: ينبغي أن تجعل هذه الأعمال إلى باغر. وسمع دليل ذلك، فركب إلى بُغا، فقال له: أنت في بيتك، وهم في تدبير عزلك، فإذا عُزلتَ قُتلتَ.

فركب بُغا إلى دار الخليفة في يومه، وقال لوصيف: أردتَ أن تعزلني؟ فحلف أنّه ما علم ما أراد الخليفة، فتعاقدا على تنحية باغر من الدار والحيلة عليه، فأرجفا له أنّه يؤمَّر، ويُخلع عليه، ويكون موضع بُغا ووصيف؛ فأحسَّ باغر ومن معه بالشرّ، فجمع إليه الجماعة الذين كانوا بايعوه على قتل المتوكّل، ومعهم غيرهم، فجدَّد العهد عليهم في قتل المستعين وبُغا ووصيف، وقال: نبايع على ابن المعتصم، أو ابن الواثق، ويكون الأمر لنا كما هو لهذَيْن، فأجابوه إلى ذلك.

وانتهى الخبر إلى المستعين، فبعث إلى بُغا ووصيف، وقال لهما: أنتما جعلتماني خليفة، ثمّ تريدان قتلي؟ فحلفا أنّهما ما علما بذلك، فأعلمهما الخبر، فاتّفق رأيهم على أخذ باغر ورجلَيْن من الأتراك معه، وحبْسهم، فأحضروا باغراً، فأقبل في عدّة، فعُدل به إلى حمّام وحُبس فيه.

وبلغ الخبر الأتراك، فوثبوا على إصطبل الخليفة، فانتهبوه وركبوا ما فيه، وحصروا الجوسق بالسلاح، فأمر بُغا ووصيف بقتل باغر فقُتل.

فلمّا قُتل باغر وانتهى خبر قتله إلى الأتراك المِشْغَبِين أقاموا على ما هم عليه، فانحدر المستعين وبُغا ووصيف، وشاهك الخادم، وأحمد بن صالح بن شيرزاد ودليل إلى بغداذ في حرّاقة؛ فركب جماعة من قوّاد الأتراك إلى هؤلاء المِشْغَبين، فسألوهم الانصراف، فلم يفعلوا، فلمّا علموا بانحدار المستعين وبُغا ووصيف ندموا، ثمّ قصدوا دار دليل، ودور أهله وجيرانه، فنهبوها، حتى صاروا إلى أخذ

الخشب وعليق الدوابّ؛ فلمّا قدموا بغداذ مرض ابن مارمَّة، فعاد دليل وقال له: ما سبب علّتك؟ قال: انتقض عَقْر القَيد؛ فقال دليل: لئن عقرك القيد، لقد نقضتَ الخلافة، وبغيتَ الفتنة؛ ومات ابن مارمَّة في تلك الأيّام.

ومنع الأتراكُ النّاس من الانحدار إلى بغداذ، وأخذوا ملاّحاً قد أكرى سفينته، فضربوه، وصلبوه على دَقَلها، فامتنع أصحاب السفن من الانحدار إلاّ سرّاً.

وكان وصول المستعين إلى بغداذ لخمس خلون من المحرَّم من هذه السنة، فنزل على محمّد بن عبد الله بن طاهر في داره، ثمّ وافى بغداذَ القُوّادُ، وقدمها جِلَّةُ الكُتّاب والعمّال وبني هاشم، وجماعة من أصحاب بُغا ووصيف.

(ابن الأثير ٧: ١٣٧)

* * *

صلب مهذب الدولة

في تاريخ العراق للعزاوي، أنه في السنة ٦٩٠، قُبض ببغداد على مهذّب الدولة، أخي سعد الدولة الماشعيري وطُولب بالأموال، وضُرب، ثم طُعن بالسكاكين والسيوف، وكان في الديوان نجّار، فضربه بفأس عدّة ضربات، ثم قطّع إرباً إرباً وتناهبه العوام، وتعمَّم نفّاط بمصرانه، وطافوا به في شوارع بغداد ودروبها، ثم أُحرق بباب جامع الخليفة، وسُلخ رأسه وحُشيَ تبناً وطيف به في جانبيْ بغداد، وحمل إلى واسط، وصلب على جسرها.

* * *

قصّة صلب نازوك

في سنة ست عشرة وثلاثمائة، وقعت الفتنة بين نازوك، صاحب الشرطة، وهارون بن غريب.

وسبب ذلك أنّ ساسة دوابّ هارون بن غريب وساسة نازوك تغايروا على غلام أمرد، وتضاربوا بالعصيّ، فحبس نازوك ساسة دوابّ هارون، بعد أن ضربهم، فسار أصحاب هارون إلى محبس الشُّرطة، ووثبوا على نائب نازوك به، وانتزعوا

أصحابهم من الحبس، فركب نازوك، وشكا إلى المقتدر، فقال: كلاكما عزيز عليَّ، ولست أدخل بينكما؛ فعاد وجمع رجاله، وجمع هارون رجاله، وزحف أصحاب نازوك إلى دار هارون، فأغلق بابه، وبقي بعض أصحابه خارج الدار، فقتل منهم أصحاب نازوك، وجرحوا، ففتح هارون الباب، وخرج أصحابه، فوضعوا السلاح في أصحاب نازوك فقتلوا منهم، وجرحوا، واشتبكت الحرب بينهم، فكفَّ نازوك أصحابه.

وأرسل الخليفة إليهما ينكر عليهما ذلك، فكفّا، وسكتت الفتنة، واستوحش نازوك، واستدلَّ بذلك على تغيُّر المقتدر، ثمّ ركب إليه هارون وصالحه، وخرج بأصحابه، ونزل البستان النجميّ ليبعد عن نازوك، فأكثر الناس الأراجيف وقالوا: قد صار هارون أمير الأمراء؛ فعظم ذلك على أصحاب مؤنس، وكتبوا إليه بذلك، وهو بالرِّقَّة، فأسرع العود إلى بغداذ، فنزل بالشّماسيّة في أعلى بغداذ، ولم يلقَ المقتدر، فصعد إليه الأمير أبو العبّاس بن المقتدر والوزير ابن مقلة، فأبلغاه سلام المقتدر واستيحاشه له، وعاد فاستشعر كلّ واحد من المقتدر ومؤنس من صاحبه، وأحضر المقتدر هارون بن غريب، وهو ابن خاله، فجعله معه في داره، فلمّا علم مؤنس بذلك ازداد نفوراً واستيحاشاً، وأقبل أبو الهيجاء بن حَمدان من بلاد الجبل، فنزل عند مؤنس ومعه عسكر كبير، وصارت المراسلات بين الخليفة، ومؤنس تتردَّد، والأمراء يخرجون إلى مؤنس، وانقضت السنة وهم على ذلك...

ثمّ كتب مؤنس إلى المقتدر رقعة يذكر فيها، أنّ الجيش عاتبٌ منكرٌ للسرف فيما يُطلق باسم الخدم والحُرَم من الأموال والضياع، ولدخولهم في الرأي وتدبير المملكة، ويطالبون بإخراجهم من الدار، وأخذ ما في أيديهم، من الأموال والأملاك، وإخراج هارون بن غريب من الدار.

فأجابه المقتدر أنّه يفعل من ذلك ما يمكنه فعله، ويقتصر على ما لابدَّ له منه، واستعطفهم، وذكَّرهم بيعته في أعناقهم مرَّة بعد أخرى، وخوَّفهم عاقبة النكث، وأمر هارون بالخروج من بغداذ، وأقطعه الثغور الشاميّة، والجزريّة، وخرج من بغداذ تاسع المحرَّم من سنة سبع عشرة وثلاثمائة، وراسلهم المقتدر وذكَّرهم

نعمه عليهم وإحسانه إليهم، وحذّرهم كفر إحسانه، والسعي في الشرّ والفتنة.

فلمّا أجابهم إلى ذلك، دخل مؤنس وابن حمدان ونازوك إلى بغداذ، وأرجف للناس بأن مؤنساً ومن معه قد عزموا على خلع المقتدر وتولية غيره، فلمّا كان الثاني عشر من المحرَّم، خرج مؤنس والجيش إلى باب الشّمّاسيَّة، فتشاوروا ساعة، ثمّ رجعوا إلى دار الخليفة بأسرهم، فلمّا زحفوا إليها وقربوا منها، هرب المظفَّر بن ياقوت، وسائر الحجّاب والخدم وغيرهم والفرّاشون، وكلّ من في الدار؛ وكان الوزير أبو عليّ بن مقلة حاضراً، فهرب، ودخل مؤنس والجيش دارالخليفة، وأخرج المقتدر، ووالدته، وخالته، وخوّاص جواريه، وأولاده، من دار الخلافة، وحملوا إلى دار مؤنس، فاعتُقلوا بها.

وبلغ الخبر هارون بن غريب، وهو بقُطْرَبُّل، فدخل بغداذ واستتر، ومضى ابن حمدانَ إلى دار ابن طاهر، فأحضر محمّد بن المعتضد، وبايعوه الخلافة، ولقّبوه القاهر بالله، وأحضروا القاضي أبا عمر عند المقتدر، ليشهد عليه بالخلع، وعنده مؤنس، ونازوك، وابنَ حمدان، وبنّيّ بن نفيس، فقال مؤنس للمقتدر ليخلع نفسه من الخلافة، فأشهد عليه القاضي بالخلع، فقام ابنَ حمدان، وقال للمقتدر: يا سيّدي، يعزُّ عليَّ أن أراك على هذه الحال، وقد كنت أخافها عليك، وأحذرها، وأنصح لك، وأحذّرك عاقبة القبول من الخدم والنساء، فتؤثر أقوالهم على قولي، وكأنّي كنت أرى هذا، وبعد فنحن عبيدك وخدمك.

ودمعت عيناه وعينا المقتدر! وشهد الجماعة على المقتدر بالخلع، وأودعوا الكتاب بذلك عند القاضي أبي عمر، فكتمه ولم يُظهر عليه أحداً.

ولمّا استقرّ الأمر للقاهر، أخرج مؤنس المظفَّر عليّ بن عيسى من الحبس، ورتّب أبا عليّ بن مقلة في الوزارة، وأضاف إلى نازوك مع الشرطة حجبة الخليفة، وكتب إلى البلاد بذلك، وأقطع ابن حَمدان، مضافاً إلى ما بيده من أعمال طريق خُراسان، حُلوان، وهَمَذان، وكَرْمان، وشاهان، وكنكور. . . ونُهبت دار الخليفة، ومضى بنّيّ بن نفيس إلى تربة لوالدة المقتدر، فأخرج من قبر فيها ستّمائة ألف دينار، وحملها إلى دار الخليفة.

ولمّا تقلّد نازوك حجبة الخليفة، أمر الرجّالة المصافيّة بقلع خيامهم من دار الخليفة، وأمر رجاله وأصحابه أن يقيموا بمكان المصافيّة، فعظم ذلك عليهم، وتقدَّم إلى خلفاء الحجّاب أن لا يمكنوا أحداً من الدخول إلى دار الخليفة، إلاّ من له مرتبة، فاضطربت الحجبة من ذلك.

ولمّا كان يوم الإثنين سابع عشر المحرَّم، بكَّر الناس إلى دار الخليفة، لأنّه يوم موكب دولة جديدة، فامتلأت الممَّرات، والمراحات، والرِّحاب، وشاطىء دجلة من الناس، وحضر الرجّالة المصافيَّة في السلاح الشاكّ، يطالبون بحقّ البيعة، ورزق سنة، وهم حنقون بما فعل بهم نازوك، ولم يحضر مؤنس المظفَّر ذلك اليوم.

وارتفعت زعقات الرجّالة، فسمع بها نازوك، فأشفق أن يجري بينهم وبين أصحابه فتنة وقتال، فتقدَّم إلى أصحابه، وأمرهم أن لا يعرضوا لهم، ولا يقاتلوهم، وزاد شغب الرجّالة وهجموا يريدون الصحن التسعينيّ، فلم يمنعهم أصحاب نازوك، ودخل من كان على الشطّ بالسلاح، وقربت زعقاتهم من مجلس القاهر بالله، وعنده أبو عليّ بن مقلة الوزير، ونازوك، وأبو الهيجاء بن حمدان، فقال القاهر لنازوك: اخرج إليهم فسكِّنهم، وطيِّب قلوبهم! فخرج إليهم نازوك وهو مخمور، قد شرب طول ليلته، فلمّا رآه الرجّالة تقدَّموا إليه ليشكوا حالهم إليه في معنى أرزاقهم، فلمّا رآهم بأيديهم السيوف يقصدونه خافهم على نفسه فهرب، فطمعوا فيه، فتبعوه، فانتهى به الهرب إلى باب كان هو سدَّه أمس، فأدركوه عنده، فقتلوه عند ذلك الباب، وقتلوا قبله خادمه عجيباً، وصاحوا: يا مقتدر، يا منصور! فهرب كلّ مَن كان في الدار من الوزير والحجّاب، وسائر الطبقات وبقيت الدار فارغة، وصلبوا نازوك وعجيباً بحيث يراهما مَن على شاطىء دجلة.

ثمّ صار الرجّالة إلى دار مؤنس يصيحون، ويطالبونه بالمقتدر، وبادر الخدم فأغلقوا أبواب دار الخليفة، وكانوا جميعهم خدم المقتدر، ومماليكه، وصنائعه، وأراد أبو الهيجاء بن حمدان أن يخرج من الدار، فتعلّق به القاهر وقال: أنا في ذمامك؛ فقال: والله لا أسلِّمك أبداً، وأخذ بيد القاهر، وقال: قم بنا نخرج جميعاً، وأدعو أصحابي وعشيرتي فيقاتلون معك ودونك.

فقاما ليخرجا، فوجدا الأبواب مغلقة، فتبعهما فائق وجه القصعة يمشي معهما، فأشرف القاهر من سطح، فرأى كثرة الجمع، فنزل هو وابن حمدان وفائق، فقال ابن حَمدان للقاهر: قف حتّى أعود إليك؛ ونزع سواده وثيابه وأخذ جبّة صوف لغلام هناك، فلبسها ومشى نحو باب النوبي، فرآه مغلقاً والناس من ورائه، فعاد إلى القاهر، وتأخّر عنهما وجه القصعة ومَن معه من الخدم، فأمرهم وجه القصعة بقتلها أخذاً بثأر المقتدر وما صنعا به، فعاد إليهما عشرة من الخدم بالسلاح، فعاد إليهم أبو الهيجاء وسيفه بيده، ونزع الجبّة الصوف، وأخذها بيده الأخرى، وحمل عليهم، فانجفلوا بين يديه، وغشيهم، فرموه بالنشاب ضرورة، فعاد عنهم، وانفرد عنه القاهر ومشى إلى آخر البستان، فاختفى فيه.

ودخل أبو الهيجاء إلى بيت من ساج، وتقدَّم الخدم إلى ذلك البيت، فخرج إليهم أبو الهيجاء، فولّوا هاربين ودخل إليهم بعض أكابر الغلمان الحجريّة، ومعه أسودان، فقصدوا أبا الهيجاء، فخرج إليهم فرُمي بالسهام، فسقط، فقصده بعضُهم فضربه بالسيف، فقطع يده اليمنى، وأخذ رأسه فحمله بعضهم، ومشى وهو معه.

وأمّا الرجّالة، فإنهم لمّا انتهوا إلى دار مؤنس وسمع زعقاتهم، قال: ما الذي تريدون؟ فقيل له: نريد المقتدر؛ فأمر بتسليمه إليهم، فلمّا قيل للمقتدر ليخرج، خاف على نفسه أن تكون حيلة عليه، فامتنع، وحُمل وأُخرج إليهم، فحمله الرجّالة على رقابهم حتّى أدخلوه دار الخلافة، فلمّا حصل في الصحن التسعينيّ اطمأنَّ وقعد، فسأل عن أخيه القاهر، وعن ابن حَمدان، فقيل: هما حيّان؟ فكتب لهما أماناً بخطّه، وأمر خداماً بالسُّرعة بكتاب الأمان لئلّا يحدث على أبي الهيجاء حادث، فمضى بالخط إليه، فلقيه الخادم الآخر ومعه رأسه، فعاد معه، فلمّا رآه المقتدر وأخبره بقتله، قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون! مَن قتله؟ فقال الخدم: ما نعرف قاتله؛ وعظم عليه قتله، وقال: ما كان يدخل عليَّ ويسلّيني، ويذهب عنّي الغمّ هذه الأيام غيره.

ثمّ أُخذ القاهر وأحضر عند المقتدر، فاستدناه، فأجلسه عنده وقبَّل جبينه، وقال له: يا أخي، قد علمتُ أنّه لا ذنب لك، وأنّك قُهرتَ، ولو لقَّبوك بالمقهور

لكان أولى من القاهر، والقاهر يبكي ويقول: يا أمير المؤمنين! نفسي، نفسي، اذكر الرّحم التي بيني وبينك! فقال له المقتدر: وحقّ رسول الله، لا جرى عليك سوءٌ منّي أبداً، ولا وصل أحد إلى مكروهك وأنا حيّ! فسكن، وأخرج رأس نازوك، ورأس أبي الهيجاء، وشُهرا، ونودي عليهما: هذا جزاء من عصى مولاه.

ابن الأثير ٨: ٢٠٠)

* * *

صلب النسفي

روى ابن الأثير قال: في السنة ٣٣١ استقدم الأمير نوح الساماني، محمد بن أحمد النسفي البردهمي، وكان قد طعن فيه عنده، فقتله وصلبه، فسرق من الجذع، ولم يُعلَم من سرقه.

* * *

صلب نصر بن ساوا

جاء في الجامع المختصر ص ٢١٩، أنه في السنة ٦٠٤ قتل أبو الغنائم نصر بن ساوا النصراني، الناظر في أعمال دجيل، وقطعت أطرافه وصُلب، ثم أُنزل وسُحبت جثّته في محلاّت بغداد، ثم أُحرق.

* * *

صلب نصر بن عباس

روى ابن خلّكان، قال: في السنة ٥٤٩ قتل نصر بن عباس، الخليفة الفاطمي، الظافر، فقصد الصالح بن رزيك والي منية بن خصيب، القاهرة، وفرّ نصر وأبوه وأصحابه، وقصدوا طريق الشام، فخرج عليهم الإفرنج وقتلوا عباساً وأسروا نصراً، فجعلوه في قفص من حديد وأعادوه إلى القاهرة، فقطعوا يديه وقرضوا جسمه بالمقاريض وصلبوه على باب زويلة. وبقي سنة ونصف السنة مصلوباً.

(راجع وفيات الأعيان ٣: ٤٩٢، وشذرات الذهب ٤: ١٥٣)

* * *

صلب هارون بن غريب

في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة قُتل هارون بن غريب، وكان سبب قتله أنه كان قد استعمله القاهر على ماء الكوفة، وقصبتها الدِّينَور، وعلى ما سَبذان وغيرها، فلمّا خُلع القاهر واستُخلف الراضي رأى هارون أنَّه أحقّ بالدولة من غيره لقرابته من الراضي، حيث هو ابن خال المقتدر، فكاتب القوّادَ ببغداذ يعدهم الإحسان والزيادة في الأرزاق، ثمَّ سار من الدِّينَور إلى خانقِين، فعظم ذلك على ابن مقلة وابن ياقوت والحجريَّة والساجيَّة، واجتمعوا، وشكوه إلى الراضي، فأعلمهم أنَّه كاره له، وأذن لهم في منعه، فراسلوه أوَّلاً، وبذلوا له في طريق خراسان زيادة على ما في يده، فلم يقنع به، وتقدَّم إلى النَّهروان، وشرع في جباية الأموال، وظلم الناس، وعسفهم، وقويت شوكته.

فخرج إليه محمَّد بن ياقوت في سائر جيوش بغداذ، ونزل قريباً منه، ووقعت الطلائع بعضها على بعض، وهرب بعض أصحاب محمَّد بن ياقوت إلى هارون، وراسله محمَّد يستميله، ويبذل له، فلم يجب إلى ذلك، وقال: لا بدَّ من دخول بغداذ.

فلمّا كان يوم الثلاثاء لستّ بقين من جمادي الآخرة تزاحف العسكران، واشتدَّ القتال، واستظهر أصحاب هارون لكثرتهم، وانهزم أكثر أصحاب ابن ياقوت ونُهب أكثر سوادهم، وكثر فيهم الجراح والقتل، فسار محمَّد بن ياقوت حتَّى قطع قنطرة نهر بِينٍ، فبلغ ذلك هارون، فسار نحو القنطرة منفرداً عن أصحابه، طمعاً في قتل محمَّد بن ياقوت، أو أسره، فتقنطر به فرسه، فسقط عنه في ساقية، فلحقه غلام اسمه يُمن، فضربه بالطَّبَرزِينِ حتى أثخنه، وكسَّر عظامه، ثمَّ نزل إليه فذبحه ثم رفع رأسه وكبَّر، فانهزم أصحابه وتفرَّقوا، ودخل بعضهم بغداد سرّاً، ونهب سواد هارون، وقتل جماعة من قوّاده وأسر جماعة.

وسار محمَّد إلى موضع جثَّة هارون، فأمر بحملها إلى مضربه، وأمر بغسله وتكفينه، ثم صلّى عليه ودفنه، وأنفذ إلى داره من يحفظها من النهب، ودخل بغداد

ورأس هارون بين يديه ورؤوس جماعة من قوّاده، فنصب ببغداذ.

(ابن الأثير ٩ : ٢٨٨)

* * *

صلب واضح بن عبد الله المنصوري

روى ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة، قال: في السنة ١٦٩ بلغ الخليفة العباسي أن واضح بن عبد الله المنصوري الخصمي أمير مصر، أعان إدريس العلوي على النفوذ إلى المغرب، فأَحضِرَ واضحاً إلى بغداد وقتل وصلب.

(راجع النجوم الزاهرة٢ : ٤١)

* * *

صلب ورنيس

في سنة ثماني عشرة ومائة غزا مروان بن محمَّد بن مروان من أرمينية ودخل أرض ورنيس من ثلاثة أبواب، فهرب منه ورنيس إلى الخَزَر ونزل حصنه، فحصره مروان ونصب عليه المجانيق، فقُتل ورنيس، قتله بعضُ مَنْ اجتاز به وأرسل رأسه إلى مروان، فنصبه لأهل حصنه، فنزلوا على حكمه، فقتل المقاتلة وسبى الذُّرِّيَّة.

(ابن الأثير ٥ : ١٩٨)

* * *

قصّة صلب الوليد بن يزيد بن عبد الملك

في سنة ست وعشرين ومائة قُتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك، الذي يقال له الناقص، في جمادي الآخرة.

وكان سبب قتله ما عرف عنه من مجانة وخلاعة، فلمّا وليَ الخلافة لم يزد من الذي كان فيه من اللهو واللذة والركوب للصيد وشرب النبيذ ومنادمة الفُسّاق إلّا تمادياً، فثقل ذلك على رعيَّته وجنده وكرهوا أمره، وكان أعظمه ما جنى على نفسه إفساده بني عمَّيه هشام والوليد، فإنَّه أخذ سليمانَ بن هشام فضربه مائة سوط وحلق رأسه ولحيته وغرَّبه إلى عَمّان من أرض الشام فحبسه بها، فلم يزل محبوساً

حتَّى قُتل الوليد، فأخذ جاريةً كانت لآل الوليد، فكلَّمه عثمان بن الوليد في ردِّها، فقال: لا أردَّها، فقال: إذن تكثر الصواهل حول عسكرك! وحبس الأفْقم يزيد بن هشام وفرَّق بين روح بن الوليد وبين امرأته، وحبس عدَّة من ولد الوليد، فرماه بنو هاشم وبنو الوليد بالكفر وغشيان أمَّهات أولاد أبيه وقالوا: قد اتَّخذ مائة جامعة لبني أميَّة.

وكان أشدَّهم فيه يزيد بن الوليد، وكان الناس إلى قوله أميل لأنَّه كان يُظْهر النُّسك ويتواضع، وكان قد نهاه سعيد بن بَيْهس بن صُهَيْب عن البيعة لابنيه الحكم وعثمان لصغرهما، فحبسه حتَّى مات في الحبس.

وأراد خالدَ بن عبد الله القَسْريّ على البيعة لابنَيْه فأبى، فغضب عليه، فقيل له: لا تخالف أمير المؤمنين. فقال: كيف أبايع مَنْ لا أصلِّي خلفه ولا أقبل شهادته؟ قالوا: فتقبل شهادة الوليد مع فسقه! قال أمير المؤمنين غائب عنِّي وإنَّما هي أخبار النّاس. ففسدت اليمانيَّة عليه وفسدت عليه قُضاعة، وهم واليمن أكثر جند أهل الشام، فأتى حُرَيْث وشبيب بن أبي مالك الغسّانيُّ ومنصور بن جمهور الكلبيُّ وابن عمّه حبال بن عمرو ويعقوب بن عبد الرحمن وحُمَيد بن منصور اللخميّ والأصْبع بن ذؤالة والطُّفَيْل بن حارثة والسريّ زياد إلى خالد بن عبد الله القَسْريّ فدعوه إلى أمرهم، فلم يجبهم.

وأراد الوليد الحجّ فخاف خالد أن يقتلوه في الطريق فنهاه عن الحجّ، فقال: ولِمَ؟ فأخبره فحبسه وأمر أن يُطالَب بأموال العراق، ثمَّ استقدم يوسفَ بن عمر من العراق وطلب منه أن يُحضر معه الأموال، وأراد عزله وتولية عبد الملك بن محمَّد بن الحجّاج بن يوسف. فقدم يوسف بأموال لم يُحْمَل من العراق مثلها، فلقيه حسّان النبطيّ فأخبره أنَّ الوليد يريد أن يولِّي عبد الملك بن محمَّد، وأشار عليه أن يحمل الرِّشى إلى وزرائه، ففرَّق فيهم خمسمائة ألف، وقال له حسّان: اكتبْ على لسان خليفتك بالعراق كتاباً: إنِّي كتبت إليك ولا أملك إلاَّ القصر، وادخلْ على الوليد والكتاب معك مختوم واشترِ منه خالداً، ففعل؛ فأمره الوليدُ بالعود إلى العراق، واشترى منه خالداً القسْريّ بخمسين ألف ألف فدفعه إليه، فأخذه معه في محمل

بغير وطاء إلى العراق. فقال بعض أهل اليمن شعراً على لسان الوليد يحرِّض عليه اليمانية، وقيل: إنَّها للوليد يوبِّخ اليمن على ترك نصر خالد:

وهذا خالدٌ فينا أسيرٌ	ألا منعوه إن كانوا رجالا
فلو كانتْ قبائلَ ذاتَ عِزٍّ	لما ذهبتْ صنائعه ضلالا
ولا تركوه مسلوباً ، أسيراً	يُعالِجُ من سلاسلنا الثِّقالا
ولكن الوقائع ضعضعتْهم	وجذَّتْهم وردَّتهم شِلالا
فما زالوا لنا أبداً عبيداً	نسومهُمُ المذلَّة والسَّفالا
فأصبحتُ الغداة عليَّ تاجٌ	لمُلْكِ النَّاس ما يبغي انتقالا

فعظم ذلك عليهم وسعوا في قتله وازدادوا حنقاً، وقال حمزة بن بِيض في الوليد:

يا وليدَ الخنا تركتَ الطَّريقا	واضحاً وارتَكبتَ فجّاً عميقا
وتماديتَ واعتديتَ وأسرفـ	ـتَ وأغريتَ وانبعثتَ فسوقا
أنت سكرانُ ما تفيق فما تر	تُق فَتْقاً وقد فتقتَ فُتوقاً

فأتت اليمانيَّة يزيدَ بن الوليد بن عبد الملك فأرادوه على البيعة، فشاور عمرَو بن يزيد الحَكميّ، فقال له: لا يبايعك النّاس على هذا وشاورْ أخاك العبّاس فإن بايعك لم يخالفك أحد، وإن أبى كان الناس له أطوع، فإن أبيتَ إلَّا المضيَّ على رأيك فأظهر أنَّ أخاك العبّاس قد بايعك. وكان الشام وبيّاً، فخرجوا إلى البوادي، وكان العبّاس بالقسطل ويزيد بالبادية أيضاً بينهما أميال يسيرة، فأتى يزيد أخاه العبّاس فاستشاره، فنهاه عن ذلك، فرجع وبايع الناسَ سرّاً وبثَّ دُعاته، فدعوا الناسَ، ثمَّ عاود أخاه العبّاس فاستشاره ودعاه إلى نفسه، فزبره وقال: إن عُدتَ لمثل هذا لأشدَّنَّك وثاقاً وأحملنَّك إلى أمير المؤمنين. فخرج من عنده. فقال العبّاس: إنِّي لأظنُّه أشأم مولود في بني مروان.

وبلغ الخبرُ مروانَ بن محمَّد بأرمينية، فكتب إلى سعيد بن عبد الملك بن مروان يأمره أن ينهى الناسَ ويكفَّهم ويحذِّرهم الفتنةَ ويخوِّفهم خروج الأمر عنهم، فأعظم سعيد ذلك وبعث بالكتاب إلى العبّاس بن الوليد، فاستدعى العبّاسُ يزيدَ

وتهدَّده، فكتمه يزيدُ أمره، فصدَّقه، وقال العبّاس لأخيه بِشر بن الوليد: إنِّي أظنُّ أنَّ الله قد أذن في هلاككم يا بني مروان.

فلمّا اجتمع ليزيد أمره وهو متبدٍ أقبل إلى دمشق، وبينه وبين دمشق أربع ليال، متنكِّراً في سبعة نفر على حمير، فنزلوا بجَرود على مرحلة من دمشق، ثمَّ سار فدخل دمشق و قد بايع له أكثرُ أهلها سرّاً، وبايع أهلُ المِزّة، وكان على دمشق عبد الملك بن محمَّد بن الحجّاج، فخاف الوباء فخرج منها فنزل قَطَنَا واستخلف ابنَه على دمشق، وعلى شُرطته أبو العاج كثير بن عبد الله السُّلَميّ، فأجمع يزيد على الظهور، فقيل للعامل: إنَّ يزيد خارج، فلم يصدِّق. وراسل يزيد أصحابه بعد المغرب ليلة الجُمْعَة، فكمنوا عند باب الفراديس حتَّى أُذِّن العشاء فدخلوا فصلُّوا وللمسجد حرس قد وُكِّلوا بإخراج الناس منه بالليل، فلمّا صلى الناسُ أخرجهم الحرسُ، وتباطأ أصحاب يزيد حتَّى لم يبقَ في المسجد غير الحرس وأصحاب يزيد، فأخذوا الحرسَ، ومضى يزيد ابن عَنْبَسَة إلى يزيد بن الوليد فأعلمه وأخذه بيده فقال: قُمْ يا أمير المؤمنين وأبشرْ بنصر الله وعونه. فقام وأقبل في اثني عشر رجلاً، فلمّا كان عند سوق الحُمُر لقوا أربعين رجلاً من أصحابهم ولقيهم زهاء مائتَيْ رجل، فمضوا إلى المسجد فدخلوه وأخذوا باب المقصورة فضربوه فقالوا: رسل الوليد، ففتح لهم الباب خادم، فأخذوه ودخلوا فأخذوا أبا العاج وهو سكران، وأخذوا خُزّانَ بيت المال، وأرسل إلى كلِّ من كان يحذره فأُخذ، وقبض على محمَّد بن عبيدة، وهو على بعلبكٍ وأرسل بني عُذرة إلى محمد بن عبد الملك بن محمَّد بن الحجّاج فأخذوه.

وكان بالمسجد سلاح كثير فأخذوه، فلمّا أصبحوا جاء أهل المزَّة وتتابع الناسُ وجاءت السكاسك وأقبل أهل داريّا ويعقوب بن محمَّد بن هانىء العبسيّ وأقبل عيسى بن شبيب التغلبي في أهل دُومة وحَرَسْتا، وأقبل حُمَيْد بن حبيب النَّخَعيّ في أهل دَير مُرّان والأرزة وسطرا، وأقبل أهل جرش وأهل الحديثة ودير زكّا، وأقبل رِبْعيّ بن الهاشم الحارثيّ في الجماعة من بني عُذرة وسلامان، وأقبلت جُهَيْنَة ومَنْ والاهم. ثمَّ وجَّه يزيد بن الوليد بن عبد الملك عبدَ الرحمن بن مصاد في مائتَيْ

فارس ليأخذوا عبدَ الملك ابن محمَّد بن الحجّاج بن يوسف من قصره، فأخذوه بأمان، وأصاب عبدُ الرحمن خرجَيْن في كلّ واحد منهما ثلاثون ألف دينار، فقيل له: خُذْ أحد هٰذَيْن الخرجَيْن. فقال: لا تتحدَّث العرب عنّي أنّي أول من خان في هذا الأمر.

ثمَّ جهَّز يزيد جيشاً وسيَّرهم إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وجعل عليهم عبد العزيز بن الحجّاج بن عبد الملك.

وكان يزيد لمّا ظهر بدمشق سار مولى للوليد إليه فأعلمه الخبر وهو بالأغدف من عَمّان، فضربه الوليدُ وحبسه وسيَّر أبا محمَّد عبد الله بن يزيد بن معاوية إلى دمشق، فسار بعض الطريق فأقام، فأرسل إليه يزيد بن الوليد عبد الرحمن بن مصاد، فسأله أبو محمَّد ثمَّ بايع ليزيد بن الوليد.

ولمّا أتى الخبرُ إلى الوليد قال له يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية: سِرْ حتَّى تنزل حِمْص فإنَّها حصينة، ووجّه الخيول إلى يزيد فيُقْتَل أو يؤسَر. فقال عبد الله بن عَنْبسة بن سعيد بن العاص ما ينبغي للخليفة أن يدَع عسكره ونساءه قبل أن يقاتل، والله يؤيِّد أمير المؤمنين وينصره. فقال يزيد بن خالد: وما نخاف على حُرَمه، وإنَّما أتاه عبد العزيز وهو ابن عمِّهنَّ.

فأخذ بقول عَنْبسة وسار حتَّى أتى البَخْراء قصر النعمان بن بشير، وسار معه من ولد الضَّحاك بن قيس أربعون رجلاً فقالوا له: ليس لنا سلاح، فلو أمرتَ لنا بسلاح. فما أعطاهم شيئاً. ونازله عبد العزيز، وكتب العبّاس بن الوليد بن عبد الملك إلى الوليد: إنّي آتيك. فقال الوليد: أخرجوا سريراً، فأخرجوه، فجلس عليه وانتظر العبّاس. فقاتلهم عبدُ العزيز ومعه منصور ابن جُمْهور، فبعث إليهم عبدُ العزيز زيادَ بن حُصَيْن الكلبيّ يدعوهم إلى كتاب الله وسنَّة نبيِّه، فقتله أصحاب الوليد، واقتتلوا قتالاً شديداً، وكان الوليد قد أخرج لواء مروان بن الحَكَم الذي كان عقده بالجابية. وبلغ عبدَ العزيز مسير العبّاس إلى الوليد، فأرسل منصور بن جُمهور إلى طريقه فأخذه قهراً وأُتي به عبد العزيز فقال له: بايعْ لأخيك يزيد. فبايع ووقف، ونصبوا رايةً وقالوا: هذه راية العبّاس قد بايع لأمير المؤمنين يزيد. فقال

العبّاس: إنّا لله، خُدْعة من خُدَع الشيطان، هلك بنو مروان. فتفرّق النّاسُ عن الوليد وأتوا العبّاس وعبد العزيز. وأرسل الوليد إلى عبد العزيز يبذل له خمسين ألف دينار وولاية حمص ما بقي ويؤمنه من كل حدث على أن ينصرف عن قتاله، فأبى ولم يجبه. فظاهر الوليدُ بين درعَيْن، وأتوه بفرسيه السنديّ والراية فقاتلهم قتالاً شديداً، فناداهم رجل: اقتلوا عدوَّ الله قتلة قوم لوط! ارجموه بالحجارة! فلمّا سمع ذلك دخل القصر وأغلق عليه الباب وقال:

دَعُوا ليَ سلمى والطِّلاءَ وقينةً ... وكأساً ألا حسبي بذلك مالا
إذا ما صفا عيشي برملة عالجٍ ... وعانقتُ سلمى ما أريد بدالا
خذوا ملككم لا ثَبَّتَ اللَّهُ ملكَكُم ... ثباتاً يساوي ما حييت عقالا

فلما دخل القصر وأغلق الباب أحاط به عبد العزيز، فدنا الوليد من الباب وقال: أما فيكم رجل شريف له حسب وحياء أكلِّمه؟ قال يزيد بن عَنْبسة السكسكيّ كلِّمني. قال: يا أخا السكاسك، ألم أزدْ في أعطياتكم؟ ألم أرفع المؤن عنكم؟ ألم أُعطِ فقراءكم؟ ألم أُخْدم زمْناكم؟ فقال: إنّا ما ننقم عليك في أنفسنا إنّما ننقم عليك في انتهاك ما حرَّم الله وشرب الخمر ونكاح أمّهات أولاد أبيك واستخفافك بأمر الله! قال: حسبك يا أخا السكاسك، فلعمري لقد أكثرتَ وأغرقتَ، وإنَّ فيما أحلَّ الله سعةً عما ذكرتَ. ورجع إلى الدار وجلس وأخذ مصحفاً فنشره يقرأ فيه وقال: يوم كيوم عثمان.

فصعدوا على الحائط، وكان أوّل مَنْ علاه يزيد بن عنبسة، فنزل إليه فأخذ بيده وهو يريد أن يحبسه ويؤامر فيه، فنزل من الحائط عشرة، منهم منصور بن جُمهور، وعبد السلام اللّخميّ، فضربه عبد السلام على رأسه، وضربه السندي بن زياد بن أبي كَبْشة في وجهه واحتزَّ رأسه وسيَّروه إلى يزيد.

فأتاه الرأسُ وهو يتغذّى، فسجد، وحكى له يزيد بن عنبسة ما قاله للوليد، قال آخر كلامه: الله لا يرتق فتقكم ولا يلمّ شعثكم ولا تجتمع كلمتكم، فأمر يزيد بنصب رأسه. فقال له يزيد بن فروة مولى بني مرّة: إنّما تُنْصب رؤوس الخوارج وهذا ابن عمّك وخليفة ولا آمنَ إن نصبتَه أن ترقّ له قلوب النّاس ويغضب له أهل

بيته. فلم يسمع منه ونَصَبَه على رمحٍ فطاف به بدمشق، ثمَّ أمر به أن يُدْفَع إلى أخيه سليمان بن يزيد، فلمّا نظر إليه سليمان قال: بُعْداً له! أشهد أنَّه كان شَرُوباً للخمر ماجناً فاسقاً، ولقد أرادني في نفسي الفاسق، وكان سليمان ممَّن سعى في أمره.

وكان قتله لليلَتَيْن بقيتا من جمادي الآخرة، سنة ست وعشرين، وكانت مدَّة خلافته سنة وثلاثة أشهر، وكان عمره اثنتين وأربعين سنة.

(ابن الأثير ٥: ٢٨٠ وما بعدها)

* * *

صلب يحيى بن زيد بن عليّ بن الحسين

في سنة خمس وعشرين ومائة قُتل يحيى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب بخراسان.

وسبب قتله أنَّه سار بعد قتل أبيه إلى خُراسان، فأتى بَلْخ فأقام بها عند الحَرِيش بن عمرو بن داود حتى هلك هشام ووليَ الوليد ابن يزيد. فكتب يوسف بن عمر إلى نصر بمسير يحيى بن زيد وبمنزله عند الحَرِيش، وقال له: خذْه أشدّ الأخذ، فأخذ نصر الحَرِيش، فطالبه بيحيى، فقال: لا علم لي به. فأمر به فجُلد ستّمائة سوط. فقال الحَرِيش: والله لو أنَّه تحت قدميّ ما رفعتهما عنه: فلمّا رأى ذلك قريش بن الحَرِيش قال: لا تقتل أبي وأنا أدلُّك على يحيى، فدلَّه عليه، فأخذه نصر وكتب إلى الوليد يُخْبِرْه، فكتب الوليدُ يأمره أن يؤمنه ويخلّي سبيله وسبيل أصحابه. فأطلقه نصر وأمره أن يلحق بالوليد وأمر له بألفَيْ درهم، فسار إلى سَرْخَسْ فأقام بها، فكتب نصر إلى عبد الله بن قيس بن عُباد يأمره أن يسيِّره عنها، فسيَّره عنها، فسار حتَّى انتهى إلى بَيْهق، وخاف أن يغتاله يوسف بن عمر فعاد إلى نَيْسابور، وبها عمرو بن زُرارة، وكان مع يحيى سبعون رجلًا، فرأى يحيى تجّاراً، فأخذ هو وأصحابه دوابَّهم وقالوا: علينا أثمانها، فكتب عمرو بن زرارة إلى نصر يُخْبره، فكتب نصر يأمره بمحاربته، فقاتله عمرو، وهو في عشرة آلاف ويحيى في

سبعين رجلاً، فهزمهم يحيى وقتل عمراً وأصاب دوابّ كثيرة وسار حتّى مرَّ بهراة، فلم يعرض لِمَنْ بها وسار عنها.

وسرَّح نصر بن سيّار سالمَ بن أحْوز في طلب يحيي، فلحقه بالجُوزان فقاتله قتالاً شديداً، فرُمي يحيى بسهم فأصاب جبهته، رماه رجل من عَنَزة يقال له عيسى، فقُتل أصحاب يحيى من عند آخرهم وأخذوا رأس يحيى وسلبوه قميصه.

فلمّا بلغ الوليدَ قتلُ يحيى كتب إلى يوسف بن عمرو: خذْ عُجَيْل أهل العراق فأنزلْه من جذعه، يعني زيداً، وأحرقْه بالنار ثمَّ أنسفه باليمّ نسفاً، فأمر يوسف به فأُحْرق، ثمَّ رضَّه وحمله في سفينة ثمَّ ذرّاه في الفرات.

وأمّا يحيى فإنه لمّا قُتل صُلب بالجُوزان، فلم يزل مصلوباً حتَّى ظهر أبو مسلم الخراسانيّ واستولى على خراسان فأنزله وصلَّى عليه ودفنه وأمر بالنياحة عليه في خراسان، وأخذ أبو مسلم ديوان بني أميَّة وعرف منه أسماء مَنْ حضر قتْل يحيى، فمَنْ كان حيّاً قتله ومَنْ كان ميتاً خلفه في أهله بسوء، وكانت أمّ يحيى رَيْطة بنت أبي هاشم عبد الله بن محمَّد بن الحنفيَّة.

(ابن الأثير ٥: ٢٧١)

* * *

صلب يحيى بن عمر

في سنة خمسين ومائتين ظهر يحيى بن الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب المكنَّى بأبي الحسين، عليه السلام، بالكوفة، وكانت أمّه فاطمة بنت الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنهم.

وكان سبب ذلك أنَّ أبا الحسين نالته ضيقة، ولزمه دَيْن ضاق به ذرعاً، فلقي عمر بن فرج، وهو يتولّى أمر الطالبيِّين، عند مَقدمه من خُراسان، أيّام المتوكِّل، فكلَّمه في صِلته، فأغلظ له عمر القول، وحبسه، فلم يزل محبوساً حتى كفله أهله، فأطلق، فسار إلى بغداذ، فأقام بها بحال سيِّئة، ثمَّ رجع إلى سامرّاء، فلقي وصيفاً

في رزق يُجرى له، فأغلَظ له وصيف وقال: لأيّ شيء يُجرى على مثلك؟

فانصرف عنه إلى الكوفة، وبها أيّوب بن الحسن بن موسى بن جعفر بن سليمان الهاشميُّ، عامل محمَّد بن عبد الله بن طاهر، فجمع أبو الحسين جمعاً كثيراً من الأعراب وأهل الكوفة وأتى الفلّوجة، فكتب صاحب البريد بخبره إلى محمَّد بن عبد الله بن طاهر، فكتب محمَّد إلى أيُّوب وعبد الله بن محمود السَّرْخسيّ، عامله على معاون السواد، يأمرهما بالاجتماع على محاربة يحيى بن عمر، فمضى يحيى بن عمر إلى بيت مال الكوفة يأخذ الذي فيه، وكان فيما قيل ألفَيْ دينار وسبعين ألف درهم، وأظهر أمره بالكوفة، وفتح السجون وأخرج مَنْ فيها، وأخرج العُمّال عنها، فلقيه عبد الله بن محمود السَّرْخسيُّ فيمن معه، فضربه يحيى بن عمر ضربة على وجهه أثخنه بها، فانهزم عبد الله، وأخذ أصحابُ يحيى ما كان معهم من الدوابّ والمال.

وخرج يحيى إلى سواد الكوفة، وتبعه جماعة من الزيديّة، وجماعة من أهل تلك النواحي إلى ظهر واسط، وأقام بالبُستان، فكثر جمعه، فوجَّه محمَّدُ بن عبد الله إلى محاربته الحسينَ بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسين بن مُصْعب في جمع من أهل النجدة والقوَّة، فسار إليه، فنزل في وجهه لم يقدم عليه، فسار يحيى والحسين في أثره، حتى نزل الكوفة ولقيه عبد الرحمن ابن الخطّاب المعروف بوجه الفُلْس، قبل دخولها، فقاتله، وانهزم عبد الرحمن إلى ناحية شاهي، ووافاه الحسين، فنزلا بشاهي.

واجتمعت الزيديَّة إلى يحيى بن عمر، ودعا بالكوفة إلى الرضى من آل محمَّد، فاجتمع الناس إليه، وأحبُّوه، وتولّاه العامَّة من أهل بغداد، ولا يُعلم أنَّهم يولُّون أحداً من بيته سواه، وبايعه جماعة من أهل الكوفة ممَّن له تدبير وبصيرة في تشيّعهم، ودخل فيهم أخلاط لا ديانة لهم.

وأقام الحسين بن إسماعيل بشاهي، واستراح، واتَّصلت بهم الأمداد، وأقام يحيى بالكوفة يُعدّ العُدد، ويُصلِّح السلاح، فأشار عليه جماعة من الزيديَّة، ممَّن لا علم لهم بالحرب، بمعاجلة الحسين بن إسماعيل، وألحُّوا عليه، فزحف إليه ليلة

الإثنين لثلاث عشرة خلت من رجب، ومعه الهيصم العِجليُّ وغيره، ورجّالة من أهل الكوفة ليست لهم علم ولا شجاعة، وأسْرَوْا ليلتهم، وصَبَّحوا الحسين وهو مستريح، فثاروا بهم في الغلس، وحمل عليهم أصحاب الحسين فانهزموا، ووضعوا فيهم السيف،وكان أوَّل أسير الهيصم العِجليّ، وانهزم رجّالة أهل الكوفة، وأكثرهم بغير سلاح، فداستهم الخيل.

وانكشف العسكر عن يحيى بن عمر، وعليه جوشن، قد تقطَّر به فرسه، فوقف عليه ابن الخالد بن عمران، فقال له: خير، فلم يعرفه، وظنَّه رجلاً من أهل خُراسان لمّا رأى عليه عليه الجوشن، فأمر رجلاً، فنزل إليه، فأخذ رأسه، وعرفه رجل كان معه، وسيَّر الرأس إلى محمَّد بن عبد الله بن طاهر، وادَّعى قتله غير واحد، فسيَّر محمَّد الرأس إلى المستعين، فنُصب بسامرّا لحظة، ثمَّ حَطَّه، وردَّه إلى بغداد لِيُنصب بها، فلم يقدر محمَّد على ذلك لكثرة مَنِ اجتمع من الناس، فخاف أن يأخذوه فلم ينصبه، وجعله في صندوق في بيت السلاح. ووجه الحسينُ بن إسماعيل برؤوس مَنْ قتل، وبالأسرى، فحُبسوا ببغداذ، وكتب محمَّد بن عبد الله يسأل العفو عنهم، فأمر بتخليتهم، وأن تُدْفَن الرؤوس ولا تُنْصب، ففعل ذلك.

ولمّا وصل الخبر بقتل يحيى جلس محمَّد بن عبد الله يُهنَّأ بذلك، فدخل عليه داود بن الهيثم أبو هاشم الجعفريُّ، فقال: أيُّها الأمير! إنَّك لتهنَّأ بقتْل رجل لو كان رسول الله ﷺ، حيّاً لعُزِّي به، فما ردَّ عليه محمد شيئاً، فخرج داود وهو يقول:

يا بني طاهر كُلُوه وبيئاً ... إنَّ لحم النبيّ غيرُ مَرِيِّ
إنَّ وِتراً يكون طالبَه اللّـ ... ـهُ لوِترٌ نجاحُه بالحرِيِّ

(ابن الأثير ٧: ١٢٦)

* * *

صلب يزيد بن الوليد

في سنة سبع وعشرين ومائة بويع بدمشق لمروان بالخلافة. فلمّا دخل دمشق

هرب إبراهيم بن الوليد وسليمان، وثار مَنْ بدمشق مِنْ موالي الوليد إلى دار عبد العزيز بن الحجّاج بن عبد الملك فقتلوه ونبشوا قبرَ يزيد بن الوليد فصلبوه على باب الجابيَّة وأُتي مروان بالغلامَيْن الحَكَم وعثمان ابنَي الوليد مقتولَيْن، وبيوسف بن عمر، فدفنهم، وأُتي بأبي محمَّد السفيانيّ في قيوده فسلّم عليه بالخلافة.

(ابن الأثير ٥ : ٣٢٣)

* * *

صلب يوسف وعنبر

جاء في النجوم الزاهرة ٥ : ٢٦٥ : في السنة ٥٣٣ تآمر بعض أمراء دمشق مع خادمي الأمير محمود، صاحب دمشق، وهما يوسف والبقش الأرمني، فوثبا على الأمير محمود فقتلاه، وأعانهما عنبر الخادم، فقبض على يوسف وعنبر فصُلبا.

* * *

صلب يوسف بن إبراهيم

في سنة ستين ومائة خرج يوسف بن إبراهيم، المعروف بالبرم، بخراسان مُنكِراً هو ومَنْ معه على المهديّ سيرته التي يسير بها، واجتمع معه بشر كثير، فتوجَّه إليه يزيد بن مَزْيَدِ الشَّيبانيّ، وهو ابن أخي معن بن زائدة، فلقيه، فاقتتلا، حتى صارا إلى المُعانقة، فأسره يزيد بن مَزْيَد وبعث به إلى المهديّ، وبعث معه وجوه أصحابه، فلمّا بلغوا النَّهروان حُمل يوسف على بعير، قد حُوِّل وجهه إلى ذنبه، وأصحابه مثله، فأدخلوهم الرَّصافة على تلك الحال، وقُطعت يدا يوسف ورجلاه، وقُتل هو وأصحابه وصُلِبوا على الجسر.

(ابن الأثير ٦ : ٤٣)

* * *

صلب بالجملة

جاء في كتاب المنتظم ٨ : ١٥٤ : أنه في السنة ٤٤٣ ظهر عيّار، يُعرف بالطقطقي، من أهل درزيجان، حضر ديوان الخلافة، واستُتيب، وجرى منه في معاملة أهل الكرخ، وتتبّعهم في المحال وقتلهم على الاتصال، ما عظمت به البلوى، فقطَّع رجلين وصلبهما على حائط باب القلاّئين، وقتل قبلهما ثلاثة وقطع

رؤوسهم ورمى بها إلى أهل الكرخ، وقال: تغذّوا برؤوس باجة.

ومضى إلى درب الزعفراني وطالب أهله بمائة ألف دينار.

وفي السنة ٤٤٤ كبس الطقطقي طاق الحراني، وهو من محلاّت الكرخ، وقتل رجلين، وقطع رأسيهما وحملهما إلى القلاّئين فنصبهما على حائط المسجد المستجدّ.

* * *

تعليق أكفان مسلم بن عقبة

جاء في الإمامة والسياسة ٢ : ٩: أنه لمّا استباح مسلم بن عقبة، قائد الجيش الأموي، المدينة وقتل رجالها، خرج منها يريد مكة، فمات في الطريق، ودُفِن، فخرجت إليه زوجة أحد قتلاه، فنبشت قبره وأحرقت جثته ومزّقت أكفانها وعلّقتها على شجرة هناك، فكان كل من يمرّ بالأكفان يرجمها بالحجارة.

* * *

ستة وثلاثون رجلاً يُقطعون ويُصلبون

في رحلة ابن بطوطة ١ :١٨ : أنه في السنة ٧٢٧ وقعت بالإسكندرية مشاجرة بين تجّار من النصارى وأهل الإسكندرية وحسب الإسكندريون أن أمير المدينة، ويُلقّب بالكركي، أعان النصارى عليهم، فثاروا به وحصروه في قصره، فاستغاث بالملك الناصر محمّد بن قلاوون، فأعانه بجيش أعاد الأمن في البلاد، وقتل من أهل البلد ستة وثلاثين رجلاً قطع بدن كل واحد منهم إلى قطعتين وصلبهم صفّين.

* * *

أحد وجهاء حران يُصلب مع ابنيْ أخيه

جاء في أعلام النبلاء ١ : ٣٧٤: في السنة ٤٨٨ كاتب أهل حرّان جناح الدولة الحسين بن إيتكين، زوج أم السلطان رضوان بن تقش ليسلّموا إليه مدينة حران، فبلغ ذلك الأمير قراجة صاحب حرّان فاتّهم ابن المفتي أحد وجهاء حرّان فأخذه وأخذ معه ابنيْ أخيه وصلبهم.

* * *

صلب ولد جمال الدين

جاء في الجامع المختصر ص ٤٣ : أنه في السنة ٥٩٦ صلب الأمير جمال الدين قشتمر الناصري بالحلَّة ابن أمير خفاجة، وقتل والده زياد بن عبيد، وسبب قتلهما أن زياداً خلع عليه في ديوان الخلافة، وسلّمت إليه حماية البلاد الفراتية، فمضى مخلوعاً عليه، ودخل على الأمير جمال الدين بالحلَّة شامخاً عليه، فقتله وصلب ولده، فأنكرت الحال عليه، وألزم بأداء ألفي دينار سلِّمت إلى ورثة المقتول.

* * *

ميرزا يصلب زوجة أبيه

جاء في تاريخ العراق للعزاوي: أنه لمّا قتل جهان شاه، خلفه ولده حسن علي ميرزا في السنة ٨٧٢، فحاصر زوجة أبيه وقبض عليها وصلبها معلقة بثدييْها فظلَّت ثلاثة أيام حتى ماتت.

* * *

القاهر يعلِّق امرأة أبيه

جاء في كتاب نشوار المحاضرة: أن القاهر عندما استخلف عذَّب امرأة أبيه السيِّدة أمّ المقتدر وضربها بيده مائة مقرعة وعلَّقها بثدييْها، ثم علَّقها وهي منكّسة، فكان بولها يجري على وجهها.

* * *

صلب القاتل وجدع أنف المغنية

جاء في الجامع الصغير: أنه في السنة ٥٩٨ اجتمع مملوكان تركيان في دار يشربان خمراً وعندهما مغنِّية، فسكر أحدهما، فراود المغنية عن نفسها، فغار الآخر منه وضربه بسكِّين فقتله، فتقدَّم بصلب القاتل، فصلب على رأس درب الباهقي ببغداد، وجدع أنف المغنِّية.

(راجع الجامع المختصر ص ٨٢)

* * *

الفصل الثاني

في أخبار المعذّبين

مروان الجعدي يقطع لسان كاتبه

في سنة ١٢٨، كان مروان الجعدي يحارب الخوارج، وبعث إليهم كاتبه محمد بن سعيد رسولاً، فمالأهم وانحاز إليهم، ثم جيء به إلى مروان أسيراً، فقطع يده ورجله ولسانه.

(وفيات الأعيان ٣:٣٥٣؛ الطبري ٧:٣٤٧)

* * *

المتوكل يأمر بسلّ لسان ابن السكّيت

كان يعقوب بن السكّيت النحوي اللغوي يؤدب أولاد المتوكل، فقال له المتوكل يوماً: أيّما أحبّ إليك، ابناي هذان أم الحسن والحسين؟ فأجاب بجواب لم يرضه المتوكل، فأمر الأتراك فداسوا بطنه وسلّوا لسانه، فقتلوه.

* * *

المأمون يأمر بسلّ لسان العكوك الشاعر

غضب المأمون على أبي الحسن الشاعر المعروف بالعكوك، فأمر باعتقاله وأُحضر أمامه، فقال له: يا ابن اللخناء، أنت القائل للقاسم بن عيسى (أبي دلف):

كلّ من في الأرض من عرب ... بين باديه إلى حضرهْ
مستعيرٌ منك مكرمةً ... يرتديها يوم مفتخرهْ

جعلتنا ممّن يستعير منه المكارم، فقال: يا أمير المؤمنين، أنتم أهل بيت لا يقاس بكم، وإنما عنيت بقولي أقراناً وأشكالاً لأبي دلف، فقال له المأمون: أنا أستحلُّ دمك بكفرك في شعرك حيث قلت في عبد ذليل مهين:

أنت الــذي تنــزل الأيــام منــزلهــا   وتنقـل الـدهـر من حـالٍ إلى حــالِ
ومــا مـددت مــدى طـرفٍ إلى أحــدٍ   إلّا قــضــيــت بــأرزاقٍ وآجــال

ذاك هو الله عزَّ وجلَّ، فجعلت بشعرك مع الله شريكاً، ثم أمر بـه فسلَّ لســانه من قفاه، فمات.

* * *

الجاموس والمحوجب يموتان مسمَّرين

جاء في «سيرة الملك المنصور»، أنه في السنة ٦٧٩، ظهر بـالقاهـرة شخص يعرف بالجاموس، ادَّعى الشطارة والدعـارة، وصار منفـرداً يحمل سيفـاً وينفرد بمن يصادفه بظاهر القاهرة، فيسلبه ما يحمله.

ونـزل على جماعـة من النـاس في بيـوتهم فهـابـوه، وأعـطوه مـا أراد، وقتـل جماعة، ثم ظهر معه شخص آخـر يُعرف بالمحوجب، وأقامـا مدّة، فـأحضر الملك المنصـور والي مصر ووالي القـاهرة وتهـدَّدهـما أن يحضـرا الجامـوس والمحوجب، فقبضا عليهما، فأمر السلطان بتسميـرهما وصلبهمـا، فسمِّرا وصلبـا على باب زويلة أحد أبواب القاهرة، فأقاما أياماً وماتا.

* * *

أبو جعفر الكرخي يسمَّر ويُصلب

كان أبو القاسم البريدي رجلاً قاسياً لا يرحم، فقد عذَّب أبا جعفـر الكرخيّ، المعروف بالجرو، بألوان من العذاب. منها، أنه سمَّر يديه في حائط وهو قائم على كرسي، ثم نحّى الكرسي من تحته، فبقي مصلوباً معلقاً من يديه.

(راجع نشوار المحاضرة للتنوخي)

* * *

ابن السلَّار يعذِّب الموفق

كـان أبـو الحسن علي بن السـلّار، الملقَّب بـالملك العـادل وزيـر الــظافـر

الفاطمي، كان قبل الوزارة من آحاد الأجناد، فدخل يوماً إلى الموفَّق أبي الكرم التنيسي، وكان يتولّى الديوان، فشكا إليه من غرامة ألزم بها، فقال له الموفق: إن كلامك هذا ما يدخل في أذني، فحقد عليه.

ولما استوزر، طلبه حتى ظفر به، فأمر بإحضار لوح خشب ومسمار طويل، وأمر به فأُلقي على جنبه، وطرح اللوح تحت أذنه، ثم ضرب المسمار في الأذن الأخرى، وصار كلما صرخ، يقول له: دخل كلامي في أذنك أم لا؟ حتى مات.

* * *

ذبح مؤنس ويلبق وولده علي

روى ابن الأثير، قال:

في السنة ٣٢١، احتال القاهر على القوّاد مؤنس ويلبق وولده عليّ فاعتقلهم، ثم دخل على عليّ بن يلبق وأمر به، فذبح أمامه واحتزَّ رأسه، فوضعه في طشت، ومضى القاهر والطّشت يحمل بين يديه حتى دخل على يلبق، فوضع الطشت بين يديه، وفيه رأس ولده، فلما رآه بكى، فأمر به القاهر فذبح أيضاً، وجعل رأسه في الطّشت، وحمل بين يديْ القاهر.

ومضى حتى دخل على مؤنس، فوضع الطّشت بين يديه، فلما رأى الرأسين استرجع وتشهّد. فقال القاهر: جرّوا برجل الكلب الملعون، فجرّوه وذبحوه ووضعوا رأسه في الطّشت، وطيف بالرؤوس في بغداد.

* * *

ذبح محمد بن أبي خالد والطواف برأسه

روى الطبري، قال:

في السنة ٢٠١، قتل محمد بن أبي خالد، في معركة بينه وبين جيش المأمون، وكان زهير بن المسيب أحد قواد المأمون محبوساً عند جعفر بن محمد بن أبي خالد، فأخرج زهير من الحبس، وذبح، وطيف برأسه، ثم أخذ جسده وربط

في رجليه بحبل وطيف به في بغداد، ومرّوا به على دوره ودور أهل بيته عند باب الكوفة، وطيف به في الكرخ، ثم طرحوه في دجلة ليلاً.

* * *

المنصور يخنق عمه عبد الله بن علي

قتل المنصور عمّه عبد الله بن علي، وكان أرسل إليه أبا الأزهر، فدخل عليه ومعه جارية له، فبدأ بعبد الله، فخنقه حتى مات، ثم مدَّه على الفراش، ثم أخذ الجارية ليخنقها، فقالت: يا عبد الله، قتلة غير هذه القتلة، فكان أبو الأزهر يقول: ما رحمت أحداً قتلته غيرها، فصرفت وجهي عنها، وأمرت بها، فخنقت ووضعتها معه على الفراش، وأدخلت يدها تحت جنبه، ويده تحت جنبها كالمعتنقين، ثم أمرت بالبيت فهدم عليهما.

ثم أحضرنا القاضي ابن علاثة وغيره، فنظروا إلى عبد الله والجارية معتنقين على تلك الحال، ثم أمر به، فدفن.

* * *

خنق ابن الحواري

لما وزر ابن الفرات للمقتدر وزارته الثالثة سنة ٣١١، قبض على أبي القاسم بن الحواري، وصادره على سبعمائة ألف دينار مصادرة خاصة من دون كتّابه وأسبابه، ثم تسلَّمه المحسن بن الفرات، فصفعه صفعاً عظيماً على دفعات، وضربه بالمقارع ثم أحدره إلى الأهواز، وأنفذ معه الحبشي المستخرج، فلما وصلوا البصرة وتوجهوا منها إلى الأهواز، طرح الحبشي ابن الحواري في الماء منكساً وشدَّ رجليه، وعندما بلغ موضعاً في أسفل الأبلّة أخرجه وقد بقي فيه أدنى رمق، فخنقه غلمان كانوا معه ودفنوه.

* * *

مروان يُخنق خنقاً

جاء في الأغاني ومروج الذهب، أن مروان كان قد أخذ البيعة لنفسه، ثم

لخالد بن يزيد، ثم لعمرو بن سعيد بن العاص. فلمّا استقرَّ في موضعه بدا له، فجعلها لابنه عبد الملك، ثم لابنه عبد العزيز.

فدخل عليه خالد بن يزيد، فكلَّمه، وأغلظ له، فغضب مروان، وقال له: أتكلِّمني يا ابن الرطبة، يعيِّره بأمِّه، وكان قد تزوَّجها ليضع منه.

فدخل خالد إلى أمِّه، فحدثَّها بما قال مروان، فقالت: لا يعيبك بعدها، ثم إنه لمّا دخل عندها وضعتْ على متنفّسه وسادة وقعدت هي وجواريها فوقها حتى اختنق ومات.

* * *

الصالح يخنق أخاه العادل

في سنة ٦٤٦، جهَّز الملك الصالح أخاه العادل، وكان معتقلاً عنده بمصر لينفيه إلى الشوبك، فدخل عليه محسن الخادم ليكلِّمه في السفر، فغضب منه ورماه بدواة كانت عنده، فخرج وأخبر الصالح، فقال له الصالح: دبِّر أمره، فأخذ معه ثلاثة أشخاص ودخلوا عليه، وخنقوه بشاش وعلَّقوه به، وأظهروا أنه شنق نفسه.

(مروج الذهب ٢: ٢٤١؛ الوزراء للصابي ٤٧؛ النجوم الزاهرة ٦: ٣١٢)

* * *

المعتمد يموت في خابية

روى صاحب العيون والحدائق خبراً طريفاً عن موت المعتمد، فذكر أن المعتضد دسَّ إلى جواري عمّه المعتمد بقتله، فوضعنَ سمكاً صغاراً في خابية كبيرة وقلنَ للمعتمد ـ وكان سليم القلب ـ انظر إلى هذا السمك، فأشرف عليه، وأدخل رأسه في الخابية، فرفعن رجله ورمينه في الخابية، فاختنق ومات.

* * *

التعذيب بالمساهرة

مارسه المعتضد مع أحد اللصوص المتهمين بسرقة من بيت المال، فقد أمر

المعتضد بإحضار ثلاثين أسود، وأمرهم بأن يتناوبوا في ملازمته بحيث لا يمكّن من الاتّكاء ولا الاستناد ولا الاستلقاء ولا النوم، فإذا خفق خفقة ضرب فكّه وقمع رأسه، فظلّوا على ذلك أياماً حتى قارب الرجل التلف. (مروج الذهب ٢ : ٥٠٧).

وفي تجارب الأمم (٦ : ٥٣٩)، أن المتوكل قبض سنة ٢٣٤، على وزيره محمد بن عبد الملك الزيات، وعذّب أول الأمر بأن سُوهر ومُنع من النوم، وكلّما أغفى نخس بمسلّة، وكان قد اتخذ تنوراً من خشب فيه مسامير حديد قيام، وكان عذّب به ابن أسباط المصري، ثم ابتلي هو به، فعذّب فيه حتى مات.

وكان من جملة العذاب الذي عذّب به بكر الصوباشي ببغداد سنة ١٠٣٢، أنه سُوهر أياماً كوي خلالها بالنار، ثم أحرق هو وأخوه.

* * *

عبد الملك يعذّب سعيد بن المسيّب

أورد الغزالي في «إحياء علوم الدين»، أن عبد الملك بن مروان خطب ابنة التابعي سعيد بن المسيّب، وكانت مشهورة بجمالها لابنه الوليد، فرفض سعيد لورعه ومعارضته لسياسة الأمويين، فأمر عبد الملك بتأديبه، فضُرب مئة سوط في يوم بارد وأُلبس جبّة صوف، ثم صبّت عليه جرّة ماء بارد.

* * *

عمر بن عبد العزيز يعذّب خُبيب

ارتكب عمر بن عبد العزيز إجراءً مماثلاً لما ارتكبه عبد الملك بحق سعيد بن المسيّب، وذلك أن عمراً صب الماء البارد على خُبيب بن عبد الله بن الزبير بأمر من الوليد بن عبد الملك، حين كان عمر والياً على المدينة. ولعل هذا هو السبب في حدّة شعور عمر اللاّحق بالجريمة كما تقول الروايات، حيث أعلن الندم والتوبة وحاول التخلّص من الولاية.

(راجع نسب قريش)

* * *

المتوكل سليمان بن وهب في الكنيف

لما قبض المتوكل على إيتاخ (وكان عظيماً في دولة المعتصم والواثق)، قبض على كاتبه سليمان بن وهب، وسلّمه إلى إسحاق بن إبراهيم المصعبي، وقال له: هذا عدوّي، ففصّل لحمه عن عظمه، وإن إسحاق أخذه فقيّده بقيدٍ ثقيل، وألبسه جبّة صوف، وحبسه في كنيف، وأغلق عليه خمسة أبواب، فكان لا يعرف الليل من النهار، وأقام على ذلك عشرين يوماً، لا يفتح عليه الباب إلاّ دفعة واحدة في كل يوم وليلة، يدفع إليه فيها خبز وملح جريش، وماء حار، فكان يأنس بالخنافس وبنات وردان، ويتمنى الموت من شدّة ما هو فيه.

(الأغاني؛ الفرج بعد الشدة، القصة رقم ٧٣)

* * *

المأمون يعذِّب جاريته «عريب» في الكنيف

كانت عريب المأمونية تتعشّق محمد بن حامد، وكانت تلقاه في الوقت بعد الوقت، فلمّا وقف المأمون على خبرها مع محمد بن حامد، أمر بإلباسها جبّة صوف، وختم زيقها وحبسها في كنيف مظلم شهراً لا ترى الضوء، يدخل إليها خبز وملح وماء من تحت الباب في كل يوم، ثم ذكرها، فرقَّ لها، وأمر بإخراجها، وظلّت على محبة محمد بن حامد، فزوَّجه المأمون بها.

* * *

إبراهيم الموصلّي يعذّب في الحبس

حبس المهدي المغنّي إبراهيم الموصلّي، فحذق الموصلّي في الحبس القراءة والكتابة، وكان قد منعه من الدخول على ولديه موسى وهارون، ثم بلغه أنه دخل عليهما وشرب معهما، وكانا مستهترين بالنبيذ، فأحضره، وأمر به فجرِّد وضُرب ثلاث مائة وستين سوطاً، ثم ضربه بيده بالسيف في جفنه فشجَّه، ثم أمر به فأعيد ضربه، ثم أمر عبد الله بن مالك بأن يصيِّره في حبسٍ شبيه بالقبر، فأخذه عبد الله وأمر بكبش فذبح وسلخ، وألبس جلده ليسكن ألم الضرب، ثم دفعه إلى خادم له، فصيَّره في ذلك القبر وبالبقّ، فدخَّن عليه بالفحم، فكاد أن يموت

اختناقاً، وكان معه في القبر حيتان تخرجان ثم تعودان إلى حجريهما، ومكث في ذلك القبر حيناً ثم أُخرج.

* * *

المنصور يعذِّب عبد الله بن الحسن في سرداب

جاء في النجوم الزاهرة (٢ : ٤)، أن المنصور حبس عبد الله بن الحسن وأقاربه من بني الحسن في سرداب تحت الأرض، لا يعرفون ليلاً ولا نهاراً، والسرداب عند قنطرة الكوفة، ولم يكن عندهم بئر للماء ولا سقاية، فكانوا يبولون ويتغوَّطون في موضعهم، وإذا مات منهم ميِّت، لم يدفن بل يبلى وهم ينظرون إليه، فاشتدت عليهم رائحة البول والغائط، فكان الورم يبدو في أقدامهم، ثم يترقّى إلى قلوبهم، فيموتون.

ويقال: إن أبا جعفر ردم عليهم السرداب، فماتوا، وكان يسمع أنينهم أياماً.

* * *

حُبس في المطبق حتى مات

غضب أحمد بن طولون على أحمد بن إسماعيل بن عمار، أحد أتباعه، فحبسه في المطبق حتى مات، وسبب ذلك أن أحمد بن إسماعيل كان عظيم الإخلاص لأحمد، وأشار عليه مشورة، فلم يعمل بها، فبسط لسانه بانتقاده على جهة الإشفاق عليه، فقال عنه:

إنه لم يتمرَّن في الرئاسة، وفيه لجاج لا يؤمن عليه منه، فبلغ ذلك أحمد بن طولون، فحبسه في المطبق حتى مات.

* * *

المعتصم يعذِّب أحمد بن الخليل في بئر

روى الطبري (٩ : ٨٧)، قال:

في سنة ٢٢٣، تآمر بعض القواد على المعتصم، ومنهم أحمد بن الخليل،

فأمر المعتصم به أن يحمل على بغل بإكاف بلا وطاء، وأن يطرح في الشمس إذا نزل، ويطعم في كل يوم رغيفاً واحداً، ثم أمر أشناس، فدفعه إلى محمد بن سعيد السعدي، فحفر له بئراً في الجزيرة بسامراء وأنزله فيها وأطبقها عليه، وفتح له كوَّة يرمي إليه منها بالخبز والماء، فسأل عنه المعتصم، فأخبر بالمكان الذي هو فيه، فقال:

أحسب إنه قد سمن على هذه الحال، فأخبر أشناس محمد بن سعيد بذلك، فصبَّ عليه ماءً في البئر ليمتلىء ويغرق فلم يمتلىء البئر، فسلَّمه أشناس إلى غطريف الجندي، فمكث عنده أياماً ومات.

* * *

المهدي يحبس يعقوب بن داود في بئر

روى المؤرخون، أن المهدي حبس يعقوب بن داوود في بئر بنيت عليها قبة، فمكث في حبسه خمس عشرة سنة، يدلّى له في كل يوم رغيف وكوز ماء ويؤذن بأوقات الصلاة، إذ أن نور النهار لا ينفذ إلى موضعه، فلم يكن يفرِّق بين الليل والنهار، وإن هارون الرشيد أطلقه، أمر أن دلّى إليه حبلاً وطلب منه أن يشدَّ به وسطه، ففعل فأخرجوه، فلمّا تأمَّل الضوء غشي على بصره.

(وفيات الأعيان ٧: ٢٥)

* * *

صاحب الزنج يسلق الأسرى

وصف ابن المعتز في أرجوزة له ألوان العذاب التي كان يمارسها صاحب الزنج على أسراه، فقال:

ولم يزل بالعلوي الخائن ... المهلك المخرب المدائن
والبائع الأحرار في الأسواق ... وصاحب الفجّار والمرّاق
وقاتل الشيوخ والأطفال ... وناهب الأرواح والأموال
فخرَّب القصور والمساجد ... ورأس كل بدعة وقائد

قد خرَّب الأهواز والأبلَّة — وواسطاً قد حلَّ فيها حلَّة
وترك البصرة من رماد — سوداء لا توقن بالمعاد
وأطعم الزنوج أطفال الناس — مكيدة منه فأعظم من باس
فواحد يشدخ بالعمود — وواحد يدخل بالسفود
وبعضهم مسمَّط مربوط — وبعضهم في مرجل مسموط
وجعل الأسرى مكتَّفينا — أغراض نبل ومعلّقينا
وبعضهم يحرق بالنيران — وبعضهم يلقى من الحيطان
وبعضهم يصلب قبل الموت — وبعضهم يئن تحت البيتِ

* * *

أحد قَتَلَة الحسين يموت حرقاً

روى الطبري وابن الأثير أن زيداً بن رقاد الجنبي ـ وهو أحد قَتَلَة الحسين ـ عليه السلام ـ أُحرق بالنار، وهو الذي كان يقول: رميت فتى من آل الحسين بسهم، وإنه لواضع كفِّه على جبهته يتَّقي النَّبل فأثبتّ كفّه في جبهته فما استطاع أن يزيل كفّه، ثم رميته بسهم آخر فقتلته، ثم جئت إليه ميتاً فنزعت سهمي الذي قتلته به من جوفه، أما السَّهم الذي في جبهته، فلم أزل أنضنضه حتى نزعته، وبقي النصل مثبتاً في جبهته، ما قدرت على نزعه، وهذا الفتى القتيل عبد الله بن مسلم بن عقيل.

فلما استولى المختار الثقفي على الكوفة بعث قائده عبد الله بن كامل الشاكري فأحاط بدار زيد، وأمر رجاله فاقتحموها عليه، فخرج عليهم مصلتاً سيفه، فقال ابن كامل: لا تضربوه بسيف، ولا تطعنوه برمح، ولكن ارموه بالنبل وارجموه بالحجارة، ففعلوا به ذلك فسقط وأخرجوه وبه رمق فدعا بنار فأحرقهُ بها وهو حيّ لم تخرج روحه.

* * *

المعتضد يشوي شيلمة

روى التنوخي في نشوار المحاضرة، والطبري وابن الأثير أن المعتضد قبض

في سنة ٢٨٠ على محمد بن الحسن بن سهل، الملقب: شيلمة، وكان قد اتّهم بأنه يسعى لبيعة خليفة من أولاد الواثق فصدقه عن المؤامرة ولكنه لم يُبح باسم من أرادوا بيعته، فاجتهد به وألحَّ فقال له: والله لو جعلتني (شاورما) لم أخبرك باسمه. فقال المعتضد للفراشين: هاتوا أعمدة الخيم الكبار الثقال، وأمر أن يشدّ عليها شداً وثيقاً، وأحضر فحماً كثيراً وأجَّجوا ناراً وجعل الفراشون يقلِّبون شيلمة على النار وهو مشدود على الأعمدة، حتى انشوى ومات.

* * *

معزّ الدولة يسمل عينيْ المستكفي

في سنة ٣٣٤ اتَّهم معزّ الدولة، المستكفي، بأنه يكاتب خصومه الحمدانيين، فانحدر إلى دار الخلافة، فسلَّم على الخليفة المستكفي، وقبَّل الأرض، وقبَّل يد الخليفة، وطرح له كرسي فجلس، ثم تقدَّم رجلان من الديلم فمدّا أيديهما إلى المستكفي، فظنَّ أنهما يريدان تقبيل يده، فناولهما يده، فجذباه فنكساه عن السرير ووضعا عمامته في عنقه، وجرّاه وحُمل راجلاً إلى دار معزّ الدولة فاعتقل بها وخلع من الخلافة وسملت عيناه.

* * *

السلار يسمل عينيْ الكردي

في سنة ٣٣٤ استعان أبو سالم ديسم بن إبراهيم الكردي بسيف الدولة الحمداني فأعانه، فقصد مدينة سلماس وملكها، وخطب بها لسيف الدولة، وكان السلار المرزبان بن محمَّد غائباً بناحية باب الأبواب، مشغولاً بقوم خرجوا عليه هناك، فلما عاد وأصلح أمره، قصد ديسماً فاستأمن رجال ديسم إلى سلار، وفرَّ ديسم فالتجأ إلى ابن المرزباني صاحب أرمينية مستجيراً به، فقبله، ثم غدر به، وقبض عليه وقيَّده وحمله إلى السلار فسمل عينيه ثم قتله.

(انظر تاريخ الصابي ٨: ٤٤٤)
(انظر تجارب الأمم ٢: ١٦١)

* * *

سمل عينيْ الحيري ونبش قبره

في سنة ٣٩٢ تآمر أبو عبد الله الحيري، كاتب الحسن بن المسيّب، وهو من شرار الخلق، على أبي الحسين بن شهرويه، كاتب قرواش، وأبي عبد الله المستخرج وكيل قرواش، فقتلهما، وقتل كثيراً من الناس غيرهما، وسمَّ سيِّده الحسن، فأغروا به مرح، أخا الحسن بن المسيّب، الذي خلفه في ضمان الموصل، فقبض عليه وسمل عينيه فمات.

فلما دُفن، نبش أهل الموصل قبره وأحرقوه لسوء معاملته لهم وما قدّمه من القبيح إليهم.

* * *

الراضي يسمل عينيْ القاهر

جاء في مروج الذهب: أن القاهر، محمد بن المعتضد كان من أعظم الناس شرّاً وأقساهم قلباً، وكان يعامل الراضي معاملة سيِّئة، فلما قبض عليه في سنة ٣٢٢، وكان يُعرف ماله عند الراضي، فعذِّب عذاباً شديداً وخُلِع، وأشار القائد سيما بسمله، فاستحضر الراضي بختيشوع بن يحيى الطبيب، وسأله عمَّن يحسن أن يسمل، فذكر له رجلاً، فأُحضر، وكحل القاهر بمسمار محمَّى دفعتين فسمل عينيه حتى سالتا جميعاً على خدَّيه.

* * *

ابن حسّان يُحرق حيّاً

جاء في الجامع المختصر ص ٢٢٧: أنه في السنة ٦٠٤ قتل رجلان من رجال البدرية الشريفة في دار الخلافة ببغداد، اسم أحدهما براها، والآخر عليك، أحد النقباء بباب الشحنة ويُعرف بابن حسّان، إذ لقياه في محلة المأمونية وهو على فرس، فنكَّسه أحدهما وطعنه الثاني بسكين، ففرَّ من يديهما ودخل داراً وأغلق بابها وصعد إلى سطحها، فتسوَّر عليه جماعة من العوام وألقوه من السطح على رأسه وشدُّوا في رجله حبلاً وسحبوه وهو حيّ وحملوه إلى دجلة وألقوه فيها ثم أخرجوه وأحرقوه.

* * *

المعتصم يدفن عمرو الفرغاني حيّاً

روى الطبري وابن خلدون أن بعض قواد المعتصم تآمروا عليه سنة ٢٢٣، وبايعوا العباس بن المأمون، وكان منهم عمرو الفرغاني، فلما نزل المعتصم بنصيبين في بستان، دعا صاحب البستان وأمره فحفر بئراً بقدر قامة، ثم دعا بعمرو وقال: جرِّدوه، فجُرِّد، وضربوه بالسياط والبئر تُحفر، حتى إذا فرغ من حفرها أمر المعتصم فضرب وجه عمرو وجسده بالخشب، فلم يزل يضرب حتى سقط ثم قال: جرُّوه إلى البئر فاطرحوه فيها، فطرح في البئر وطمَّت عليه.

(انظر ابن خلدون ٣: ٢٦٥) (انظر الطبري ٩: ٧٧)

* * *

الوليد بن عبد الملك يدفن وضاح اليمن حيّاً

جاء في الأغاني: أنه بلغ الوليد بن عبد الملك تشبيب وضاح اليمن بزوجته أم البنين، فهمَّ بقتله، فسأله عبد العزيز ابنه من أم البنين أن لا يقتله، وقال له:

إن قتلته حقَّقت قوله، وتوهَّم الناس أن بينه وبين أُمِّي ريبة، فأمسك عنه على غيظ وحنق حتى بلغ الوليد أنه قد تعدَّى أم البنين إلى أُخته فاطمة زوجة عمر بن عبد العزيز فشبب بها، فاشتدَّ غيظه وقال:

أما لهذا الكلب مزدجر عن ذكر نسائنا وأخواتنا ولا له عنّا مذهب. ثم دعا به فأُحضِر، وأمر ببئر فحُفِرت ودفنه فيها حيّاً.

(راجع أخبار النساء في كتاب الأغاني)

* * *

المنصور يبني على محمد بن الحسن وهو حيّ

جاء في الفخري ١٦٤: أنه لما اعتقل المنصور بني الحسن في سنة ١٤٤، نظر إلى محمد بن إبراهيم بن الحسن، وكان من أجمل الناس صورة، فقال له: أنت الديباج الأصفر؟

قال: نعم.

قال: أما والله لأقتلنَّك قتلة ما قتلتها أحداً من أهل بيتك، ثم أمر بأسطوانة مبنيَّة ففرقت ثم أدخل فيها، فبني عليه وهو حيّ.

* * *

المقطوع الذكر

روى ابن تغري بردى في النجوم الزاهرة ٥: ٢٢: أن بدر الجمالي لما قدم إلى القاهرة سنة ٢٦٦ فرَّ ابن أخي ابن المدبّر، وهو عبد الله بن يحيى بن المدبّر في زيّ المكدّبين، وكان متزوجاً بإحدى بنات نزار بن الخليفة المستنصر، فاعتقل وقطع ذكره ووضع في فيه ثم قُتل.

* * *

غلام يقطع ذكر العسكري

روى الجبرتي ٣: ٥١٦ قال: في سنة ١٢٣١ تعلَّق في القاهرة شخص عسكري بغلام من أولاد البلد، وأراد أن يرتكب منه الفاحشة في الطريق، فخادعه الغلام وقال له: إن كان ولا بدّ فادخل بنا إلى مكان لا يرانا فيه أحد، فدخل معه إلى درب حلب، حيث دور الأمراء التي أصبحت خرائب، وحلَّ العسكري سراويله فقال له الغلام: أرني «بتاعك» فلعلَّه يكون عظيماً لا أتحمَّله جميعه، وقبض عليه، وكان بيده موسىً مخفيَّة في يده الأخرى، فقطع ذكره بتلك الموس سريعاً، وسقط العسكري مغشياً عليه وتركه الغلام وذهب في طريق، وحضر رفقاء العسكري وحملوه وأحضروا له سليماً الجرائحي فقطع ما بقي من مذاكيره.

* * *

قطعوا ذكره ووضعوه في فمه

ذكر ابن الأثير: أنه في السنة ٥٤٢ توفي صاحب قابس، فاستولى على البلد مولى له اسمه يوسف، وكاتب رجار الصقلي وأطاعه وسيَّر له رجار خلعة وعهداً، فحاصر صاحب إفريقية قابس، وثار أهل البلدة بيوسف، وتسلَّم الحسن البلد وأُخِذ يوسف أسيراً فعُذِّب أنواع العذاب وقطعوا ذكره وجعلوه في فمه.

* * *

الصاحب شمس الدين بن موسى يعذّب عصراً

جاء في النجوم الزاهرة: أن الصاحب شمس الدين بن موسى توفي سنة ٧٧١، وكان قد عُصر وعذِّب بأنواع العذاب، وضربه والي القاهرة أول مرَّة مائتي سوط وسعطه بالماء والملح والخلّ والجير، وعقد له المقرعة، حتى كانت إذا نزلت على جنبه أحدثت فيه ثقوباً، وكان بعد المعاقبة يرمى عرياناً في الشتاء على البلاط، فيتمرَّغ عليه وهو لا يعي، ثم عصروه في كعبه وأصداغه، وقيل إنه أُحصي مقدار ما ضرب فكان ستة عشر ألف سوط.

وقد ضُرب مرَّة فسقط من ظهره قطعة لحم بقدر الرغيف، ومن أعجب العجب أن هذا الرجل، كان قبل العذاب مريضاً ضعيف البنية، نحيف البدن، قليل الأكل، مصاباً بالربو وضيق النفس، وكانت الحمّى تلازمه، يلبس الفراء صيفاً وشتاءً، فلمّا عُذِّب هذا العذاب وأُطلق تعافى من جميع أمراضه وصار صحيح البدن.

* * *

المهتدي العباسي يُقتل بعصر خصيتيه

روى ابن الأثير: أن النزاع اشتدَّ بين المهتدي وبين الأتراك، وحاول المهتدي أن يتقرب إلى قلوب العامة، فبنى قبة للمظالم وجلس فيها للخاصّ والعامّ وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وحرَّم الشراب، ونهى عن القيان وأظهر العدل، وكان يخطب بالناس ويؤمّهم في أيام الجمع. فشغب عليه الأتراك فخرج إليهم بالسلاح معلقاً في عنقه مصحفاً واستنفر العامة وأباحهم دماء الأتراك وأموالهم ونهب منازلهم، فحاربه الأتراك وانتصروا عليه.

وقبضوا عليه فداسوا خصيتيه وضعفوه حتى مات، وأشهدوا على موته أنه سليم البنية ليس به أثر.

* * *

هشام بن عبد الملك يقلع أضراس عمارة الكلبي

أُقيمت وليمة قرشية حضرها هشام بن عبد الملك حين كان أميراً، ووجيه يدعى عمارة الكلبي. واقتضى ترتيب الوليمة أن يجلس عمارة فوق هشام، فاستكثرها منه وآلى على نفسه أن يعاقبه متى أفضت إليه الخلافة.

فلما استخلف أمر أن يؤتى به وتُقلع أضراسه وأظفار يديه، ففعلوا به ذلك.

وكان يقول فيما يندب نفسه:

عذبوني بعذاب قلعوا جوهر راسي
ثم زادوني عذاباً نزعوا منِّي طِساسي
بالمِدى حزّ لحمي وبأطراف المواسي

(راجع أمالي القالي)

* * *

قائد المماليك يأمر بقلع أضراس الأجدر

في سنة ١٢١٧ حصلت معركة بين المماليك الذين في الصعيد، وجماعة من الجيش العثماني، وكانت الدائرة على الجيش العثماني، فقُتل أكثر الجماعة، وأُسر رئيسها واسمه الأجدر، وكان موصوفاً بالشجاعة والإقدام، فأحضر أمام الأمير الألفي، رأس المماليك، فقال له: لأيّ شيء سموك الأجدر؟

فقال: الأجدر معناه الأفعى العظيمة.

فقال له: يحتاج إلى تطريمك وإخراج سمِّك. وأمر به فقلعت أسنانه ثم قتلوه.

* * *

المطيع يجدع أنف محمد بن عبد الله

روى ابن الأثير ٨: ٥٨٤: أنه في السنة ٣٥٧ ظهر ببغداد رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويجدّد ما عفا من أمور الدين، فبايعه قوم وسمّى نفسه محمد بن

عبد الله . يدَّعي تارةً إنه علوي ، وتـارةً إنه عبّـاسي ، فأخـذ ومعه أخ لـه ، فأسلمهمـا بختيار إلى الخليفة المطيع ، فجدع أنفه ثم قتله .

أمـا في الوافي بـالوفيـات ٣ : ٣١٣ ، فجاء : في السنـة ٣٥٧ قبض عزّ الـدولة بختيـار على أبـي الحسين محمد بن الخليفـة عبـد الله المستكفي بن علي المكتفي العباسي ، وأنفذه إلى دار الخلافة ، فجدع أنفه وقطعت شفتيه العليا وشحمتا أذنيـه ، وحُبِس في دار الخلافة ، وكان معه أخـوه علي ، وكان أبـو الحسن هذا قـد هرب من بغداد لما خلع أبوه المستكفي وسملت عيناه ثم عـاد في السنة ٣٥٧ إلى بغـداد سراً وطلب الخلافة ، وادَّعى أن أباه كان قد نصَّبه وليّاً لعهده فبـايعه جمـاعة من الـديلم وخلق من أهـل بغداد ، منهم أبـو القاسم إسمـاعيـل بن محمـد المعـروف بـزنجي ، وترتَّب له وزيراً ، وتلقب المستجير بالله ، فأخذه بختيار وأنفـذه إلى دار الخليفة حيث جدع أنفه وقطعت شفتـه وشحمتا أُذنيه .

* * *

فخر الدولة يجدع أنف وزيره

جاء في وفيات الأعيان ٥ : ١١١ : أن فخر الدولة بن ركن الدولة البويهي قبض على وزيره أبـي الفتح بن العميد ، واجتاح ماله وسمل عينه الواحدة وقطع أنفه وجـزَّ لحيته وقطع يديه ، وما زال يعرضه على ألوان العذاب حتى تلف .

* * *

قلع عينيه وأسنانه وجدع أنفه

في سنة ١٢٠٢ قتل حمزة كاشف ، المعروف بالدوديدار ، رجلاً نصرانياً رومياً صائغاً ، اتَّهمه مع زوجته ، فقُبض عليه ، وعـذَّبه أيـاماً ، ومن جملة مـا عذَّبـه به ، أن قلع عينيه وأسنانه وجدع أنفه وقطع شفتيه وأطرافه حتى مات .

(انظر معجم الأدباء ٧ : ٣٠١ ، انظر الجبرتي ٢ : ٥٣٨ ، انظر الجبرتي ٢ : ٥٢)

* * *

نتف لحية يوسف بن عمر

روى الطبري (٧: ٢٧٤)، قال:

لما قتل الوليد بن يزيد، وتولى يزيد بن الوليد، ولّى منصور بن جمهور العراق، ففرَّ يوسف بن عمر إلى الشام، واستتر، فقبض عليه وقد لبس لبسة النساء وجلس بين نسائه وبناته، فجرّوا برجله، ونتفوا قسماً من لحيته، وكان من أعظم الناس لحية، وأقصرهم قامة، وحبس في السجن مع الحكم وعثمان بن الوليد، فلما مات يزيد وولي إبراهيم وانتقض أمره، دخل يزيد بن خالد القسري السجن، فأخرج يوسف بن عمر وقتله.

* * *

مسلم بن عقبة يأمر بنتف لحية عمرو بن عثمان

روى الطبري وابن الأثير، أنه لما استباح يزيد بن معاوية المدينة في وقعة الحرّة، وقتل ونهب وسبى وانتهك الحرمات، أحضر قائد الجيش وهو مسلم بن عقبة المرّي، عمرو بن عثمان بن عفّان، وقال: يا أهل الشام، هل تعرفون هذا؟ هذا الخبيث بن الطيِّب، هيه يا عمرو. . . إذا ظهر أهل المدينة قلتَ: أنا رجل منكم.

وإن ظهر أهل الشام، قلتَ: أنا ابن أمير المؤمنين عثمان. ثم أمر به فنتفت لحيته حتى ما تركت فيها شعرة.

* * *

بعض من عُذِّب بالتدخين ومات

● منهم الأقيشر الشاعر، فإنه هجا قيس بن محمد بن الأشعث الكندي، فأمسك به موالي قيس ودخنوا عليه حتى مات.

(راجع أسماء المغتالين ٢٤٩)

● ومنهم العالم النيسابوري علي بن الحسن الهلالي، فقد قتله عامل نيسابور

سنة ٢٦٧، فأدخله بيتاً وأوقد فيه النار في التبن، فمات من الدخان.

(المنتظم ٥ : ٦٠)

● وفي سنة ٥٧٣، قتل الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين زنكي، كمشتكين الخادم، بأن علّقه منكساً، ودخّن تحت أنفه حتى مات.

(النجوم الزاهرة ٦ : ٨١)

● ومنهم محمد بن غالب الأصبهاني المعداني الكاتب، فقد قتله القاسم بن عبيد الله وزير المكتفي، لأنه ترشّح للوزارة، فقد ذكر الصفدي أن القاسم أخرجه إلى أصبهان وكتب إلى المسمعي بإهلاكه، فأحضره مائدته وأطعمه سمكاً مالحاً، ثم أدخله بيتاً وأغلقه، فهلك بالجوع والتدخين.

(الوافي بالوفيات ٤ : ٣٠٨)

* * *

مجد الملك اليزدي يُسلخ ويؤكل

في تاريخ العراق للعزاوي، أنه في السنة ٦٨١، قَتَلَ الصاحبُ علاء الدين الجويني صاحب الديوان بالعراق مجد الملك اليزدي، تولّى قتله شرف الدين هارون بن شمس الدين أخي علاء الدين، وحُملت أطرافه إلى البلاد وسلخ رأسه وحُمل إلى بغداد، وشوى الخربندية لحمه وأكلوه وشربوا الخمر في قحف رأسه.

* * *

الحسن بن نصر يُسلخ وتأكله عبيد المنصور

قال ابن الأثير:

بعث العزيز الفاطمي بمصر إلى كتامة بالمغرب داعياً يقال له: أبو الفهم الحسن بن نصر، يدعوهم إلى طاعته، ويطلب أن تميل كتامة إليه، وترسل إليه جنداً يقاتلون المنصور الصنهاجي المستولي على أفريقية، فدعاهم أبو الفهم وكثر من تبعه منهم، فعزم المنصور على قصده، فكتب العزيز إلى المنصور يحذّره من ذلك، فلم يستمع المنصور، وتجهّز لحرب كتامة وقاتلهم، فهزم، وهرب أبو الفهم

إلى جبل وعر، والتجأ إلى قوم من كتامة يقال لهم: بنو إبراهيم، فأرسل إليهم المنصور يهدِّدهم، فقالوا:

لا نسلِّم ضيفنا، فأرسل، فأخذه قسراً، وضربه ضرباً شديداً، ثم قتله وسلخه وأكلت صنهاجة وعبيد المنصور لحمه.

* * *

سلخ جلد أبي نخيلة الراجز

من ألوان العذاب، سلخ الجلد، وممَّن سلخ جلده أبو نخيلة الراجز، فقد دسَّ إليه المنصور العباسي، أن ينظم شعراً في تقديم المهدي لولاية عهده، وتنحية عيسى بن موسى، فنظم رجزاً، ودخل على المنصور وعيسى بن موسى حاضر، فأنشده:

دونك عبد الله أهل ذاكا	خلافة الله التي أعطاكا
إنّا تنظَّرنا لها أباكا	ثم انتظرنا بعده إيّاكا
أُسند إلى محمد عصاكا	فابنك ما استرعيته كفاكا

ثم أنشده رجزاً آخر منه:

ليس ولي عهدها بالأسعد	عيسى فزحلقها إلى محمد
فقد رضينا بالهمام الأمرد	فردَّه منك رداءً يرتدي
وبادر البيعة وردَّ الحشد	حتى تؤدّى من يدٍ إلى يد

فلما أنشدها المنصور، سرَّ وفرح، وكتب لأبي نخيلة بمائة ألف درهم على الريّ، فخرج إلى الريّ لأخذها، فوجَّه إليه عيسى بن موسى مولى له اسمه قطري، فظفر به بسامرة، ودخل عليه وهو في بيت خمار وقد ثمل، وقال له: وقد أضجعه ليذبحه: يا ابن الموسة، هذا أوان ضرب الجندب، ثم ذبحه وسلخ وجهه، وهرب غلمانه بماله ودوابه.

* * *

الخليفة الحافظ الفاطميّ يسمِّر يديْ كاتبه

كان في القاهرة موضع يعرف بالسقيفة، يقف عنده المتظلِّمون ويصيحون: لا إله إلّا الله، محمد رسول الله، عليٌّ ولي الله، فيسمعه الخليفة ويأمر بإحضاره أو يفوِّض أمره إلى الوزير أو القاضي.

وحدث أن وقف تحت السقيفة صاحب معدّية في إحدى النواحي، وشكا إلى الخليفة أحد الكتّاب زوَّر عليه خراجاً لعداوة بينهما. وتأيَّدت شكوى المتظلِّم، فأمر الخليفة الحافظ الفاطمي بالكاتب، فسمَّر يديه في مركب وأقام له من يطعمه ويسقيه وأن يطاف به سائر الأعمال وينادى عليه ففعل ذلك.

(راجع خطط المقريزي ١: ٤٠٥)

* * *

تعذيب خالد القسري بالمضرَّسة

المضرَّسة آلة تعذيب فيها نتوءات تشبه الأضراس. وقد قتل يوسف بن عمر، خالد بن عبد الله القسري، بأن نقله من الشام إلى العراق، لابساً عباءة على محمل ليس تحته وطاء، ثم وضع المضرَّسة على صدره فقتله، وكان ذلك في السنة ١٢٦، فإن الوليد بن يزيد لما استخلف أمر بحمل خالد إليه وكان لا يطيق المشي، وإنما يحمل في كرسي، فلمّا حمل إليه، أمره بالكشف عن موضع ولده يزيد وتهدَّده، فغضب خالد وقال له: إنه لو كان تحت قدميّ ما رفعتهما، فأمر الوليد غيلان صاحب حرسه، بأن يبسط عليه العذاب وقال له: أسمعني صوته، فعذَّبه غيلان بالسلاسل ثم حبسه عنده حتى قدم يوسف بن عمر من العراق، وكان يحقد على خالد، فاشتراه من الوليد بخمسين ألف ألف درهم، فدفعه إلى يوسف، فنزع يوسف عنه ثيابه، ودرَّعه عباءة وألحفه بأخرى، وحمله على محمل بغير وطاء، وزميله أبو قحافة المرّي ابن أخي الوليد بن تليد، وكان عاملاً لهشام على الموصل، وبدأ يوسف يعذِّب خالداً وهو في طريقه إلى العراق، ولما قدم يوسف الحيرة، بسط العذاب على خالد، بأن أمر بعود، فوضع على قدميه، ثم قامت عليه الرجال

حتى كسرت قدماه، ثم على ساقيه حتى كسرتا، ثم على حقويه، ثم وضع المضرَّسة على صدره، فقتله.

(الطبري ٧ : ٢٥٩)

* * *

حبس محمد بن عبد الملك الزيات في تنّور

في سنة ٢٣٣، حبس المتوكل وزيره محمد بن عبد الملك الزيات في تنّور، وكان يحقد عليه تصرفات عامله بها قبل الخلافة، فلما استخلف أقرَّه على الوزارة حيناً، ثم أصدر أمره باعتقاله سراً إلى إيتاخ، فلما بعث إليه إيتاخ ظنَّ أن الخليفة دعا به، فركب بعد غدائه مبادراً، فلما حاذى منزل إيتاخ، قيل له: أعدل إلى منزل أبي منصور، فعدل وأوجس في نفسه خيفة، فلما جاء إلى الموضع الذي ينزل منه إلى إيتاخ، عدل به يمنة، فأحسَّ بالشرّ، ثم أدخل حجرة وأخذ سيفه ومنطقته وقلنسوته ودرّاعته، فدفعت إلى غلمانه وقيل لهم انصرفوا، فانصرفوا، لا يشكّون أنه مقيم عند إيتاخ ليشرب النبيذ، وفي ذلك اليوم صودر ما في بيته وضبطت أمواله وأملاكه، ثم أمر إيتاخ بتقييده، فقيِّد، وامتنع من الطعام، وكان لا يذوق شيئاً، وكان شديد الجزع في حبسه كثير البكاء، قليل الكلام كثير التفكّر.

ثمكث أياماً، ثم سُوهر ومُنع من النوم، ثم ترك يوماً وليلة، فنام وانتبه، فاشتهى فاكهة وعنباً، فأكل ثم أعيد إلى المساهرة. ثم أمر بتنّور من خشب فيه مسامير من حديد قيام، كان هو قد أمر بعمله، وعذّب به ابن أسباط المصري، فابتلي هو وعذِّب به.

وذكر الموكل بعذابه، قال: كنت أخرج وأقفل الباب عليه، فيمدُّ يديه إلى السماء جميعاً، حتى يدق موضع كتفه ثم يدخل التنور، فيجلس والتنور فيه مسامير حديد، وفي وسطه خشبة معترضة، يجلس عليها المعذَّب إذا أراد أن يستريح، فيجلس على الخشبة ساعة، ثم يجيء الموكل به، فإذا هو سمع صوت الباب يفتح، قام قائماً كما كان، قال المعذَّب: ثم خاتلته يوماً وأريته أني أقفلت الباب ولم أقفله إنما أغلقته بالغلق، ثم مكثت قليلاً ودفعتُ الباب على غفلة، فإذا هو

قاعد في التنور على الخشبة، فقلت له: أراك تعمل هنا العمل كلّما خرجت، فكنت إذا خرجتُ بعد ذلك، شددت خناقه، فكان لا يقدر على القعود، واستللت الخشبة حتى كانت تكون بين رجليه، فما مكث بعد ذلك إلّا أياماً، ثم مات.

* * *

عبد الله بن المقفَّع تقطع أوصاله

أمر سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلَّب، عامل البصرة للمنصور العباسي، أمر بابن المقفَّع، فقطِّعت أوصاله عضواً عضواً وألقاها في تنّور وهو ينظر حتى أتى على جميع جسده، وكان أمره بذلك المنصور العباسي، والسبب أنه كتب كتاب الأمان لعبد الله بن علي، عمّ المنصور، لما لجأ عبد الله إلى أخويه عيسى وسليمان بالبصرة، وكان ابن المقفَّع يكتب لهما، فكان من جملة ما أثبته في الأمان:

ومتى غدر أمير المؤمنين بعمِّه عبد الله، أو أبطن غير ما أظهر، أو تأوَّل في شيء من شروط هذا الأمان، فنساؤه طوالق، ودوابه حبس، وعبيده وإماؤه أحرار والمسلمون في حلّ من بيعته.

فاشتدَّ ذلك على المنصور، لمّا وقف عليه وسأل: من الذي كتب الأمان؟

فقيل له: عبد الله بن المقفَّع كاتب عمّيك عيسى وسليمان، فكتب المنصور إلى عامله بالبصرة سفيان بن عيينة يأمره بقتله، وكان سفيان واجداً على ابن المقفَّع، لأنه كان يعبث به، ويضحك منه دائماً، معتمداً، على صلته بعمّي الخليفة.

وكان ابن المقفَّع قد عبث به مرَّة، فغضب منه وافترى عليه، فردَّ عليه ابن المقفَّع رداً فاحشاً، وقال له: يا ابن المغتلمة، فلم يتمكن منه سفيان، لأنه كان ممتنعاً بعيسى وسليمان ولديّ علي العباسيين، عمّي المنصور.

فلما كاتبه المنصور في أمره، عزم على قتله واستأذن عليه جماعة من أهل البصرة، فأذن لابن المقفَّع قبلهم، وعدل به إلى حجرة في دهليزه، وجلس غلامه بدابته ينتظره على باب سفيان، فأدخل ابن المقفَّع الحجرة، وسفيان ينتظره فيها، وعنده غلمانه، وتنوَّر نار يسجر، فقال له سفيان: أمي مغتلمة إن لم أقتلك قتلة

لم يقتلها أحد. ثم قطع أعضاءه عضواً عضواً وألقاها في النار وهو ينظر إليها، حتى أتى على جميع جسده وأطبق التنور عليه وخرج إلى الناس، فلما فرغ مجلس سفيان ولم يخرج ابن المقفّع مضى غلامه وأخبر عيسى وأخاه سليمان بحال سيِّده، فخاصما سفيان، فجحد دخوله إليه وشكياه إلى المنصور، فتراخى في مسألته وضاع دمه.

* * *

أخو رافع بن الليث يقطّع أشلاءً

كان رافع بن الليث بن نصر بن سيّار قد خرج على الرشيد ولبس البياض وتغلّب على بلاد ما وراء النهر، وذلك في سنة ١٩٠هـ. وحاربه عامل خراسان علي بن عيسى بن ماهان، فكان الظفر لرافع، فخرج إليه الرشيد في سنة ١٩٣هـ، فلما بلغ طوس اشتدَّ به المرض، وأدخل عليه أخو رافع أسيراً ومعه آخر من قرابته، فدعا الرشيد بقصّاب، وقال له: لا تشحذ مديتك، وفصّله عضواً عضواً، وعجّل لئلا يحضرني أجلي وعضو من أعضائه في جسده.

ففصّله ثم جعله أشلاء، فقال له: عدّ ما فصّلت منه، فإذا هو أربعة عشر عضواً.

* * *

خمار يقطّع إرباً

جاء في تجارب الأمم، أنه في السنة ٣٦١، اجتمع عوّام بغداد على صاحب شرطة بختيار، واسمه خمار، فحملوا عليه وقتلوه خفقاً بالسيوف، وفصّلوا جثّته إرباً حتى أخذ كبده بعض السفهاء، وقلبه آخر، وكل جارحة منه، ووجدت في يد سفيه، ثم أحرقوا باقي جثته بالنار.

* * *

إخراج الروح من طريق آخر

عقيدة خروج الروح من الفمّ عند الموت أوحت للمعتضد بأشكال من القتل، أراد بها إخراج روح المقتول من غير طريق الفم.

قال المسعودي في مروج الذهب: إن المعتضد كان شديد الرغبة في أن يمثل بمن قتله، وذكر من وسائل ذلك:

أنه إذا غضب على القائد النبيل أو الذي يختصّه من غلمانه، أمر أن تحفر له حفيرة، ثم يدلّى رأسه فيها ويطرح التراب عليه، ويبقى نصفه الأسفل ظاهراً فوق التراب. ثم يداس التراب بالأرجل حتى تخرج روحه من دبره، بعد أن تكون قد سدَّت كل المنافذ التي يمكن أن تخرج بواسطتها من فمه.

أو أن يأخذ الرجل، ويؤخذ القطن فيحشى في أذنيه وخيشومه وفمه. ثم توضع منافخ في دبره حتى ينتفخ ويتضخَّم جسده، ثم يسدّ الدّبر بشيء من القطن. وبعدها يُفصد من العرمتين فوق حاجبيه، ثم تخرج الروح من ذلك الموضع.

* * *

شدَّة الجوع حملها على أكل الصبيّ

جاء في المنتظم (٦ : ٣٤٤)، أنه في السنة ٣٣٤، قبض على امرأة قبضت على صبيّ وشوته في التّنور وهو حيّ، وأكلت بعضه، وأقرَّت بذلك. وذكرت أن شدَّة الجوع حملها على ذلك فحبست، ثم أُخرجت وضُربتْ عنقها،

ووجدت امرأة أخرى قد أخذت صبيّة، فشقَّتها نصفين، وطبخت نصفها سكباجاً، والنصف الآخر بماء وملح. فدخل الديلم وذبحوها.

ثم وجدت ثالثة قد شوتْ صبياً وأكلتْ بعضه، فقُتلتْ.

* * *

روح إسماعيل بن بليل تخرج بالضراط

ذكر التنوخي في كتابه نشوار المحاضرة (١ : ١٥١)، أن المعتضد عذَّب وزيره إسماعيل بن بليل، بأن اتخذ له تغاراً كبيراً ومُلىء إسفيداجاً حياً وبلَّه، ثم جُعل بالعجل رأس إسماعيل فيه إلى آخر عنقه، وشيء من صدره، وأمسك حتى جمد الإسفيداج، فلم تزل روحه تخرج بالضراط حتى مات.

● وذكر المسعودي في مروج الذهب (٢ : ٥٠٧)، أن المعتضد أمر برجل، فسُدَّ أنفه بالقطن سداً محكماً، وكذلك فمه، وعيناه، وأذناه، وذكره، ومنخراه، وسوءته، ثم كتِّف، فلم يزل ينتفخ ويزيد إلى أن طار قحف رأسه، ومات.

* * *

جارية الأمين تُطرح للسباع

ذكر السيوطي في كتابه نزهة المجالس ص ١٢٢، أن الأمين أمر بجارية من جواريه فطُرحت للسباع، ففصِّلت عضواً عضواً، وخلاصة القصة أن إبراهيم بن المهدي اشترى جارية بارعة الحسن، كاملة الصفات، بعشرة آلاف دينار، وحملها إلى زبيدة، فعوَّضته عنها ثلاثين ألف دينار، وبلغ الأمين خبرها، فأمر بإحضارها واختبرها، فأُعجب بها، وبسطها فانبسطت، وكايدت بحري الخادم، وكان أثيراً عند الأمين، ففصَّلها عضواً عضواً.

* * *

اشترى لنفسه القتل بعشرة آلاف درهم

كان بلال بن أبي بردة سجيناً في سجن يوسف بن عمر الثقفي، وكان كل من مات في السجن رفع السجّان خبره إلى يوسف، فيأمر بإخراجه وتسليمه إلى أهله.

فقال بلال للسجّان: خذ منّي عشرة آلاف درهم، واخرج اسمي في الموتى، فإذا أمرك بتسليمي إلى أهلي هربتُ في الأرض، فلم يعرف أحد خبري.

فأخذ السجّان المال ورفع اسمه في الموتى، فقال يوسف: مثل هذا لا يجوز أن يخرج إلى أهله حتى أراه، هاته.

فعاد إلى بلال، فقال: أعهدْ.

قال: وما الخبر؟

قال: إن الأمير قال كيت وكيت، فإن لم أحضرك إليه ميتاً قتلني، ولا بدَّ من قتلك خنقاً. فبكى بلال وسأله أن لا يفعل، فلم يكن إلى ذلك طريق. فأوصى

وصلّى، فأخذه السجّان وخنقه وأخرجه إلى الأمير ميتاً. فلما رآه، أمر بأن تسلَّم جثته إلى أهله، فأخذوه، وهكذا اشترى لنفسه القتل بعشرة آلاف درهم.

(المكافأة ١١٥؛ نشوار المحاضرة)

* * *

فيروز بن حصين يعذَّب بالقصب

كان فيروز بن حصين من قادة انتفاضة ابن الأشعث ضد الحجاج في العراق. وقد أُسر بعد فشل الانتفاضة، وكان تحت يديه أموال طائلة يعود بعضها للحركة. ولاستحصال الأموال منه أمر الحجاج بتعذيبه، فعرّي من ملابسه ولفّوه بقصب مشقوق، ثم أخذوا يجرون القصب فوق جسده.

ولزيادة إيلامه كانوا يذرون الملح ويصبّون الخلّ على الجروح التي يسبِّبها القصب. وبعد أن يئس الحجاج من اعترافه بالأموال قطع رأسه.

* * *

كيف كان تيمورلنك يعذِّب الناس؟

كان من جملة ألوان العذاب التي عذّب بها زبانية تيمورلنك الناس في دمشق، أنهم كانوا يشدّون يدي الرجل إلى ظهره، ثم يربطون في عنقه حبلاً، ويلوونه لياً عنيفاً، ثم يُلقى على ظهره ويغمّ بخرقة فيها رماد سخن، أو بخرقة فيها تراب ناعم، فكلّما تنفّس المعذّب تخلَّل التراب خياشيمه حتى إذا كادت نفسه أن تزهق، خلّي عنه حتى يستريح، ثم يُعاد تعذيبه.

(راجع النجوم الزاهرة ١٢: ٢٤٤)

* * *

خالد بن عبد الله القسري يُعصر عصراً

روى ابن خلكان، قال:

ممَّن عُذِّب بالعصر، خالد بن عبد الله القسري أمير العراقين، عذَّبه به خلفه

يوسف بن عمر الثقفي، فقد وضع قدميه بين خشبتين وعصرهما حتى انقصفا، ثم رفع الخشبة إلى ساقيه وعصرهما حتى انقصفا، ثم إلى وركيه، ثم إلى صلبه، فلما انقصف صلبه مات.

(راجع وفيات الأعيان ٢ : ٢٢٩)

* * *

الأمير أقوش الأفرم يبيح دماء أهالي كسروان

جاء في خطط الشام، أنه في سنة ٧٠٦، حصل الأمير أقوش الأفرم نائب دمشق على فتوى من بعض الفقهاء، بإباحة دماء وأموال أهالي كسروان من لبنان، وجنّد لهم خمسين ألفاً، وواقعهم عند صوفر، فهرب أمراؤهم بحرمهم وأولادهم، ونحو ثلاث مائة نفس من رجالهم، واجتمعوا في غار تيبة فوق انطلياس، فلم يتمكن منهم أحد وهم داخل الغار، وبذل لهم الأمان فلم يخرجوا، فأمر نائب دمشق فبني على باب الغاز سدٌّ من الحجر والكلس وهالوا عليه تلاًّ من التراب، وجعلوا الأمير قطلوبك حارساً عليهم مدَّة أربعين يوماً حتى هلكوا داخل الغار.

الفصل الثالث

في أخبار المقطعي الرؤوس

(من الكامل في التاريخ لابن الأثير)

إبراهيم بن الأشتر

عندما قُتل عمرو بن سعيد بن العاص، وضعَ عبدُ الملك بن مروان السيف، فقتل مَنْ خالفَه، فصفا له الشام. فلمّا لم يبقَ له مخالف فيه أجمع المسير إلى مصعب بن الزبير بالعراق، فاستشار أصحابه في ذلك، فقال بعضهم: إن العام جدب، وقد غزّوتَ سنتين فلم تظفرْ، فأقم عامك هذا. فقال عبد الملك: الشام بلدٌ قليل المال ولا آمن نفاده، وقد كتب كثير من أشراف العراق يدعونني إليهم. وقال أخوه محمد بن مروان: الرأي أن تطلب حقَّك وتسير إلى العراق، فإني أرجو أنّ الله ينصرك. وقال بعضهم: الرأي أن تقيم وتبعث بعض أهلك، وتمدّه بالجنود. فقال عبد الملك: إنَّه لا يقوم بهذا الأمر إلاّ قرَشيٌّ له رأي، ولعلي أبعث من له شجاعة ولا رأي له، وإني بصير بالحرب شجاع بالسيف إن احتجت إليه، ومصعب شجاع من بيت شجاعة، ولكنه لا علم له بالحرب، ومعه من يخالفه، ومعي مَن ينصح لي.

وسار عبدُ الملك إلى العراق، فلما بلغ مصعباً مسيره وهو بالبصرة، توجّه إلى الكوفة ومعه الأحنف، فتوفّي بالكوفة، وأحضر مصعب إبراهيم بن الأشتر، وكان على الموصل والجزيرة، فلما حضر عنده جعله على مقدّمته، وسار حتى نزل باجُمَيْرَى.

وسار عبد الملك على مقدِّمته أخوه محمد بن مروان، فنزل ومن معه بمَسْكِن قريباً من عسكر مصعب، بين العسكرين ثلاثة فراسخ، وكتب عبد الملك إلى أهل العراق مَنْ كاتبه ومَن لم يكاتبْه، وبذل لجميعهم أصبهان طعْمةً، وقيل: إن كلّ مَنْ كاتبه طلب منه إمرة أصبهان، فقال: أي شيء هذه أصبهان حتى كلّهم يطلبها!

فكلٌّ منهم أخفى كتابه إلاّ إبراهيم بن الأشتر، فإنه أحضر كتابه عند مصعب مختوماً، فقرأه مصعب، فإذا هو يدعوه إلى نفسه ويجعل له ولاية العراق، فقال له مصعب: أتدري ما فيه؟ قال: لا قال: يعرض عليك كذا وكذا، وأنّ هذا لما يُرغب فيه. فقال إبراهيم: ما كنتُ لأتقلّد الغدر والخيانة، ووالله ما عند عبد الملك من أحد من الناس بأيأس منه مني، ولقد كتب إلى أصحابك كلّهم مثل الذي كتبت إليّ، فأطعني واضرب أعناقهم. قال: إذا لا يناصحني عشائرهم. قال: فأوقرهم حديداً وابعث بهم إلى أبيض كِسرى، واحبسْهم هناك، ووكِّل بهم مَن إن غُلبتَ وتفرَّقت عشائرهم عنك ضرب رقابهم، وإن ظهرتَ مَنَنْت على عشائرهم بإطلاقهم. فقال: إنّي لفي شغل عن ذلك، فرحم الله أبا بحر، يعني الأحنف بن قيس، إن كان ليحذِّرني غدر أهل العراق، ويقول: كالمومسة تريد كلّ يوم بعلاً، وهم يريدون كل يوم أميراً.

فلمّا رأى قيسُ بن الهيثم ما عزم أهل العراق عليه من الغدر لمصعب، قال لهم: ويحكم! لا تُدخلوا أهل الشام عليكم! فوالله لئن يطعموا بعيشكم ليضيِّقُنَّ عليكم منازلكم، والله لقد رأيتُ سيِّدَ أهل الشام على باب الخليفة يفرح إن أرسله في حاجة، ولقد رأيتنا في الصوائف، وإن زادَ أحدنا على عدَّة أجمال، وإن الرجل من وجوههم ليغزو على فرسه وزادُه خلفه.

فلم يسمعوا منه، فلما تدانى العسكران أرسل عبدُ الملك إلى مصعب رجلاً من كلب، وقال له: أقرىء ابن أختك السلام، وكانت أم مصعب كلبيّة، وقل له يدع دعاءه إلى أخيه وأدعُ دعائي إلى نفسي، ويجعل الأمر شورى. فقال له مصعب: قل له السيف بيننا.

فقدَّم عبد الملك أخاه محمداً، وقدَّم مصعب إبراهيم بن الأشتر، فالتقيا، فتناوش الفريقان، فقُتل صاحب لواء محمّد، وجعل مصعب يمدّ إبراهيم، فأزال محمّداً عن موقفه، فوجَّه عبد الملك عبدَ الله بن يزيد إلى أخيه محمّد، فاشتدَّ القتال، فقُتل مسلم بن عمرو الباهلي والدقتيبة، وهو من أصحاب مصعب، وأمدَّ مصعبُ إبراهيم بعتّاب بن ورقاء، فساء ذلك إبراهيم، وقال: قد قلت له، لا تمدَّني

بعتّاب وضربائه، وإنا لله وإنّا إليه راجعون! فانهزم عتّاب بالناس، وكان قد كاتب عبدَ الملك وبايعه، فلما انهزم صبر ابن الأشتر فقُتل، قتله عبيدُ بن ميسرة، مولى بني عُذْرة، وحمل رأسه إلى عبد الملك.

* * *

إبراهيم بن عبد الله بن الحسن

في سنة خمس وأربعين ومائة، كان ظهور إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وهو أخو محمد، وكان قبل ظهوره قد طُلب أشدَّ الطلب، فحكتْ جاريةٌ له أنّه لم تقرّهم أرضٌ خمس سنين، مرَّةً بفارس، ومرَّةً بكرمان، ومرَّةً بالجبل، ومرَّةً بالحجاز، ومرَّةً باليمن، ومرَّةً بالشام، ثم إنّه قدم الموصل وقدمها المنصورُ في طلبه، فحكى إبراهيم، قال: اضطرَّني الطلبُ بالموصل حتّى جلستُ على مائدة المنصور، ثمّ خرجتُ وقد كفَّ الطلب؛ وكان قوم من أهل العسكر يتشيَّعون، فكتبوا إلى إبراهيم يسألونه القدومَ إليهم ليثبوا بالمنصور، فقدم عسكر أبي جعفر وهو ببغداذ وقد خطَّها، وكانت له مرآة ينظر فيها، فيرى عدوَّه من صديقه، فنظر فيها، فقال: يا مسيِّب قد رأيتُ إبراهيم في عسكري، وما في الأرض أعدى لي منه، فانظر أي رجل يكون. ثمّ إن إبراهيم قدم البصرة، فقيل: قدمها سنة خمس وأربعين، بعد ظهور أخيه محمّد بالمدينة، وقيل قدمها سنة ثلاث وأربعين ومائة، وكان الذي أقدمه وتولّى كراه، في قول بعضهم، يحيى بن زياد بن حيّان النبطيّ، وأنزله في داره في بني ليث، وقيل: نزل في دار أبي فروة، ودعا الناسَ إلى بيعة أخيه؛ وكان أوّل مَنْ بايعه نُميلة بن مرَّة العَبْشَميّ، وعفو الله بن سفيان، وعبد الواحد بن زياد، وعمرو بن سلمة الهُجَيْميّ، وعبد الله بن يحيى بن حُصَين الرَّقاشيّ، وندبوا الناسَ، فأجابهم المُغيرةُ بن الفزع وأشباهٌ له، وأجابه أيضاً عيسى بن يونس، ومُعاذ بن مُعاذ، وعبّاد بن العوّام، وإسحاق بن يوسف الأزْرق، ومعاوية بن هشيم بن بشير، وجماعة كثيرة من الفقهاء وأهل العلم، حتّى أحصى ديوانه أربعة آلاف، وشُهر أمره، فقالوا له: لو تحوّلتَ إلى وسط البصرة، أتاك الناس وهم مستريحون. فتحوَّل، فنزل في دار أبي مروان مولى بني سُلَيْم في مقبرة

بني يشكر، وكان سفيان بن معاوية قد مالأ على أمره.

ولمّا ظهر أخوه محمّد، كتب إليه يأمره بالظهور، فوجم لذلك واغتمّ، فجعل بعضُ أصحابه يسهِّل عليه ذلك، وقال له: قد اجتمع لك أمرك فتخرج إلى السجن فترة من الليل، وقد اجتمع لك عالم من الناس. وطابت نفسه، وكان المنصورُ بظاهر الكوفة، في قلّة من العساكر، وقد أرسل ثلاثةً من القوّاد إلى سفيان بن معاوية بالبصرة مدَداً له ليكونوا عوناً له على إبراهيم إن ظهر.

فلمّا أراد إبراهيم الظهورَ، أرسل إلى سفيان فأعلمه، فجمع القوّادَ عنده، وظهر إبراهيم أوَّل شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة، فغنم دوابّ أولئك الجند، وصلّى بالناس الصبح في الجامع، وقصد دار الإمارة وبها سفيان متحصِّناً في جماعة فحصره، وطلب سفيان منه الأمان، فآمنه إبراهيمُ ودخل الدارَ، ففرشوا له حصيراً، فهبَّت الريحُ، فقلبته قبل أن يجلس، فتطيَّر الناسُ بذلك، فقال إبراهيم: إنّا لا نتطيَّر. وجلس عليه مقلوباً، وحبس القوّاد، وحبس أيضاً سفيان بن معاوية في القصر، وقيَّده بقيدٍ خفيفٍ ليعلم المنصور أنّه محبوس.

وبلغ جعفراً ومحمداً ابنَيْ سليمان بن عليّ ظهورُ إبراهيم، فأتيا في ستِّمائة رجل، فأرسلَ إليهما إبراهيمُ المضاء بن القاسم الجزريّ في خمسين رجلاً، فهزمهما، ونادى منادي إبراهيم: لا يتبع مهزوم ولا يُذَفَّف على جريح.

ومضى إبراهيم بنفسه إلى باب زينب بنت سليمان بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس، وإليها يُنْسَب الزينبيّون من العبّاسيّين، فنادى بالأمان وأن لا يعرض لهم أحد، فصفتْ له البصرة، ووجد في بيت مالها ألفَيْ ألف درهم، فقوي بذلك وفرض لأصحابه لكلّ رجل خمسين خمسين.

فلمّا استقرَّت له البصرةُ أرسل المغيرةُ إلى الأهواز، فبلغها في مائتَيْ رجل، وكان بها محمّد بن الحُصين عاملاً للمنصور، فخرج إليه في أربعة آلاف فالتقوا، فانهزم ابن الحُصَيْن، ودخل المغيرةُ الأهوازَ، وقيل: إنّما وجَّهَ المغيرةَ بعد مسيره إلى بَاخَمْرى، وسيَّر إبراهيمُ إلى فارس عمروَ بن شدّاد، فقدمها وبها إسماعيل

وعبد الصمد ابنا عليّ بن عبد الله بن عبّاس، فبلغهما دُنُوُّ عمرو وهما باصطخر، فقصدا دار بجرد، فتحصَّنا بها، فصارت فارس في يد عمرو، وأرسل إبراهيمُ مروانَ بن سعيد العِجْليّ في سبعة عشر ألفاً إلى واسط، وبها هارون بن حُمَيْد الإياديّ من قِبَل المنصور، فملكها العِجْليّ، وأرسل المنصورُ لحربه عامرَ بن إسماعيل المُسْليّ في خمسة آلاف، وقيل: في عشرين ألفاً، فكانت بينهم وقعات ثم تهادنوا على ترك الحرب حتى ينظروا ما يكون من إبراهيم والمنصور. فلمّا قُتل إبراهيم هرب مروان بن سعيد عنهما، فاختفى حتى مات.

فلم يزل إبراهيم بالبصرة يفرِّق العمّالَ والجيوش حتّى أتاه نعي أخيه قبل عيد الفطر بثلاثة أيّام، فخرج بالناس يوم العيد وفيه الانكسار، فصلّى بهم وأخبرهم بقتل محمّد، فازدادوا في قتال المنصور بصيرةً وأصبح من الغد، فعسكر واستخلف على البصرة نُمَيْلة، وخلّف ابنَه حسناً معه.

ثمّ إن إبراهيم عزم على المسير، فأشار أصحابه البصريّون أن «تقيم وترسل الجنود، فيكون إذا انهزم لك جند أمددتَهم بغيرهم، فخيفَ مكانُك واتّقاك عدوّك وجبيتَ الأموال وثبَّتَّ وطأتك». فقال من عنده من أهل الكوفة: إن بالكوفة أقواماً لو رأوك ماتوا دونك، وإن لم يروك قعدتْ بهم أسباب شتى. فسار عن البصرة إلى الكوفة.

وكان المنصور لمّا بلغه ظهورُ إبراهيم في قلّة من العسكر، قال: والله ما أدري كيف أصنع! مافي عسكري إلّا ألفا رجل، فرَّقتُ جندي: مع المهديّ بالريّ ثلاثون ألفاً، ومع محمّد بن الأشْعَث بإفريقية أربعون ألفاً، والباقون مع عيسى بن موسى، والله لئن سلمتُ من هذه لا يفارق عسكري ثلاثون ألفاً. ثمّ كتب إلى عيسى بن موسى يأمره بالعود مسرعاً، فأتاه الكتابُ وقد أحرم بعمرةٍ، فتركها وعاد. وكتب إلى سَلْم بن قُتَيْبَة، فقدم عليه من الريّ، فقال له المنصورُ: اعمدْ إلى إبراهيم ولا يروعنَّك جمعُه، فوالله إنّهما جملا بني هاشم المقتولان! فثق بما أقول، وضمَّ إليه غيرَه من القوّاد. وكتب إلى المهديّ يأمره بإنفاذ خُزَيْمة بن خازم إلى الأهواز، فسيَّره في أربعة آلاف فارس، فوصلها وقاتل المُغيرة، فرجع المُغيرةُ إلى البصرة، واستباح خُزَيْمَةُ الأهوازَ ثلاثاً.

وتوالت على المنصور الفُتوقُ من البصرة والأهواز وفارس وواسط والمدائن والسواد، وإلى جانبه أهل الكوفة في مائة ألف مقاتل ينتظرون به صيحةً، فلمّا توالت الأخبار عليه بذلك أنشد:

وجعلتُ نفسي للرماح دريئةً ... إن الرئيس لمثل ذاك فعول

ثم وجَّه المنصورُ إلى إبراهيم عيسى بن موسى في خمسة عشر ألفاً، وعلى مقدِّمته حُمَيْد بن قَحْطبة في ثلاثة آلاف، وقال له لمّا ودَّعه: إن هؤلاء الخبثاء، يعني المنجِّمين، يزعمون أنَّك إذا لاقيتَ إبراهيم يجول أصحابك جولةً حتى تلقاه، ثمّ يرجعون إليك وتكون العاقبة لك.

وسار إبراهيم عن البصرة، وكان ديوانه قد أحصى مائة ألف، وقيل: كان معه في طريقه عشرة آلاف، وقيل له: في طريقه ليأخذ غير الوجه الذي فيه عيسى ويقصد الكوفة، فإنَّ المنصور لا يقوم له وينضاف أهل الكوفة إليه ولا يبقى للمنصور مرجع دون حُلوان. . . وسار إبراهيم حتى نزل باخَمْرى، وهي من الكوفة على ستَّة عشر فرسخاً، مقابل عيسى بن موسى، فأرسل إليه سَلْمُ بن قُتَيْبة: إنَّك قد أصحرتَ ومثلَك أنفس به عن الموت، فخندقْ على نفسك حتى لا توتي إلّا من مأتى واحد، فإن أنت لم تفعل، فقد أغرى أبو جعفر عسكره، فتخفَّف في طائفة حتّى تأتيه، فتأخذ بقفاه. فدعا إبراهيمُ أصحابه وعرض عليهم ذلك، فقالوا: نخندق على أنفسنا ونحن الظاهرون عليهم! لا والله لا نفعل. قال: فنأتي أبا جعفر. قالوا: ولِمَ وهو في أيدينا متى أردناه؟ فقال إبراهيم للرسول: أتسمع؟ فارجعْ راشداً.

ثم إنَّهم تصافّوا، فصفَّ إبراهيم أصحابه صفاً واحداً، فاقتتل الناسُ قتالاً شديداً، وانهزم حُمَيْد بن قَحْطبة، وانهزم الناسُ معه، فعرض لهم عيسى يناشدهمُ اللَّهَ والطاعةَ، فلا يلوون عليه. فأقبل حُمَيْد منهزماً، فقال له عيسى: اللَّهَ اللَّهَ والطاعة! فقال: لا طاعة في الهزيمة! ومرَّ الناس، فلم يبقَ مع عيسى إلّا نفر يسير، فقيل له: لو تنحَّيتَ عن مكانك حتّى تؤوب إليك الناس فتكرَّبهم. فقال: لا أزول عن مكاني هذا أبداً حتى أُقتل أو يفتح الله على يديّ، والله لا ينظر أهل بيتي إلى وجهي أبداً وقد انهزمتُ عن عدوِّهم! وجعل يقول لمَنْ يمرّ به: أقرىء أهل بيتي السلام، وقل لهم لم أجد فداً أفديكم به أعزّ من نفسي وقد بذلتُها دونكم!

فبينـا هم على ذلـك لا يلوي أحـدٌ على أحـد، إذ أتى جعفـر ومحمّـد ابنـا سليمان بن علي من ظهـور أصحاب إبـراهيم، ولا يشعر بـاقي أصحابـه الـذين يتبعون المنهزمين حتّى نظر بعضهم، فرأى القتال من ورائهم فعطفـوا نحوه، ورجـع أصحاب المنصور يتبعـونهم، فكانت الهـزيمة على أصحـاب إبراهيم، فلولا جعفـر ومحمّـد لتمَّت الهزيمـة، وكان من صنـع الله للمنصـور أنّ أصحـابـه لقيهم نهـر في طـريقهم، فلم يقدروا على الـوثوب ولم يجـدوا مخاضـة، فعادوا بـأجمعهم، وكان أصحاب إبراهيم قد مخروا الماء ليكون قتالهم من وجه واحـد، فلمّا انهـزموا منعهم الماء من الفرار، وثبت إبراهيم في نفر من أصحابه يبلغون ستِّمائة، وقيل أربعمـائة، وقاتلهم حُمَيد وجعل يرسل بالرؤوس إلى عيسى، وجاء إبـراهيمَ سهمٌ عائـر، فوقـع في حلقه فنحره، فتنحّى عن موقفه، وقال: أنزلوني، فأنزلوه عن مـركبه وهـو يقول: ﴿وكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾، أردنا أمراً وأراد الله غيره.

واجتمع عليه أصحابه وخاصَّته يحمونه ويقاتلون دونه، فقال حميدُ بن قحـطبة لأصحـابـه: شـدّوا على تلك الجمـاعـة حتّى تـزيلوهم عن مـوضعهم، وتعلمـوا ما اجتمعوا عليه؛ فشدّوا عليهم، فقاتلوهم أشدَّ قتـال حتّى أخرجـوهم عن إبراهيم، وخلصوا إليه، وحزّوا رأسه فأتوا به عيسى، فأراه ابنَ أبـي الكرام الجعفريّ، فقـال: نعم هذا رأسه، فنزل عيسى إلى الأرض، فسجد وبعث برأسه إلى المنصور.

وكان قتله سنة خمس وأربعين ومائة، وكان عمره ثمانياً وأربعين سنـة، ومكث منذ خرج إلى أن قُتل ثلاثة أشهر إلاّ خمسة أيّام.

وحُمـل رأس إبراهيم إلى المنصـور، فوُضـع بين يديـه، فلمّـا رآه بكى حتّى خرجت دموعُه على خدِّ إبراهيم، ثمّ قال: أما والله! إنّي كنتُ لهذا كـارهاً! ولكنـك ابتُليتَ وابتُليتُ بـك! ثم جلس مجلساً عـامّاً وأذن للنـاس... حتى دخل جعفـر بن حَنْظَلة الـدارميّ، فـوقف، فسلَّم ثم قـال: أعـظم الله أجـرك يـا أميـر المؤمنين في ابن عمّك، وغفر له ما فرَّط فيه من حقِّك! فأسفر لونُ المنصور، وأقبل عليه، وقال: يا أبا خالد مرحباً وأهلاً ها هنا! فعلم الناس أن ذلك يرضيه، فقالوا مثل قوله.

* * *

ابن أرمانوس، بطريق البحر

كان هرقل أول ملك من ملوك الروم في الطبقة الثالثة بعد الهجرة، ثم ملك بعده ابنه قسطنطين، وهكذا. . حتى ملك أليون بن بسيل أيام المعتمد والمعتضد والمكتفي وبداية أيام المقتدر، فملك أخوه الإسكندروس، ثم ملك بعده قسطنطين بن أليون، وكان صبياً، فتولّى الأمر له بطريق البحر، واسمه أرمانوس، وشرط على نفسه شروطاً، منها أنه لا يطلب الملك ولا يلبس التاج لا هو ولا أحد من أولاده. فلم يمضِ غير سنتين حتى خوطب هو وأولاده بالملوك وجلس مع قسطنطين على السرير، وكان له ثلاثة من الولد، فخصى أحدهم وجعله بطرقاً ليأمن المنازعة، فإنَّ البطرق يحكم على الملك، فبقي على حاله إلى سنة ثلاثمائة وثلاثين من الهجرة، فاتّفق ابناه مع قسطنطين الملك على إزالة أبيهما، فدخلا عليه وقبضاه، وسيَّراه إلى ديرٍ له في جزيرةٍ بالقرب من القسطنطينية، وأقام ولداه مع قسطنطين نحو أربعين يوماً وأراد الفتك به، فسبقهما إلى ذلك وقبض عليهما، وسيَّرهما إلى جزيرتين في البحر، فوثب أَحدهما بالموكَّل به، فقتله، وأخذه أهل تلك الجزيرة، فقتلوه وأرسلوا رأسه إلى قسطنطين الملك، فجزع لقتله.

وأما أرمانوس، فإنه مات بعد أربع سنين من ترهّبه، ودام ملك قسطنطين بقية أيام المقتدر، والقاهر، والراضي، والمستكفي وبعض أيام المطيع.

* * *

ابن الجارود

بعد أن وصل الحجّاج إلى رُسْتَقباذ قاصداً قتال الخوارج، وقف خطيباً في أهلها وقال: يا أهل المصرَيْن! هذا المكان والله مكانكم شهراً بعد شهر وسنةً بعد سنة حتى يُهْلكَ الله عدوَّكم هؤلاء الخوارج المطلّين عليكم. . . ثم إنّه خطب يوماً، فقال: إن الزيادة التي زادكم إيّاها ابن الزُّبير إنما هي زيادةُ مخسرة باطلة من ملحد فاسق منافق ولسنا نُجيزها! وكان مصعب قد زاد الناس في العطاء مائة مائة. فقال عبد الله بن الجارود: إنها ليست بزيادة ابن الزبير، إنّما هي زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أنفذها وأجازها على يد أخيه بشرْ. فقال له الحجّاج: ما أنت

والكلام! لتحسننَّ حمل رأسك أو لأسلبنَّك إيّاه! فقال: ولِمَ؟ إنّي لك لناصح، وإن هذا القول من ورائي.

فنزل الحجّاج، ومكث أشهراً لا يذكر الزيادة، ثم أعاد القولَ فيها، فردَّ عليه ابن الجارود مثل ردِّه الأوّل. فقام مصقلة بن كَرِب العبديَّ وأبو رقبة بن مَصْقلة المحدِّث عنه، فقال له عبد الله بن الجارود: يا ابن الجرمقانيّة! ما أنت وهذا! ومتى كان مثلك يتكلم وينطق في مثل هذا؟

وأتى الوجوهُ عبدَ الله بن الجارود، فصوَّبوا رأيه وقوله، وقال الهُذَيل بن عِمران البُرْجميُّ وعبد الله بن حكيم بن زياد المجاشعيّ وغيرهما: نحن معك وأعوانك، إن هذا الرجل غير كافٍ حتى ينقصنا هذه الزيادة، فهلمَّ نبايعك على إخراجه من العراق، ثم نكتب إلى عبد الملك نسأله أن يولّي علينا غيره، فإن أبَى خلعناه، فإنّه هائب لنا ما دامت الخوارج، فبايعه الناس سرّاً وأعطوه المواثيق على الوفاء، وأخذ بعضهم على بعضهم العهود...

واجتمع الناسُ لابن الجارود، فأقبل بهم زحفاً نحو الحجّاج، وكان رأيهم أن يُخرجوه عنهم ولا يقاتلوه، فلما صاروا إليه نهبوه في فسطاطه، وأخذوا ما قدروا عليه من متاعه ودوابِّه، وجاء أهلُ اليمن، فأخذوا امرأته ابنة النعمان بن بشير، وجاءت مُضَر، فأخذوا امرأته الأخرى أم سَلِمة بنت عبد الرحمن بن عمرو أخي سُهيل بن عمرو، فخافه السفهاء، ثم إنَّ القوم انصرفوا عن الحجّاج وتركوه، فأتاه قومٌ من أهل البصرة، فصاروا معه خائفين محاربة الخليفة.

فجعل الغضبان بن القَبَعْثَرى الشيبانيّ يقول لابن الجارود: تعشَّ بالجدي قبل أن يتغذّى بك، أما ترى من قد أتاه منكم؟ ولئن أصبح ليكثرنَّ ناصره ولتضعفنّ مُنَّتُكُمْ! فقال: قد قرب المساء ولكنّا نعاجله بالغداة.

وكان مع الحجّاج عثمان بن قَطَن وزياد بن عمرو العتكيُّ، وكان زياد على شُرطة البصرة، فقال لهما: ما تريان؟ فقال زياد: أن آخذ لك من القوم أماناً وتخرج حتى تلحق بأمير المؤمنين، فقد ارفضَّ أكثر الناس عنك، ولا أرى لك أن تقاتل

بمن معك. فقال عثمان بن قَطَن الحارثيُّ: لكني لا أرى ذلك، إن أميرَ المؤمنين قد شركك في أمرِك وخلطك بنفسه واستنصحك وسلَّطك، فسرتَ إلى ابن الزبير، وهو أعظم الناس خطراً، فقتلتَهُ، فولّاك الله شرف ذلك وسناه، وولّاك أمير المؤمنين الحجاز، ثم رفعتَ فولّاك العراقَين، فحيث جريتَ إلى المدى، وأصبتَ الغرض الأقصى تخرج على قَعود إلى الشام، والله لئن فعلتَ لا نلتَ من عبد الملك مثل الذي أنت فيه من سلطان أبداً وليتَّضعنَّ شأنك، ولكنّي أرى أن نمشي بسيوفنا معك، فنقاتل حتى نلقى ظَفَراً أو نموت كراماً. فقال له الحجّاج: الرأي ما رأيت. وحفظ هذا لعثمان وحقدها على زياد بن عمرو.

فلمّا اجتمع إلى الحجّاج جمعٌ يُمنع بمثلهم، خرج فعَبَّأ أصحابه وتلاحق الناسُ به، فلمّا أصبح إذا حوله نحو ستّة آلاف. فقال ابن الجارود لعبيد الله بن زياد بن ظبْيان: ما الرأي؟ قال: تركت الرأي أمس حين قال لك الغضبان تعشَّى بالجدي قبل أن يتغذّى بك، وقد ذهب الرأي وبقي الصبرُ.

فدعا ابن الجارود بدرع، فلبسها مقلوبة، فتطيَّر وحرَّض الحجّاج أصحابه، وقال: لا يهولنَّكم ما ترون من كثرتهم. وتزاحف القوم وعلى ميمنة ابن الجارود الهُذَيْل بن عمران، وعلى ميسرته عبد الله بن زياد بن ظبيان، وعلى ميمنة الحجّاج قتيبة بن مسلم، ويقال عبّاد بن الحُصَيْن، وعلىٰ ميسرته سعيد بن أسلم، فحمل ابن الجارود في أصحابه حتى جاز أصحابَ الحجّاج، فعطف الحجّاج عليه، ثم اقتتلوا ساعةً وكاد ابن الجارود يظفر، فأتاه سهم غَرْب، فأصابه فوقع ميتاً. وحُمل رأس ابن الجارود وثمانية عشر رأساً من وجوه أصحابه إلى المهلَّب، فنُصبتْ ليراها الخوارج، وييأسوا من الاختلاف.

* * *

ابن زياد

سار إبراهيم بن الأشتر من الكوفة مسرعاً للقاء ابن زياد، قبل أن يدخل أرض العراق،، وكان ابن زياد قد سار في عسكر عظيم من الشام، فبلغ الموصل، فسار إبراهيم وخلَّف أرض العراق، وأوغل في أرض الموصل وعبَّأ أصحابه وقدَّم عليهم الطُّفيل بن لقيط النَّخْعيّ، وأرسله على الطلائع حتى يبلغ نهر الخازر من بلد

الموصل، فنزل بقرية بارشيا. وأقبل ابن زياد إليه حتى نزل قريباً منهم على شاطىء الخازر.

وأرسل عُميرُ بن الحُباب السُّلَميّ، وهو من أصحاب ابن زياد إلى ابن الأشتر أن القَني، وكانت قيس كلّها مضطغنة على ابن مروان وقعة مرج راهط، وجند عبد الملك يومئذٍ كلب. فاجتمع عمير وابنُ الأشتر، فأخبره عُمير أنَّه على ميسرة ابن زياد، وواعده أن ينهزم بالناس، فقال له ابن الأشتر: ما رأيك؟ أخندق عليَّ وأتوقَّف يومين أو ثلاثة؟ فقال عُمير: لا تفعلْ، وهل يريدون إلّا هذا؟ فإن المطاولة خير لهم، هم كثير أضعافكم وليس يطيق القليلُ الكثيرَ في المطاولة، ولكن ناجزِ القومَ، فإنّهم قد مُلئوا منكم رعباً، وإن هم شاقّوا أصحابك وقاتلوهم يوماً بعد يوم ومرَّة بعد مرَّة، أنِسوا بهم واجترأوا عليهم. فقال إبراهيم: الآن علمتُ أنَّك لي مناصح، وبهذا أوصاني صاحبي.

قال عُمَير: أَطِعْه، فإنّ الشيخ قد ضرَّسته الحرب، وقاسى منها ما لم يُقاسِه أحد، وإذا أصبحت، فناهضهم.

وعاد عُمَير إلى أصحابه وأذكى ابن الأشتر حرسه، ولم يدخل عينَه غمضٌ حتى إذا كان السِّحر الأوَّل عبَّأ أصحابه وكتَّب كتائبه وأمَّر أمراءه. فلما انفجر الفجر صلّى الصبح بغلس، ثم خرج، فصفَّ أصحابه وألحق كلّ أمير بمكانه، ونزل إبراهيم يمشي ويحرض الناس ويمنّيهم الظَّفَر، ويذكر لهم فعلَ ابن زياد بالحسين وأصحابه وأهل بيته من السبي والقتل ومنع الماء، وحرَّضهم على قتله.

وتقدَّم ابنُ زياد وقومه إليه، فلما تدانَى الصفّان حمل الحُصين بن نمير في ميمنة أهل الشام على ميسرة إبراهيم، فثبت له عليّ بن مالك الجشميُّ فقُتل، ثم أخذ رايتَه قُرَّة بن علي، فقتل في رجال من أهل البأس وانهزمت الميسرة، فأخذ الراية عبد الله بن ورقاء بن جُنادة السَّلوليُّ ابنُ أخي حُبشيّ بن جنادة صاحب رسول لله ﷺ، فاستقبل المنهزمين، فقال: إليَّ يا شرطة الله، فأقبل إليه أكثرهم. فقال: هذا أميركم يُقاتِل ابن زياد، ارجعوا بنا إليه. فرجعوا، وإذا إبراهيم كاشفٌ رأسه ينادي: إليَّ شُرطة الله، أنا ابن الأشتر، إن خير فُرّاركم كُرّاركم، ليس مسيئاً

من أعتَبَ. فرجع إليه أصحابه، وحملت ميمنة إبراهيم علي ميسرة ابن زياد وهم يرجون أن ينهزم عُمير بن الحُباب، كما زعم، فقاتلهم عُمير قتالاً شديداً وأنف من الفرار. فلما رأى ذلك إبراهيم قال لأصحابه: اقصدوا هذا السواد الأعظم، فوالله لو هزمناه لا نجفل مَنْ ترون يمنةً ويسرةً انجفال طير زعرتَها.

فمشى أصحابه إليهم، فتطاعنوا ثم صاروا إلى السيوف والعَمَد، فاضطربوا بها ملياً، وكان صوت الضرب بالحديد كصوت القصّارين، وكان إبراهيم يشدُّ بسيفه، فلا يضرب به رجلاً إلاّ صرعه، وكرد إبراهيم الرِّجالة من بين يديه، كأنّهم الحملان، وحمل أصحابُه حملة رجل واحد واشتدَّ القتال، فانهزم ابن زياد، وقتل من الفريقين قتلى كثيرة.

وقيل: إن عُمير بن الحُباب أوَّل من انهزم، وإنما كان قتاله أولاً تعذيراً.

فلما انهزموا قال إبراهيم: إنّي قد قتلتُ رجلاً تحت راية منفردة على شاطىء نهر الخازر، فالتمسوه، فإني شممتُ رائحة المسك، شَرَّقت يداه وغرَّبت رجلاه. فالتمسوه، فإذا هو ابن زياد قتيلاً بضربة إبراهيم فقد قدَّتْه بنصفين وسقط، فأُخذ رأسه وأحرقت جثته.

* * *

ابن طالوت القرشيّ

في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وفي شهر ربيع الأوَّل، توفّي المهديُّ أبو محمّد عبيد الله العلويُّ بالمهديَّة، وأخفى ولده أبو القاسم موته سنة لتدبيرٍ كان له، وكان يخاف أن يختلف الناس عليه إذا علموا بموته، وكان عمر المهديّ لمّا توفّي ثلاثاً وستّين سنة، وكانت ولايته منذ دخل رقّادة، ودُعي له بالإمامة إلى أن توفّي أربعاً وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً.

ولمّا توفّي ملك بعده ابنه أبو القاسم محمّد، وكان أبوه قد عهد إليه، ولمّا أظهر وفاة والده كان قد تمكَّن وفرغ من جميع ما أراده، واتَّبع سُنَّة أبيه، وثار عليه جماعة، فتمكَّن منهم؛ وكان من أشدِّهم رجل يقال له ابن طالوت القرشيّ في ناحية

طرابلس، ويزعم أنَّه ولد المهديّ، فقاموا معه، وزحف إلى مدينة طرابلس، فقاتله أهلها، ثمّ تبيَّن للبربر كذبه، وحملوا رأسه إلى القائم.

* * *

ابن الفرات

كثر الإرجاف على ابن الفرات، فكتب إلى المقتدر يعرِّفه ذلك، وأنَّ الناس إنَّما عادوه لنصحه وشفقته، وأخذ حقوقه منهم، فأنفذ المقتدر إليه يسكِّنه، ويطيِّب قلبه، فركب هو وولده إلى المقتدر فأدخلهما إليه، فطيَّب قلوبهما، فخرجا من عنده، فمنعهما نصر الحاجب من الخروج ووكّل بهما، فدخل مُفلح على المقتدر، وأشار عليه بتأخير عزله، فأمر بإطلاقهما، فخرج هو وابنه المحسن. فأمَّا المحسن فإنَّه اختفى، وكان عند حماته حزانة، وهي والدة الفضل بن جعفر بن الفرات، وكانت تأخذه كلّ يوم إلى المقبرة، وتعود به إلى المنازل التي يثق بأهلها عشاء وهو في زيّ امرأة، فمضت يوماً إلى مقابر قريش، وأدركها الليل، فبعد عليها الطريق، فأشارت عليها امرأة معها أن تقصد امرأة صالحة تعرفها بالخير، تختفي عندها، فأخذت المحسن وقصدت تلك المرأة، وقالت لها: معنا صبية بكر نريد بيتاً نكون فيه؛ فأمرتهم بالدخول إلى دارها، وسلَّمت إليهم قبَّة في الدار، فأدخلن المحسن إليها، وجلست النساء اللائي معه في صفَّة بين يديّ باب القبَّة، فجاءت جارية سوداء، فرأت المحسن في القبَّة، فعادت إلى مولاتها، فأخبرتها أنَّ في الدار رجلاً، فجاءت صاحبتها، فلمّا رأته عرفته.

وكان المحسن قد أخذ زوجها ليصادره، فلمّار رأى النـاسَ في داره يجلدون، ويشقّصون، ويعذّبون، مات فجأةً، فلمّا رأت المرأة المحسن وعرفته ركبت في سفينة، وقصدت دار الخليفة، وصاحت: معي نصيحة لأمير المؤمنين! فأحضرها نصر االحاجب، فأخبرته بخبر المحسن، فانتهى ذلك إلى المقتدر، فأمر نازوك، صاحب الشرطة، أن يسير معها ويحضره، فأخذها معه إلى منزلها، ودخل المنزل، وأخذ المحسن وعاد به إلى المقتدر، فردَّه إلى دار الوزير، فعُذِّب بأنواع العذاب ليجيب إلى مصادرة يبذلها، فلم يجبهم إلى دينار واحد، وقال: لا أجمع لكم بين

نفسي ومالي؛ واشتدَّ العذاب عليه بحيث امتنع عن الطعام. فلمّا علم ذلك المقتدر أمر بحمله مع أبيه إلى دار الخلافة، فقال الوزير أبو القاسم لمؤنس، وهارون بن غريب الخال، ونصر الحاجب: إن يُنقل ابن الفرات إلى دار الخلافة بذل أمواله، وأطمع المقتدر في أموالنا، وضمننا منه، وتسلَّمنا فأهلكنا؛ فوضعوا القوّاد والجند، حتى قالوا للخليفة: إنَّه لا بدَّ من قتل ابن الفرات وولده، فإنّنا لا نأمن على أنفسنا ما داما في الحياة.

وتردَّدت الرسائل في ذلك، وأشار مؤنس، وهارون بن غريب، ونصر الحاجب بموافقتهم وإجابتهم إلى ما طلبوا، فأمر نازوك بقتلهما، فذبحهما كما يذبح الغنم.

وكان ابن الفرات قد أصبح يوم الأحد صائماً، فأُتي بطعام فلم يأكله، فأُتي أيضاً ليُفطر عليه، فلم يفطر، وقال: رأيتُ أخي العبّاس في النوم يقول لي: أنت وولدك عندنا يوم الإثنين؛ ولا شكَّ أنّا نُقتل؛ فقُتل ابنه المحسن يوم الإثنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الآخر، وحمل رأسه إلى أبيه، فارتاع لذلك شديداً، ثم عُرض أبوه على السيف فقال: ليس إلّا السيف، راجعوا في أمري، فإن عندي أموالاً جمَّة، وجواهر كثيرة، فقيل له: جلّ الأمر عن ذلك! وقُتل وكان عمره إحدى وسبعين سنة، وعمر ولده المحسن ثلاثاً وثلاثين سنة، فلمّا قُتلا حُمل رأساهما إلى المقتدر بالله، فأمر بتفريقهما. وكان ذلك في سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة.

* * *

ابن نصر بن سَيّار

في سنة إحدى وثلاثين ومائة، وبعد مقتل ابن ضُبارة، كتب قَحْطَبة إلى ابنه الحسن وهو يحاصر نِهاوند، فلمَّا أتاه الكتابُ كبَّر هو وجنده ونادوا بقتله، فقال عاصم بن عُمَيْر السعدي: ما نادى هؤلاء بقتله إلّا وهو حقّ! فاخرجوا إلى الحسن بن قحطبة فإنّكم لا تقومون له فتذهبون حيث شئتم قبل أن يأتيه أبوه أو مدد من عنده.

فقالت الرَّجالة: تخرجون وأنتم فرسان على خيول وتتركونا؟ وقال له مالك بن أَدْهم الباهليّ: لا أبرح حتى يقدم علي قحطبة.

وأقام قحطبة على أصبهان عشرين يوماً، ثم سار فقدم على ابنه بنهاوند فحصرهم ثلاثة أشهر: شعبان ورمضان وشوّال، ووضع عليهم المجانيق، وأرسل إلى مَنْ بنهاوند من أهل خراسان يدعوهم إليه وأعطاهم الأمان، فأبوا ذلك.

ثم أرسل إلى أهل الشام بمثل ذلك، فأجابوه وقبلوا أمانه، وبعثوا إليه يسألونه أن يَشْغل عنهم أهل المدينة بالقتال ليفتحوا له الباب الذي يليهم، ففعل ذلك قحطبة وقاتلهم، ففتح أهلُ الشام البابَ، فخرجوا، فلمّا رأى أهلُ خُراسان ذلك سألوهم عن خروجهم، فقالوا: أخذنا الأمان لنا ولكم. فخرج رؤساء أهل خُراسان فدفع قحطبةُ كلّ رجل منهم إلى قائد من قوّاده ثمَّ أمر فنودي: مَنْ كان بيده أسير ممَّن خرج إلينا فليضْرب عنقه وليأتِنا برأسه! ففعلوا ذلك؟ فلم يبقَ أحد ممَّنْ كان قد هرب من أبي مسلم إلا قُتل إلاَّ أهل الشام، فإنَّه وفى لهم وخلَّى سبيلهم وأخذ عليهم أن لا يمالئوا عليه عدوّاً، ولم يقتل منهم أحداً.

وكان ممَّن قُتل من أهل خراسان: أبو كامل، وحاتم بن الحارث بن سُرَيْج، وابن نصر بن سَيّار، وعاصم بن عُمَيْر، وعلي بن عَقيل، وبَيْهس.

* * *

أبو تغلب بن حمدان

في سنة تسع وستين وثلاثمائة، في صفر، قُتل أبو تغلب فضل الله بن ناصر الدولة بن حمدان.

وكان سبب قتله أنَّه سار إلى الشام، ووصل إلى دمشق، وبها قسّام قد تغلَّب عليها، فلم يمكّن أبا تغلب من دخولها، فنزل بظاهر البلد، وأرسل رسولاً إلى العزيز بمصر يستنجده ليفتح له دمشق، فوقع بين أصحابه وأصحاب قسّام فتنة، فرحل إلى نَوى، وهي من أعمال دمشق، فأتاه كتاب رسوله من مصر يذكر أنَّ العزيز يريد أن يحضر هو عنده بمصر ليسيِّر معه العساكر، فامتنع، وتردَّدت الرسل، ورحل إلى بحيرة طَبَرَيَّة، وسيَّر العزيز عسكراً إلى دمشق مع قائد اسمه الفضل، فاجتمع بأبي تغلب عند طَبَرَيَّة، ووعده، عن العزيز، بكلّ ما أحب، وأراد أبو تغلب المسير

معـه إلى دمشق، فمنعه بسبب الفتنـة التي جرت بين أصحابه وأصحاب قسّـام، لئلّا يستوحش قسّام، وأراد أخذ البلد منه سلماً، ورحل الفضل إلى دمشق فلم يفتحها.

وكـان بالـرملة دغفل ين المفـرّج بن الجـرّاح الـطائيُّ قـد استـولى على هـذه الناحية، وأظهر طاعة العزيز من غير أن يتصرَّف بأحكـامه، وكثـر جمعه، وسـار إلى أحياء عُقيل المقيمة بالشام ليخرجها من الشام، فـاجتمعـت عـقيـل إلى أبـي تغلب وسألته نصـرتها، وكتب إليـه دغفل يسـأله أن لا يفعـل، فتوسَّط أبـو تغلب الحـال، فرضوا بما يحكم به العزيز.

ورحـل أبو تغلب، فنـزل في جوار عقيـل، فخافـه دغفل، والفضـل صـاحب العزيز، وظنّا أنَّه يريد أخذ تلك الأعمال.

ثمَّ إنَّ أبـا تغلب سار إلى الـرملة في المحرَّم سنـة تسـع وستين وثـلاثمـائـة، فلم يشـك ابن الجراح والفضـل أنَّه يـريد حـربهما، وكـانا بـالرملة، فجمـع الفضل العسـاكر من السـواحل، وكـذلك جمـع دغفل من أمكنـه جمعـه، وتصـافّ النـاس للحرب، فلمّا رأت عقيـل كثـرة الجمـع انهزمت، ولم يبقَ مـع أبـي تغلب إلّا نحو سبعمائة رجل من غلمانه وغلمان أبيه، فانهـزم ولحقه الـطلب، فوقف يحمي نفسـه وأصحابه، فضُرب على رأسه فسقط، وأُخذ أسيراً، وحُمل إلى دُغفل فأسره وكتَّفه.

وأراد الفضـل أخذه وحمله إلى العـزيـز بمصـر، فخـاف دغفـل أن يصـطنعـه العزيز، كما فعل بالفتكين، ويجعلـه عنده، فقتله، فلامـه الفضل على قتله، وأخـذ رأسه وحمله إلى مصر، وكان معه أخته جميلة بنت ناصر الدولة وزوجته، وهي بنت عمّه سيف الدولة، فلمّا قُتل حملهما بنو عقيل إلى حلب إلى سعد الدولـة بن سيف الدولة، فأخذ أخته، وسيَّر جميلة إلى الموصل، فسُلِّمت إلى أبـي الوفاء نائب عضد الدولة، فأرسلها إلى بغداذ، فاعتُقلت في حُجرة في دار عضد الدولة.

* * *

أبـو زاكـي

في سنـة ثمـان وتسعين ومـائتين قُتـل أبـو عبـد الله الشيعيُّ، قتله المهـديُّ عبيد الله.

وسبب ذلك أنَّ المهديّ لمّا استقامت له البلاد، ودانت له العباد، وباشر الأمور بنفسه، وكفَّ يد أبي عبد الله، ويد أخيه العبّاس، داخل أبا العبّاس الحسد، وعظُم عليه الفطام عن الأمر والنهي، والأخذ والعطاء، فأقبل يُذري على المهديّ في مجلس أخيه، ويتكلّم فيه، وأخوه ينهاه، ولا يرضى فعله، فلا يزيده ذلك إلّا لجاجاً.

ثمَّ إنَّه أظهر أبا عبد الله على ما في نفسه، وقال له: ملكت أمراً، فجئت بمن أزالك عنه، وكان الواجب عليه أن لا يسقط حقّك.

ولم يزل حتى أثَّر في قلب أخيه، فقال يوماً للمهديّ: لو كنت تجلس في قصرك، وتتركني مع كُتامة آمرهم وأنهاهم، لأنِّي عارفٌ بعاداتهم، لكان أهيب لك في أعين الناس.

وكان المهديُّ سمع شيئاً ممّا يجري بين أبي عبد الله وأخيه، فتحقَّق ذلك، غير أنّه ردَّ رداً لطيفاً، فصار أبو العبّاس يشير إلى المقدَّمين بشيء من ذلك، فمن رأى منه قبولاً كشف له ما في نفسه، وقال: ما جازاكم على ما فعلتم، وذكر لهم الأموال التي أخذها المهديُّ من إنكِجان، وقال: هلَّا قسمها فيكم!

وكلُّ ذلك يتَّصل بالمهدي، وهو يتغافل، وأبو عبد الله يداري، ثمَّ صار أبو العبّاس يقول: إنَّ هذا ليس الذي كنّا نعتقد طاعته، وندعو إليه لأنَّ المهدي يختم بالحجَّة، ويأتي بالآيات الباهرة، فأخذ قوله بقلوب كثير من الناس، منهم إنسان من كُتامة يقال له شيخ المشايخ، فواجه المهديَّ بذلك، وقال: إن كنت المهديّ فأظهر لنا آيةً، فقد شككنا فيك؛ فقتله المهديُّ، فخافه أبو عبد الله، وعلم أن المهديّ قد تغيَّر عليه، فاتَّفق هو وأخوه ومن معهما على الاجتماع عند أبي زاكي، وعزموا على قتل المهدي واجتمع معهم قبائل كُتامة إلَّا قليلاً منهم.

وكان معهم رجل يُظهر أنَّه منهم، وينقل ما يجري إلى المهدي، ودخلوا عليه مراراً فلم يجسروا على قتله، فاتَّفق أنَّهم اجتمعوا ليلة عند أبي زاكي، فلمّا أصبحو لبس أبو عبد الله ثوباً مقلوباً، ودخل على المهديّ، فرأى ثوبه، فلم يعرِّفه به، ثمَّ دخل عليه ثلاثة أيّام والقميص بحاله، فقال له المهديُّ: ما هذا الأمر الذي أذهلك

عن إصلاح ثوبك، فهو مقلوب منذ ثلاثة أيّام فعلمتُ أنّك ما نزعتَه؛ فقال: ما علمت بذلك إلاّ ساعتي هذه؟ قال: أين كنتَ البارحة والليالي قبلها؟ فسكت أبو عبد الله! فقال: أليس بتّ في دار أبي زاكي؟ قال: بلى. قال: وما الذي أخرجك من دارك؟ قال: خفتُ. قال: وهل يخاف الإنسان إلاّ من عدوّه؟ فعلم أنّ أمره ظهر للمهديّ، فخرج وأخبر أصحابه، وخافوا، وتخلّفوا عن الحضور.

فذكر ذلك للمهديّ، وعنده رجل يُقال له ابن القديم، كان من جملة القوم، وعنده أموال كثيرة، من أموال زيادة الله، فقال: يا مولاي إن شئتَ أتيتُك بهم، مضى فجاءهم، فعلم المهديُّ صحّة ما قيل عنه، فلاطفهم وفرّقهم في البلاد، فجعل أبا زاكي والياً على طرابلس، وكتب إلى عاملها أن يقتله عند وصوله، فلمّا وصل قتله عاملها، وأرسل رأسه إلى المهديّ، فهرب ابن القديم، فأُخذ، فأمر المهديُّ بقتله فقُتل.

وأمر المهديُّ عُرُوبة ورجالاً معه أن يرصدوا أبا عبد الله وأخاه العبّاس، ويقتلوهما، فلمّا وصلا إلى قرب القصر، حمل عروبة على أبي عبد الله، فقال: لا تفعل يا بنيّ! الذي أَمَرَتنا بطاعته أمرنا بقتلك؛ فقُتل هو وأخوه، وكان قتلهما في اليوم الذي قُتل فيه أبو زاكي. فقيل: إنّ المهديّ صلّى على أبي عبد الله، وقال: رحمك الله، أبا عبد الله، وجزاك خيراً بجميل سعيك.

* * *

أبو السّرايا السّريّ بن منصور

في سنة تسع وتسعين ومائة ظهر أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، عليه السلام، لعشر خلون من جمادي الآخرة، بالكوفة، يدعو إلى الرضى من آل محمّد ﷺ، والعمل بالكتاب والسُّنَّة، وهو الذي يُعرَف بابن طَباطَبا، وكان القيِّم بأمره في الحرب أبو السّرايا السّريّ بن منصور، وكان يذكر أنه من ولد هانىء بن مسعود الشيبانيّ.

وكان سبب خروجه أنّ المأمون لما صرف طاهراً عمّا كان إليه من الأعمال التي افتتحها، ووجّه الحسن بن سَهْل إليها، تحدّث النّاس بالعراق أنّ الفضل ابن سَهْل قد غلبَ على المأمون، وأنّه أنزله قصراً حجبه فيه عن أهل بيته وقوّاده،

وأنّـه يستبدّ بـالأمر دونـه، فغضب لذلـك بنو هـاشم ووجـوه النّـاس، واجتـرأوا على الحسن بن سهـل، وهـاجت الفتن في الأمصـار، فكـان أوّل مَنْ ظهـر ابن طَبـاطَبـا بالكوفة.

وقيل كان سبب اجتماع ابن طَباطَبا بأبـي السَّرايا أن أبـا السَّرايـا كان يُكـري الحميـر، ثم قوي حـاله، فجمـع نفراً، فقتـل رجلاً من بني تميم بـالجزيـرة، وأخذ ما معه، فطُلب، فاختفى، وعبر الفرات إلى الجـانب الشاميّ، فكـان يقطع الـطريق في تلك النَّواحي، ثم لحق بيزيد بن مَزْيَد الشيبانيّ بأرمينية، ومعـه ثلاثـون فارسـاً، فقوَّده، فجعل يقاتل معه الخُرّمِيّة، وأثر فيهم وفتك وأخذ منهم غلامه أبا الشواك.

فلمّا عُزل أسد عن أرمينية صار أبو السَّرايا إلى أحمد بن مَزْيد، فوجّهـه أحمد طليعةً إلى عسكر هَرْثَمَة في فتنـة الأمين والمأمـون، وكانت شجـاعته قـد اشتهرت، فـراسله هَـرْثَمَـة يستميله، فمـال إليـه، فـانتقـل إلى عسكـره، وقصـده العـرب من الجزيرة، واستخرج لهـم الأرزاق مِن هَرْثَمَـة، فصار معـه نحو ألفَيْ فـارس وراجل، فصار يخاطب بالأمير.

فلمّا قُتل الأمين نقصه هَرْثَمَة من أرزاقه وأرزاق أصحابه، فاستأذنه في الحج، فـأذن له، وأعـطاه عشرين ألف درهم، ففرَّقهـا في أصحـابـه ومضى، وقـال لهم: اتبعوني متفرِّقين، ففعلوا، فاجتمع معـه نحو من مـائتي فارس، فسـار بهم إلى عين التمر، وحصر عاملها، وأخذ ما معه من المال وفرَّقه في أصحابه.

وسار، فلقي عاملاً آخر ومعـه مال على ثـلاثة بغـال، فأخـذها وسـار، فلحقه عسكر كان قـد سيَّره هَـرْثَمَة خلفـه فعاد إليهم، وقـاتلهم، فهزمهم، ودخـل البرِّيّـة، وقسم المـال بين أصحابـه، وانتشر جنـده، فلحق بـه مَنْ تخلَّف عنـه من أصحـابـه وغيرهـم، فكثر جمعه، فسار نحو دَقُوقا، وعليها أبو ضِرغامة العِجليُّ، في سبع مائـة فـارس، فخرج إليـه، فلقيه، فـاقتتلوا، فانهـزم أبو ضِـرغامـة، ودخل قصـر دَقوقـا، فحصره أبو السرايا، وأخرجه من القصر بالأمان وأخذ ما عنده من الأموال.

وســار إلى الأنبـار، وعليهـا إبـراهيم الشَّرويُّ، مـولى المنصـور، فقتله أبـو السَّرايـا، وأخذ مـا فيها وسـار عنها؛ ثمَّ سـار إليها بعـد إدراك الفلال، فـاحتوى عليها، ثمَّ ضجر من طـول السُّرَى في البـلاد، فقصد الـرقَّة، فمـرَّ بطوق بن مـالك

التغلبي، وهو يحارب القيسيَّة، فأعانه عليهم وأقام معه أربعة أشهر يقاتل على غير طمع إلاَّ للعصبيَّة للربَعيَّة على المضريَّة، فظفر طوق وانقادت له قيس.

وسار أبو السَّرايا إلى الرقَّة، فلمّا وصلها لقيه محمد بن إبراهيم المعروف بابن طَباطَبا، فبايعه، وقال له: انحدرْ أنت في الماء وأسير أنا على البرّ، حتى نوافي الكوفة؛ فدخلاها، وابتدأ أبو السَّرايا بقصر العبّاس ابن موسى بن عيسى فأخذ ما فيه من الأموال والجواهر، وكان عظيماً لا يُحصى، وبايعهم أهل الكوفة.

وقيل كان سبب خروجه أنَّ أبا السَّرايا كان من رجال هَرْثَمَة، فمطله بأرزاقه، فغضب، ومضى إلى الكوفة، فبايع ابن طَباطَبا فبايع ابن طباطبا، وأخذ الكوفة، واستوسق له أهلها، وأتاه الناس من نواحي الكوفة والأعراب فبايعوه، وكان العامل عليها للحسن بن سهل سليمان المنصور، فلامه الحسن، ووجّه زهير بن المسيّب الضبي إلى الكوفة في عشرة آلاف فارس، وراجل، فخرج إليه ابن طباطبا وأبو السَّرايا، فواقعوه في قرية شاهي، فهزموه، واستباحوا عسكره، وكانت الوقعة سلخ جمادي الآخرة.

فلما كان الغد، مستهل رجب، مات محمد بن إبراهيم بن طباطبا فجأةً، سمّه أبو السَّرايا، وكان سبب ذلك أنَّه لما غنم ما في عسكر زهير منع عنه أبا السَّرايا، وكان الناس له مُطيعين، فعلم أبو السَّرايا أنَّه لا حكم له معه، فسمَّه فمات، وأخذ مكانه غلاماً أمرد يقال له محمَّد بن محمَّد بن زيد ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، عليه السلام، فكان الحكم إلى أبي السَّرايا.

ورجع زُهير إلى قصر ابن هُبَيْرة، فأقام به، ووجَّه الحسنُ بن سَهْل عبدوسَ بن محمَّد بن أبي خالد المَرْوَرُّذي، في أربعة آلاف فارس، فخرج إليه أبو السَّرايا، فلقيه بالجامع لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب، فقتَل عبدوساً، ولم يفلت من أصحابه أحد، كانوا بين قتيل وأسير.

وانتشر الطالبيُّون في البلاد، وضرب أبو السَّرايا الدراهم بالكوفة، وسيَّر جيوشه إلى البصرة، وواسط ونواحيهما، فولَّى البصرةَ العبّاسَ بن محمَّد ابن عيسى بن محمَّد الجعفريَّ، وولَّى مكَّة الحسينَ بن الحسن بن عليّ بن الحسين بن عليّ الذي يُقال له الأفطس، وجعل إليه الموسم؛ وولَّى اليمنَ إبراهيمَ بن موسى بن

جعفر وولّى فارسَ إسماعيلَ بن موسى بن جعفر، وولّى الأهواز زيدَ بن موسى بن جعفر؛ فسار إلى البصرة، وغلب عليها، وأخرج عنها العبّاسَ بن محمَّد الجعفريّ، ووليها مع الأهواز، ووجَّه أبو السَّرايا محمَّد بن سليمان بن داود بن الحسن بن عليّ إلى المدائن وأمره أن يأتيَ بغداذ من الجانب الشرقيّ، فأتى المدائن، وأقام بها وسيَّر عسكره إلى دَيَالَى.

وكان بواسط عبد الله بن سعيد الحَرَشيُّ واليا عليها من قِبَل الحسن بن سهل، فانهزم من أصحاب أبي السَّرايا إلى بغداذ، فلمّا رأى الحسنُ أنَّ أصحابه لا يلبثون لأصحاب أبي السَّرايا، أرسل إلى هَرْثَمَة يستدعيه لمحاربة أبي السَّرايا، وكان قد سار إلى خراسان مغاضباً للحسن، فحضر بعد امتناع، وسار إلى الكوفة في شعبان، وسيَّر الحسنُ إلى المدائن وواسط عليَّ بن سعيد، فبلغ الخبر أبا السَّرايا وهو بقصر ابن هُبَيْرة فوجَّه جيشاً إلى المدائن، فدخلها أصحابه في رمضان، وتقدَّم حتى نزل بنهر صَرْصَر، وجاء هَرْثَمَة فعسكر بإزائه، بينهما النهر، وسار عليُّ بن سعيد في شوّال إلى المدائن، فقاتل بها أصحاب أبي السَّرايا، فهزمهم واستولى على المدائن.

ويلغ الخبر أبا السَّرايا، فرجع من نهر صَرْصَر إلى قصر ابن هُبَيرة، فنزل به؛ وسارَ هَرْثَمة في طلبه فوجد جماعة من أصحابه، فقتلهم، ووجَّه رؤوسهم إلى الحسن بن سَهل، ونازل هَرْثَمَةُ أبا السَّرايا، فكانت بينهما وقعة قُتل فيها جماعة من أصحاب أبي السَّرايا، فانحاز إلى الكوفة، ووثبَ مَنْ معه من الطالبين على دور بني العبّاس ومواليهم وأتباعهم، فهدموها، وانتهبوها، وخرَّبوا ضياعهم، وأخرجوهم من الكوفة، وعملوا أعمالاً قبيحة، واستخرجوا الودائع التي كانت لهم عند النّاس...

ثم دخلت سنة مائتين. وفيها هرب أبو السَّرايا من الكوفة، وكان قد حصره فيها ومَن معه هَرْثَمة، وجعل يلازم قتالهم، حتى ضجروا، وتركوا القتال؛ فلمّا رأى ذلك أبو السَّرايا، تهيَّأ للخروج من الكوفة، فخرج في ثمانمائة فارس، ومعه محمَّد بن محمَّد بن زيد، ودخلها هَرْثَمَة فأمَّن أهلها، ولم يتعرَّض إليهم؛ وكان هربه سادس عشر المحرَّم، وأتى القادسيَّة، وسار منها إلى السُّوس بخوزستان فلقي مالاً قد حُمل من الأهواز، فأخذه، وقسمه بين أصحابه.

وأتاه الحسن بن عليّ المأمونيُّ، فأمره بالخروج من عمله، وكره قتاله فأبى

أبو السرايا إلاَّ قتاله، فقاتله، فهزمه المأمونيُّ وجرحه، وتفرَّق أصحابه، وسار هو ومحمَّد بن محمَّد وأبو الشوك نحو منزل أبي السَّرايا برأس عين، فلمّا انتهوا إلى جَلولاء ظفر بهم حمّاد الكندغوش، فأخذهم وأتى بهم الحسنَ بن سَهْل، وهو بالنَّهروان، فقتل أبا السَّرايا، وبعث رأسه إلى المأمون، ونصبت جثَّته على جسر بغداذ، وسيَّر محمَّد بن محمَّد إلى المأمون. وأما هَرْثَمة فإنَّه أقام بالكوفة يوماً واحداً وعاد، واستخلف بها غسّان ابن أبي الفرج أبا إبراهيم بن غسّان، صاحب حرَس والي خُراسان.

وسار عليّ بن سعيد إلى البصرة، فأخذها من العلويِّين. وكان بها زيد ابن موسى بن جعفر بن محمَّد بن عليّ بن الحسن بن عليّ، عليه السلام، وهو الذي يسمَّى زيدَ النار، وإنَّما سُمِّي بها لكثرة ما أحرق بالبصرة من دور العبّاسيِّين وأتباعهم، وكان إذا أتَى رجل من المُسَوِّدة أحرقه؛ وأخذ أموالاً كثيرة من أموال التجّار سوى أموال بني العَبّاس؛ فلمّا وصل عليّ إلى البصرة استأمنه زيد فأمَّنه، وأخذه، وبعث إلى مكَّة، والمدينة، واليمن جيشاً، فأمرهم بمحاربة مَنْ بها من العلويِّين، وكان بين خروج أبي السَّرايا وقتله عشرة أشهر.

* * *

أبو الصلت

لما ظفر الحجّاج بابن الأشعث لحق خلقٌ كثير من المنهزمين بعمر بن أبي الصلت، وكان قد غلب على الريّ في تلك الفتنة، فلما اجتمعوا بالريّ أرادوا أن يحظوا عند الحجّاج بأمر يمحون عن أنفسهم عثرة الجماجم، فأشاروا على عمر بخلع الحجّاج وقتيبة، فامتنع، فوضعوا عليه أباه أبا الصلت، وكان به باراً، فأشار عليه بذلك وألزمه به وقال له: يا بنيّ إذا سار هؤلاء تحت لوائك لا أبالي أن تُقتل غداً. ففعل، فلمّا قارب قتيبة الريّ بلغه الخبر فاستعدَّ لقتاله، فالتقوا واقتتلوا، فغدر أصحاب عمر به، وأكثرهم من تميم، فانهزم ولحق بطبرستان، فأواه الأصبهبذ وأكرمه وأحسن إليه. فقال عمر لأبيه: إنَّك أمرتَني بخلع الحجّاج وقتيبة فأطعتك، وكان خلاف رأيي فلم أحمد رأيك، وقد نزلنا بهذا العلج الأصبهبذ فدَعْني حتى

أثب عليه فأقتله وأجلس على مملكته، فقد علمت الأعاجم أنّي أشرف منه. فقال أبوه: ما كنت لأفعل هذا لرجل آوانا ونحن خائفون، وأكرَمَنا وأنزَلَنا. فقال عمر: أنت أعلم وسترى.

ودخل قتيبة الريّ وكتب إلى الحجّاج بخبر عمر وانهزامه إلى طبرستان، فكتب الحجّاج إلى الأصبهبذ: أن ابعثْ بهم أو برؤوسهم وإلاَّ فقد برئت منك الذمَّة. فصنع لهم الأصبهبذ طعاماً وأحضرهما، فقتل عمر وبعث أباه أسيراً، وقيل: بل قتلهما وبعث برؤوسهما.

* * *

أبو فراس بن حمدان

في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، في ربيع الآخر، قُتل أبو فراس بن أبي العلاء سعيد بن حمدان.

وسبب ذلك أنَّه كان مقيماً بحمص، فجرى بينه وبين أبي المعالي بن سيف الدولة بن حمدان وحشة، فطلبه أبو المعالي، فانحاز أبو فراس إلى صدد، وهي قرية في طرف البرِّيَّة عند حمص، فجمع أبو المعالي الأعراب من بني كلاب وغيرهم، وسيَّرهم في طلبه مع قرغويه، فأدركه بصدد، فكبسوه، فاستأمن أصحابه، واختلط هو بمن استأمن منهم، فقال قرغويه لغلام له: اقتله، فقتله وأخذ رأسه وتُركت جثّته في البرِّيَّة، حتى دفنها بعض الأعراب.

وأبو فراس هو خال أبي المعالي بن سيف الدولة، ولقد صدق من قال: إنَّ الملك عقيم.

أبو كرب بن المنذر بن ماء السماء

سار المنذر بن ماء السماء، ملك العرب من الحيرة في معدّ كلّها حتى نزل بعين أُباغ بذات الخيار، وأرسل إلى الحارث الأعرج بن جبلة بن الحارث... بن عامر الغساني ملك العرب بالشام: إمّا أن تعطيني الفدية، فأنصرف عنك بجنودي، وإمّا أن تأذن بحرب.

فأرسل إليه الحارث: أنظِرنا ننظرْ في أمرنا، فجمع عساكره وسار نحو المنذر وأرسل إليه يقول له: إنَّا شيخان فلا نهلك جنودي وجنودك، ولكن يخرج رجل من ولدي ويخرج رجل من ولدك، فمن قُتل خرج عوضه آخر، وإذا فني أولادنا خرجتُ أنا إليك، فمن قتل صاحبه ذهب بالمُلْك، فتعاهدا على ذلك، فعمد المنذر إلى رجل من شجعان أصحابه، فأمره أن يخرج فيقف بين الصفّين، ويُظهر أنه ابن المنذر، فلما خرج أخرج إليه الحارثُ ابنه أبا كرب، فلما رآه رجع إلى أبيه وقال: إن هذا ليس بابن المنذر، إنما هو عبده أو بعض شجعان أصحابه، فقال: يا بنيّ، أجزعت من الموت؟ ما كان الشيخ ليغدر، فعاد إليه وقاتله، فقتله الفارس وألقى رأسه بين يدي المنذر، وعاد، فأمر الحارث ابناً له آخر بقتاله والطلب بثأر أخيه، فخرج إليه، فلمّا واقفه رجع إلى أبيه، وقال: يا أبتِ، هذا والله عبد المنذر. فقال: يا بنيّ ما كان الشيخ ليغدر. فعاد إليه فشدَّ عليه، فقتله.

فلما رأى ذلك شمر بن عمرو الحنفي، وكانت أمّه غسانيّة، وهو مع المنذر، قال: أيّها الملك، إنّ الغدر ليس من شيم الملوك ولا الكرام، وقد غدرت بابن عمك دفعتين، فغضب المنذر وأمر بإخراجه، فلحق بعسكر الحارث فأخبره، فقال له: سلْ حاجتك. فقال له: حلّتك وخُلّتك.

فلما كان الغد، عبَّى الحارث أصحابه وحرضّهم، وكان في أربعين ألفاً، واصطفّوا للقتال، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقُتل المنذر وهزمت جيوشه، فأمر الحارث بابنيه القتيلين، فحُملا على بعير بمنزلة العدلين، وجعل المنذر فوقهما فَوْداً وقال: يا لِعَلاوةٍ دون العِدلين! فذهبت مثلاً. وسار إلى الحيرة، فأنهبها وأحرقها ودفن ابنيْه بها وبنى الغَريَّين عليهما في قول بعضهم. وفي ذلك اليوم ـ يوم عين أُباغ ـ يقول ابن أبي الرعلاء الضبيانيّ:

كم تركنا بالعين عينِ أُباغ ... من ملوكٍ وسُوقةٍ أكفاءِ
أمطرتهم سحائب الموت تترى ... إنَّ في الموت راحة الأشقياءِ
ليس من مات فاستراح بميتٍ ... إنَّما الميت ميِّت الأحياءِ

* * *

أبو ليلى الحارث بن عبد العزيز

في سنة أربع وثمانين ومائتين، وثب الحارث بن عبد العزيز بن أبي دُلَف المعروف بأبي ليلى، بشفيع الخادم فقتله، وكان أخوه عمر بن عبد العزيز قد أخذه وقيَّده وحبسه في قلعة زر، ووكَّل به شفيعاً الخادم، ومعه جماعة من غلمان عمر، فلمّا استأمن عمر إلى المعتضد وهرب بكر بقيت القلعة بما فيها من الأموال بيد شفيع، فكلَّمه أبو ليلى في إطلاقه، فلم يفعل وطلب من غلام كان يخدمه مِبْرَداً، فأدخله في الطعام، فبردَ مِسمارَ قَيده.

وكان شفيع في كلِّ ليلة يأتي إلى أبي ليلى يفتقده، ويمضي ينام وتحت رأسه سيف مسلول، فجاء شفيع في ليلة إليه، فحادثه، فطلب منه أن يشرب معه أقداحاً، ففعل، وقام الخادم لحاجته، فجعل أبو ليلى في فراشه ثياباً تشبه إنساناً نائماً، وغطّاها باللحاف، وقال لجارية كانت تخدمه: إذا عاد شفيع قولي له نائم. ومضى أبو ليلى، فاختفى ظاهر الدار، وقد أخرج قيده من رجله، فلمّا عاد شفيع، قالت له الجارية: هو نائم؛ فأغلق الباب ومشى إلى داره ونام فيها، فخرج أبو ليلى وأخذ السيف من عند شفيع وقتله، فوثب الغلمان، فقال لهم أبو ليلى: قد قتلتُ شفيعاً، ومَنْ تقدَّم إليّ قتلتُه، فأنتم آمنون! فخرجوا من الدار، واجتمع الناس إليه فكلَّمهم، ووعدهم الإحسان، وأخذ عليهم الأيمان، وجمع الأكراد وغيرهم، وخرج مخالفاً على المعتضد. وكان قتلُ شفيع في ذي القعدة.

ولمّا خرج أبو ليلى على السلطان، قصده عيسى النّوشريُّ، فاقتتلوا، فأصاب أبا ليلى في حلقة سهم فنحره، فسقط عن دابتّه، وانهزم أصحابه وحُمل رأسه إلى أصبهان ثمّ إلى بغداذ.

* * *

أبو محمّد بن عبد الله السفياني

... خلع أبو الورد مجزاة بن الكَوْثر بن زُفَر بن الحارث الكلابيّ، وكان من أصحاب مروان وقوّاده.

وكـان سبب ذلك أنّ مـروان لمّا انهـزم، قـام أبـو الـورد بقِنّسـرين، فقـدمهـا عبد الله بن عليّ، فبايعه أبو الورد، ودخل فيما دخل فيه جندُه، وكان ولد مَسْلمة بن عبـد الملك مجاورين لـه ببالِس والنـاعورة، فقـدم بالِس قـائدٌ من قـوّاد عبـد الله بن علي، فبعث بولد مَسْلمة ونسائهم، فشكـا بعضُهم ذلك إلى أبـي الـورد، فخـرج من مـزرعة لـه يقال لهـا خُساف، فقتـل ذلك القـائـد ومَنْ معـه وأظهـر التبييض والخلع لعبد الله، ودعا أهلَ قنّسرين إلى ذلك، فبيَّضوا أجمعهم، والسفّاح يومئـذٍ بالحيـرة، وعبـد الله بن عليّ مشتغـل بحـرب حَبيب بن مُـرَّة المـرّيّ بـأرض البلقــاء وحـوران والبثنيَّة.

فلمّـا بلغ عبد الله تبييضُ أهـل قنّسرين وخلعهم صـالـحَ بن مـرَّة وسـار نحـو قنّسرين للقاء أبـي الـورد، فمرَّ بـدمشق فخلَّف بها أبـا غانم عبـد الحميد بن رِبْعِيّ الطائي في أربعة آلاف، وكان بدمشق أهل عبد الله وأمَّهات أولاده وثَقَله، فلمّا قـدم حِمْصَ انتفضَ له أهل دمشق، وبيَّضـوا وقامـوا مع عثمـان بن عبد الأعلى بن سُـراقة الأزديّ، فلقوا أبا غانم ومَنْ معه، فهـزموه وقتلوا من أصحـابه مقتلةً عـظيمة وانتهبـوا ما كان عبد الله خلَّف من ثَقَله، ولم يعرضوا لأهله، واجتمعوا على الخـلاف. وسار عبد الله، وكان قد اجتمع مع أبـي الورد جماعة من أهل قنّسرين، وكـاتبوا مَنْ يليهم من أهل حمص وتَدْمُر، فقدم منهم ألـوف عليهم أبو محمّـد بن عبد الله بن يـزيد بن معاوية، ودعوا إليه، وقـالوا هـذا السفياني الـذي كان يُـذكر، وهم في نحـو أربعين ألفـاً، فعسكـروا بمـرج الأخْـرم، ودنـا منهم عبـد الله بن علي ووجَّــه إليهم أخـاه عبـد الصمد بن علي في عشـرة آلاف، وكان أبـو الورد هـو المدبِّـر لعسكر قنّسـرين وصاحب القتال، فناهضهم القتال، وكثر القتلُ في الفـريقيْن، وانكشف عبد الصمـد ومَن معه، وقتل منهم ألوف ولحق بأخيه عبد الله.

فأقبل عبد الله ومعه جماعة القوّاد، فالتقوا ثانيـةً بمرج الأخْـرم، فاقتتلوا قتـالاً شـديـداً، وثبت عبـد الله، فـانهـزم أصحـاب أبـي الـورد، وثبت هـو في نحـو من خمسمائة من قومه وأصحابه فقُتلوا جميعـاً، وهرب أبـو محمد ومَنْ معـه حتّى لحقوا بتَدْمُر، وآمن عبدُ الله أهل قنّسرين وسوَّدوا، وبايعوه ودخلوا في طاعته.

ثم انصرف راجعاً إلى أهل دمشق لما كان من تبييضهم عليه، فلمّا دنا منهم هرب الناسُ ولم يكن منهم قتال، وآمن عبدُ الله أهلَها وبايعوه، ولم يأخذهم بما كان منهم.

ولم يزل أبو محمّد السفيانيّ متغيِّباً هارباً، ولحق بأرض الحجاز، وبقي كذلك إلى أيّام المنصور، فبلغ زيادَ بن عبد الله الحارثيّ عامل المنصور مكانُه، فبعث إليه خيلاً، فقاتلوه، فقتلوه وأخذوا ابنَيْن له أسيرَيْن، فبعث زيادٌ برأس أبي محمّد بن عبد الله السفيانيّ وبابنَيْه، فأطلقهما المنصور وآمنهما.

وقيل: إن حرب عبد الله وأبي الورد كانت في سنة ثلاث وثلاثين ومائة.

* * *

أحمد بن علي

في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، سار يوسف بن أبي الساج من أذربيجان إلى الريّ، فحاربه أحمد بن عليّ أخو صعلوك، فانهزم أصحاب أحمد وقُتل هو في المعركة، وأنفذ رأسه إلى بغداذ؛ وكان أحمد بن عليّ قد فارق أخوه صعلوكاً، وسار إلى المقتدر، فأقطع الريّ، وهادن ماكان بن كالي، وأولاد الحسن بن عليّ الأطروش، وهم بطبرستان، وجُرجان، وفارق طاعة المقتدر وعصى عليه؛ ووصل رأسه إلى بغداذ.

وكان ابن الفرات يقع في نصر الحاجب ويقول للمقتدر، إنّه هو الذي أمر أحمد بن عليّ بالعصيان لمودّة بينهما. وكان قتلُ أحمد بن عليّ آخر ذي القعدة، واستولى ابن أبي الساج على الريّ...

* * *

أحمد بن محمّد بن عبد الله

في سنة خمس وخمسين ومائتين، ظهر بمصر إنسان علويّ، ذُكر أنّه أحمد بن محمّد بن عبد الله بن إبراهيم بن طَباطَبا، وكان ظهوره بين بَرقة

والإسكندرية، وسار إلى الصعيد، وكثر أتباعه، وادَّعى الخلافة، فسيَّر إليه أحمد بن طولون جيشاً، فقاتلوه، وانهزم أصحابه عنه، وثبت هو فقُتل، وحمل رأسه إلى مصر.

* * *

أحمد بن نصر بن مالك الخُزاعيّ

في سنة إحدى وثلاثين ومائتين، تحرَّك ببغداذ قوم مع أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعيّ، وجدِّه مالك، أحد نقباء بني العبّاس.

وكان سبب هذه الحركة، أنّ أحمد بن نصر، كان يغشاه أصحاب الحديث كابن معين، وابن الدَّوْرقيّ، وابن زهير، وكان يخالف مَنْ يقول القرآن مخلوق، ويطلق لسانه فيه، مع غلظة بالواثق، وكان يقول، إذا ذكر الواثقَ: فعل هذا الخنزير، وقال هذا الكافر، وفشا ذلك؛ فكان يغشاه رجل يُعرف بأبي هارون الشدّاخ، وآخر يقال له طالب، وغيرهما، ودعوا الناس إليه، فبايعوه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفرَّق أبو هارون وطالب في الناس مالاً، فأعطيا كل رجل ديناراً، واتّعدوا ليلة الخميس لثلاث خلت من شعبان ليضربوا بالطبل فيها، ويثوروا على السلطان.

وكان أحدهما في الجانب الشرقيّ من بغداذ والآخر في الجانب الغربيّ، فاتّفق أنّ ممّن بايعهم رجلَيْن من بني الأشرس شربا نبيذاً ليلة الأربعاء، قبل الموعد بليلة، فلمّا أخذ منهم ضربوا الطبل، فلم يجبهم أحد.

وكان إسحاق بن إبراهيم صاحب الشرطة، غائباً عن بغداذ، وخليفته أخوه محمّد بن إبراهيم، فأرسل إليهم محمّد يسألهم عن قصّتهم، فلم يظهر أحد، فدُلَّ على رجل يكون في الحمّام مُصاب العين، يُعرف بعيسى الأعور، فأحضره وقرَّره، فأقرَّ على بني الأشرس، وعلى أحمد بن نصر، وغيرهما، فأخذ بعضَ من سُمّي، وفيهم طالب، وأبو هارون، ورأى في منزل بني الأشرس عَلَمَيْن أخضرين، ثمّ أخذ خادماً لأحمد بن نصر، فقرَّره، فأقرَّ بمثل ما قال عيسى، فأرسل إلى أحمد بن

نصر، فأخذه وهو في الحمّام، وحُمل إليه، وفُتِّش بيته، فلم يوجد فيه سلاح، ولا شيء من الآلات، فسيَّرهم محمّد بن إبراهيم إلى الواثق مقيَّدين على أُكُف بغال، ليس تحتهم وطاء إلى سامرّا.

فلمّا علم الواثق بوصولهم، جلس لهم مجلساً عاماً فيه أحمد بن أبي دؤاد، وكان كارهاً لقتل أحمد بن نصر، فلمّا حضر أحمد عند الواثق، لم يذكر له شيئاً من فعله والخروج عليه، ولكنّه قال له: ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله، وكان أحمد قد استقتل، فتطيَّب وتنوَّر؛ وقال الواثق: أمخلوق هو؟ قال: كلام الله. قال: فما تقول في ربّك، أتَرَاهُ يومَ القيامة؟ قال: يا أمير المؤمنين! قد جاءت الأخبار عن رسول الله ﷺ، أنّه قال: ترون ربَّكم يومَ القيامة كما ترون القمر، قال: لا تُضامون في رؤيته، فنحن على الخبر. وحدَّثني سُفيان بحديث رفعه، أن قلب ابن آدم المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن، يقلِّبه، وكان النبيّ ﷺ، يدعو: يا مُقَلِّبَ القلوب والأبصار، ثبِّت قلبي على دِينك.

قال إسحاق بن إبراهيم: انظر ما يقول. قال: أنت أمرتني بذلك، فخاف إسحاق، وقال: أنا أمرتُك؟ قال: نعم، أمرتني أن أنصح له، ونصيحتي له أن لا يخالف حديث رسول الله ﷺ، فقال الواثق لمن حوله: ما تقولون فيه؟ فقال عبد الرحمن بن إسحاق، وكان قاضياً على الجانب الغربيّ: وعزِّك يا أمير المؤمنين، هو حلال الدم.

وقال بعض أصحاب ابن أبي دؤاد: اسقني دمه، وقال ابن أبي دؤاد: هو كافر يُستتاب لعلَّ به عاهة ونقص عقل، كأنَّه كره أن يُقتل بسببه، فقال الواثق: إذا رأيتموني قد قمتُ إليه، فلا يقومنَّ أحد، فإنّي أحتسب خُطايَ إليه.

ودعا بالصّمصامة سيفِ عمرو بن معدي كرب الزبيديّ، ومشى إليه، وهو في وسط الدار على نطع، فضربه على حَبْل عاتقه، ثم ضربه أخرى على رأسه، ثمّ ضرب سيما الدمشقيُّ رقبته وحزَّ رأسه، وطعنه الواثق بطرف الصّمصامة في بطنه، وحمل حتى صُلب عند بابك، وحُمل رأسه إلى بغداذ، فنُصب بها، وأقيم عليه

الحرس، وكُتب في أذنه رُقعة: هذا رأس الكافر، المشرك الضالّ، أحمد بن نصر؛ وتُتبّع أصحابه، فجُعلوا في الحبوس.

* * *

أخـوال السفّـاح

في سنة أربع وثلاثين ومائة، خلع بسّام بن إبراهيم بن بسّام، وكان من فرسان أهل خراسـان، وسار من عسكـر السفّاح هـو وجماعـة على رأيه سـرّاً إلى المدائن، فـوجَّه إليهم السفّـاحُ خازمَ بن خُـزَيْمة، فـاقتتلوا، فانهـزم بسّـام وأصحـابـه، وقتـل أكثرهم، وقتل كلّ من لحقه منهزماً؛ ثـمّ انصرف، فمرَّ بذات المطامير، وبها أخـوال السفّاح من بني عبد المدان، وهم خمسة وثـلاثون رجـلاً، ومن غيرهم ثمـانية عشـر رجلاً، ومن مواليهم سبعة عشر، فلم يسلِّم عليهم، فلمّـا جازهم شتمـوه، وكان في قلبه عليهم ما كان لما بلغه عنهم من حال المُغيرة بن الفزع، وأنّه لجأ إليهم، وكـان من أصحاب بسّام، فرجع إليهم وسـألهم عن المُغيرة، فقـالوا: مـرَّ بنا رجـل مجتاز لا نعرفه، فأقام في قريتنا ليلة، ثم خرج عنّا. فقـال لهم: أنتم أخوال أميـر المؤمنين يـأتيكم عـدوّه ويـأمن في قـريتكم! فهـلاّ اجتمعتم، فـأخـذتمـوه! فـأغلظوا لـه في الجواب، فأمـر بهم، فضُربتْ أعنـاقهم جميعاً، وهـدم دورهم، ونهب أموالهم، ثم انصرف.

فبلغ ذلك اليمانيّـة، فاجتمعـوا، ودخل زيـادُ بن عبد الله الحـارثيّ معهم على السفّاح، فقالوا له: إن خازماً اجترأ عليك، واستخفَّ بحقّـك وقتل أخـوالك الـذين قطعوا البلاد، وأتوك معتـزّين بك طـالبين معروفـك حتى صاروا في جـوارك، قتلهم خازم وهدم دورهم ونهب أموالهم بلا حـدث أحدثـوه. فهمَّ بقتل خـازم، فبلغ ذلك موسى بن كعب وأبا الجَهْم بن عطيّة، فدخلا على السفّاح، وقالا: يا أمير المؤمنين، بلغنا ما كان من هؤلاء، وأنّك هممت بقتل خازم، وإنّا نعيذك بـالله من ذلك، فـإنَّ له طاعة وسابقة وهو يُحْتمل له ما صنع، فـإنَّ شيعتكم من أهل خـراسان قـد آثروكم على الأقارب والأولاد وقتلوا مَنْ خالفكم، وأنت أحقّ مَنْ تغمَّد إساءة مسيئهم، فإن

كنتَ لا بدّ مجمعاً على قتله، فلا تتولَّ ذلك بنفسك، وابعثه لأمرٍ إن قُتل فيه كنتَ قد بلغتَ الذي تريد، وإن ظفر كان ظفره لك.

وأشاروا عليه بتوجيهه إلى مَنْ بعُمان من الخوارج، وإلى الخوارج الذين بجزيرة ابن كاوان مع شَيْبان بن عبد العزيز اليشكريّ، فأمر السفّاح بتوجيهه مع سبعمائة رجل، وكتب إلى سليمان بن عليّ، وهو على البصرة، بحملهم إلى جزيرة ابن كاوان وعُمان، فسار خازم.

* * *

الأسود العنسي

واسمه عَيْهلة بن كعب بن عوف العنسيّ، وعنس بطن من مَذْحج، وكان يلقَّب ذا الخمار، لأنه كان معتّماً متخمِّراً أبداً.

وكان النبيّ ﷺ، قد جمع لباذان حين أسلم وأسلم أهل اليمن عُمُل اليمن جميعه، وأمَّره على جميع مخاليفه، فلم يزل عاملاً عليه حتى مات. فلمّا مات باذان، فرَّق رسول الله ﷺ، أمراءه في اليمن، فاستعمل عمرو بن حزم على نجران، وخالد بن سعيد بن العاص على ما بين نجران وزَبيد، وعامر بن شهر على همدان، وعلى صنعاء شهر ابن باذان، وعلى عكّ والأشعريين الطاهر بن أبي هالة، وعلى مأرب أبا موسى، وعلى الجَنَد يعلى بن أميّة، وكان مُعاذ معلِّماً ينتقل في عمالة كلّ عامل باليمن وحضرموت، واستعمل على أعمال حضرموت زياد بن لبيد الأنصاري، وعلى السكاسك والسَّكون عُكّاشة بن ثَوْر، وعلى بني معاوية بن كندة عبد الله أو المهاجر، فاشتكى رسولُ الله ﷺ، فلم يذهب حتى وجَّهه أبو بكر، فمات رسول الله ﷺ، وهؤلاء عمّاله على اليمن وحضرموت.

وكان أوَّل من اعترض الأسود الكاذب شَهْر وفيروز ودازوَيْه، وكان الأسود العنسيّ لما عاد رسول الله ﷺ، من حجّة الوداع وتمرَّض من السفر غير مرض موته بلغه ذلك، فادَّعى النبوَّة، وكان مشعبذاً يُريهم الأعاجيب، فاتَّبعته مَذْحِج، وكانت ردَّة الأسود أوَّل ردَّة في الإسلام على عهد رسول الله ﷺ، وغزا نجران، فأخرج

عنها عمرو بن حَزْم وخالد بن سعيد، ووثب قيس بن عبد يغوث بن مكشوح على فَرْوة بن مُسَيْك، وهو على مُراد، فأجلاه ونزل منزله، وسار الأسود عن نجران إلى صنعاء، وخرج إليه شَهْر بن باذان فلقيه، فقُتل شَهْر لخمس وعشرين ليلة من خروج الأسود، وخرج مُعاذ هارباً حتى لحق بأبي موسى وهو بمأرب، فلحقا بحضرموت، ولحق بفَروة مَن تمَّ على إسلامه من مَذحج.

واستتبَّ للأسود مُلْك اليمن، ولحق أمراء اليمن إلى الطاهر بن أبي هالة إلاّ عَمراً وخالداً، فإنَّهما رجعا إلى المدينة والطاهر بجمال علّ وجبال صنعاء، وغلب الأسود على ما بين مفازة حضرموت إلى الطائف إلى البحرين والإحساء إلى عدن، واستطار أمره كالحريق، وكان معه سبعمائة فارس يوم لقي شهراً سوى الركبان، واستغلظ أمْره، وكان خليفته في مَذحج عمرو بن معدي كرب، وكان خليفته على جنده قيس بن عبد يغوث، وأمر الأبناء إلى فيروز ودازَويْه.

وكان الأسود تزوَّج امرأة شَهْر بن باذان بعد قتله، وهي ابنة عم فيروز. وخاف من بحضرموت من المسلمين أن يبعث إليهم جيشاً، أو يظهر بها كذّاب مثل الأسود، فتزوَّج مُعاذ إلى السَّكون، فعطفوا عليه.

وجاء إليهم وإلى مَنْ باليمن من المسلمين، كتب النبيّ ﷺ، يأمرهم بقتال الأسود، فقام مُعاذ في ذلك وقويت نفوس المسلمين، وكان الذي قدم بكتاب النبيّ ﷺ، وَبرُ بن يُحَنِّس الأزدي، قال جِشْنَس الديلميّ: فجاءتنا كتب النبيّ ﷺ، يأمرنا بقتاله، إمّا مصادمةً أو غيلةً، يعني إليه وإلى فيروز ودازويه، وأن نكاتب مَنْ عنده دين. فعملنا في ذلك، فرأينا أمراً كثيفاً، وكان قد تغير لقيس بن عبد يغوث، فقلنا: إنَّ قيساً يخاف على دمه فهو لأوَّل دعوة، فدعوناه وأبلغناه عن النبيّ ﷺ، فكأنَّما نزلنا عليه من السماء، فأجابنا، وكاتَبْنا الناسَ. فأخبره الشيطان شيئاً من ذلك، فدعا قيساً، فأخبره أنّ شيطانه يأمره بقتله لميله إلى عدوِّه، فحلف قيس: لأنت أعظم في نفسي من أن أحدِّث نفسي بذلك. ثم أتانا، فقال: يا جِشْنس، ويا فيروز، ويا دازوَيه، فأخبرَنا بقول الأسود. فبينا نحن معه يحدِّثنا، إذ أرسل إلينا الأسود فتهدَّدنا، فاعتذرنا إليه ونجونا منه، ولم نكَدْ وهو مرتابٌ بنا ونحن نحذره، فبينا نحن

على ذلك إذ جاءتنا كتب عامر بن شَهْر وذي زُورٍ وذي مُرّان وذي الكَلاع وذي ظلَيْم يبذلون لنا النصر، فكاتبناهم وأمرناهم أن لا يفعلوا شيئاً حتى نُبْرم أمرنا، وإنّما اهتاجوا لذلك حين كاتبهم النبيّ ﷺ، وكتب أيضاً إلى أهل نجران، فأجابوه، وبلغ ذلك الأسود وأحسَّ بالهلاك.

قال: فدخلتُ على آزاد، وهي امرأته التي تزوَّجها بعد مقتل زوجها شهر بن باذان، فدعوتها إلى ما نحن عليه وذكَّرتها قتل زوجها شَهْر، وإهلاك عشيرتها وفضيحة النساء. فأجابت وقالت: والله ما خلق الله شخصاً أبغض إليّ منه، ما يقوم لله على حقّ ولا ينتهي عن محرّم، فأعلموني أمركم أخبركم بوجه الأمر. قال: فخرجتُ وأخبرتُ فيروز وداذوَيه وقيساً. قال: وإذ قد جاء رجل، فدعا قيساً إلى الأسود، فدخل في عشرة من مذحج وهمدان، فلم يقدر على قتله معهم، وقال له: ألم أخبرك الحقّ وتخبرني الكذب؟ إنّه، يعني شيطانه، يقول لي: إلّا تقطع من قيس يده يقطع رقبتك. فقال قيس: إنّه ليس من الحقّ أن أهلكَ وأنت رسول الله، فمرني بما أحببت أو اقتلني، فموتة أهون من موتات. فرقَّ له وتركه، وخرج قيس، فمرَّ بنا وقال: اعملوا عملكم. ولم يقعد عندنا. فخرج علينا الأسودُ في جمع، فقمنا له وبالباب مائة ما بين بقرة وبعير، فنحرها ثمّ خلّاها، ثم قال: أحقّ ما بلغني عنك يا فيروز؟ ـــ وبَوّأ له الحربة ـــ لقد هممت أن أنحرك، فقال: اخترتنا لصهرك وفضّلتنا، فلو لم تكن نبياً لما بعنا نصيبنا منك بشيء، فكيف وقد اجتمع لنا بك أمر الدنيا والآخرة! فقال له: اقسم هذه، فقسمها ولحق به وهو يسمع سعاية رجل بفيروز وهو يقول له: أنا قاتله غداً وأصحابه، ثمّ التفت، فإذا فيروز، فأخبره بقسمتها، ودخل الأسود ورجع فيروز، فأخبرنا الخبر، فأرسلنا إلى قيس فجاءنا، فاجتمعنا على أن أعود إلى المرأة، فأخبرها بعزيمتنا ونأخذ رأيها، فأتيتُها فأخبرتُها، فقالت: هو متحرِّز وليس من القصر شيء إلّا والحرس محيطون به غير هذا البيت، فإن ظهره إلى مكان كذا وكذا، فإذا أمسيتم فانقبوا عليه، فإنّكم من دون الحرس وليس دون قتله شيء، وستجدون فيه سراجاً وسلاحاً.

فتلقاني الأسود خارجاً من بعض منازله، فقال: ما أدخلك عليّ؟ ووجأ رأسي

حتى سقطتُ، وكان شديداً، فصاحت المرأة، فأدهشته، وقالت: جاءني ابن عمّي زائراً ففعلتَ به هذا؟ فتركني، فأتيت أصحابي، فقلتُ: النجاء! الهرب! وأخبرتهم الخبر.

فإنا على ذلك حيارى، إذ جاءنا رسولها يقول: لا تدعنَّ ما فارقتك عليه، فلم أزل به حتى اطمأنَّ، فقلنا لفيروز: إيْتها، فتثبَّتْ منها. ففعل، فلمّا أخبرتْه، قال: ننقب على بيوت مبطَّنة، فدخل فاقتلع البطانة وجلسَ عندها كالزائر، فدخل عليها الأسود، فأخذته غيرة، فأخبرته برضاع وقرابة منها [عنده] محرم، فأخرجه. فلمّا أمسينا عملنا في أمرنا وأعلمنا أشياعنا وعجلنا عن مراسلة الهمدانيّين والحميريّين، فنقبنا البيت ودخلنا، وفيه سراج تحت جفنة، واتَّقينا بفيروز، كان أشدّنا، فقلنا: انظر ماذا ترى! فخرج ونحن بينه وبين الحرس. فلمّا دنا من البيت سمع غطيطاً شديداً والمرأة قاعدة، فلمّا قام على باب البيت أجلسه الشيطان وتكلّم على لسانه، وقال: مالي ولك يا فيروز! فخشي، إن رجع أن يهلك وتهلك المرأة، فعاجله وخالطه وهو مثل الجمل، فأخذ برأسه، فقتله ودقَّ عنقه، ووضع ركبته في ظهره، فدقَّه، ثم قام ليخرج، فأخذت المرأة بثوبه وهي ترى أنَّه لم يقتله، فقال: قد قتلتُه وأرحتك منه، وخرج فأخبرَنا، فدخلنا معه، فخار كما يخور الثور، فقطعت رأسه بالشفرة، وابتدر الحرس المقصورة يقولون: ما هذا؟ فقالت المرأة: النبيّ يوحى إليه! فخمدوا، وقعدنا نأتمر بيننا، فيروز وداذَويْه وقيس، كيف نخبر أشياعنا، فاجتمعنا على النداء. فلمّا طلع الفجر نادَيْنا بشعارنا الذي بينَنا وبين أصحابنا، ففزع المسلمون والكافرون، ثمّ نادَينا بالأذان، فقلتُ أشهدُ أنّ محمّد رسول الله وأنّ عَبْهلة كذّاب! وألقينا إليهم رأسه، وأحاط بنا أصحابه وحرسه، وشنّوا الغارة وأخذوا صبياناً كثيرة وانتهبوا، فنادينا أهل صنعاء مَنْ عنده منهم فأمسكه، ففعلوا. فلمّا خرج أصحابه فقدوا سبعين رجلاً، فراسلونا وراسلناهم على أن يتركوا لنا ما في أيديهم ونترك ما في أيدينا، ففعلنا، ولم يظفروا منّا بشيء وتردّدوا في ما بين صنعاء ونجران. وتراجع أصحاب النبيّ ﷺ إلى أعمالهم، وكان يصلّي بنا مُعاذ بن جبل، وكتبنا إلى رسول الله ﷺ بخبره، وذلك في حياته. . وأتاه الخبر من ليلته، وقدمت

رسلنا، وقد توفّي رسول الله ﷺ، فأجابنا أبو بكر: قال ابن عمر: أتَى الخبر من السماء إلى النبيّ ﷺ، في ليلته التي قُتل فيها؟ فقال: قُتل العنسيّ، قتله رجلٌ مبارك من أهل بيت مباركين، وقيل مَن قتله؟ قال: قتله فيروز.

***

أصحاب أبي أحمد شقيق المعتمد

في ربيع الأول من سنة ثمان وخمسين ومائتين، عقد المعتمد لأخيه أبي أحمد على ديار مصر، وقِنَّسرين، والعواصم، وخلع عليه وعلى مُفلح في ربيع الآخر، وسيَّرهما إلى حرب الزنج بالبصرة، وركب المعتمد معه يشيِّعه، وسار نحو البصرة، ونازل العلويَّ وقاتله.

وكان سبب تسييره ما فعله بالبصرة، وأكبر الناس ذلك، وتجهَّزوا في عدَّة حسنة كاملة، وصحبه من سوقة بغداذ خلق كثير.

وسار يحيى بن محمَّد البَحْرانيُّ إلى نهر العبّاس، ومعه أكثر الزنوج، فبقي صاحبهم في قلَّة من الناس، وأصحابه يغادون البصرة ويراوحونها لنقل ما نالوه منها، فلما نزل عسكر أبي أحمد بنهر معقل، احتفل من فيه من الزنوج إلى صاحبهم مرعوبين، وأخبروه بعظم الجيش وأنَّهم لم يرد عليه مثله، وأحضر رئيسَيْن من أصحابه، فسألهما عن قائد الجيش فلم يعرفاه، فجزع وارتاع.

ثمَّ أرسل إلى عليّ بن أبان يأمره بالمسير إليه فيمن معه، فلمّا كان يوم الأربعاء لاثنيّ عشرة بقيت من جمادي الأولى أتاه بعض قوّاده، فأخبره بمجيء العسكر وتقدُّمهم، وأنَّهم ليس في وجوههم من يردّهم من الزنوج، وكذَّبه، وسبَّه، وأمر فنودي في الزنوج بالخروج إلى الحرب، فخرجوا، فرأوا مُفلحاً قد أتاهم في عسكر لحربهم، فقاتلهم، فبينما مُفلح يقاتلهم إذ أتاه سهم غرب لا يُعرف من رمى به، فأصابه، فرجع وانهزم أصحابه، وقتلوا فيهم قتلاً ذريعاً، وحملوا الرؤوس إلى العلويّ، واقتسم الزنج لحوم القتلى. وأُتي بالأسرى، فسألهم عن قائد الجيش،

فأخبروه أنّه أبو أحمد، ومات مُفلح من ذلك السهم، فلم يلبث العلويُّ إلاّ يسيراً حتّى وافاه عليٌّ بن أبان.

ثم إنَّ أبا أحمد رحل نحو الأبُلَّة ليجمع ما فرَّقته الهزيمة، ثم سار إلى نهر أبي الأسد، ولمّا علم الخبيث كيف قُتل مُفلح، ولم يرَ أحداً يدَّعي قتله، زعم أنّه هو الذي قتله، وكذب فإنّه لم يحضره...

... ثم انحاز أبو أحمد من موضعه إلى واسط؛ وكان سبب ذلك أنّه لمّا سار إلى نهر أبي الأسد كثرت الأمراض في أصحابه، وكثر فيهم الموت، فرجع إلى باذاورد فأقام به، وأمر بتجديد الآلات، وإعطاء الجند أرزاقهم، وعاد إلى عسكر الزنج وأمر جماعة من قوّاده بقصد مواضع سمّاها من نهر أبي الخَصِيب وغيره، وبقي معه جماعة، فمال أكثر الخلق، حين التقى الناس ونشبت الحرب، إلى نهر أبي الخَصِيب، وبقي أبو أحمد في قلّة من أصحابه، فلم يزل عن موضعه خوفاً أن يطمع الزنج.

ولما رأى الزنج قلَّة من معه طمعوا فيه، وكثروا عليه، واشتدت الحرب عنده، وكثر القتل والجراح، وأحرق أصحاب أبي أحمد منازل الزنوج واستنفذوا من النساء جمعاً كثيراً، ثمَّ ألقى الزنج جدّهم نحوه، فلمّا رأى أبو أحمد ذلك علم أن الحزم في المحاجزة، فأمر أصحابه بالرجوع إلى سفنهم على مهل وتؤدَة. واقتطع الزنج طائفة من أصحابه، فقاتلوهم، فقتلوا من الزنج خلقاً كثيراً، ثم قُتلوا جميعهم وحُملت رؤوسهم إلى قائد الزنج، وهي مائة رأس وعشرة أرؤس، فزاد ذلك في عتوّه. ونزل أبو أحمد في عسكره بباذاورد، فأقام يعبىء أصحابه للرجوع إلى الزنج، فوقعت نار في أطراف عسكره، في يوم ريح عاصف، فاحترق كثير منه، فرحل منها إلى واسط، فلمّا نزل واسط تفرَّق عنه عامَّة أصحابه، فسار منها إلى سامّرا، واستخلف على واسط لحرب العلوي، محمَّد بن المولّد.

* * *

أصحاب بابك الخرَّميّ

في سنة عشرين ومائتين عقد المعتصم للأفشين حَيْدر بن كاوس على الجبال، ووجَّهه لحرب بابك فسار إليه.

وكان ابتداء خروج بابك سنة إحدى ومائتين، فكانت مدينته البَذّ، وهزم من جيوش السلطان عدَّة، وقتل من قوّاده جماعة، فلمّا أفضى الأمر إلى المعتصم، وجَّه أبا سعيد محمَّد بن يوسف إلى أردَبيل، وأمره أن يبني الحصون التي أخربها بابك فيما بين زَنْجان وأرْدبيل، ويجعل فيها الرجال تحفظ الطرق لمَنْ يجلب الميرة إلى أردَبيل، فتوجَّه سعيد لذلك وبنى الحصون.

ووجَّه بابك سريّة في بعض غزاته، فأغارت على بعض النواحي ورجعت منصرفة؛ وبلغ ذلك أبا سعيد، فجمع النّاس، وخرج في طلب السريّة، فاعترضها في بعض الطرق، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل أبو سعيد من أصحاب بابك جماعة، وأسر جماعة، واستنقذ ما كانوا أخذوه، وسيَّر الرؤوس والأسرى إلى المعتصم، فكانت هذه أوَّل هزيمة على أصحاب بابك.

ثمَّ كانت الأخرى لمحمَّد بن البُعَيْث، وذلك أنَّ محمَّداً، كان في قلعة له حصينة تُسمّى الشاهي، كان ابن البُعَيْث قد أخذها من ابن الروّاد، وهي من كورة أذرْبيجان، وله حصن آخر من أذربيجان يسمّى تبريز، وكان مصالحاً لبابك، تنزل سراياته عنده، فيضيّفهم حتى أنسوا به، ثمَّ أنَّ بابك وجَّه قائداً اسمه عصمة، من أصبَهْبَذيَّته في سريَّة، فنزل بابن البُعيث، فأنزل له الضيافة على عادتها، واستدعاه له في خاصَّته ووجوه أصحابه، فصعد فغذّاهم، وسقاهم الخمر حتى سكروا، ثمَّ وثب على عصمة، فاستوثق منه، وقتل من كان معه من أصحابه، وأمره أن يسمّي رجلاً من أصحابه، فكان يدعو الرجل باسمه، فيصعده فيضرب عنقه، حتى علموا بذلك فهربوا. وسيَّر عصمة إلى المعتصم، فسأل المعتصم عصمة عن بلاد بابك، فأعلمه طرقه ووجوه القتال فيها، ثمَّ ترك عصمة محبوساً، فبقي إلى أيّام الواثق.

* * *

أصحاب الحسين بن إبراهيم

... وجاء نفرٌ من الأتراك إلى باب الشَّمّاسيَّة، ومعهم كتاب من المعتزّ إلى محمَّد بن عبد الله، فاستأذنه أصحابه في أخذه، فأذن لهم، فإذا فيه تذكير محمَّد بما يجب عليه من حفظ العهد القديم، وأن الواجب كان عليه أن يكون أوَّل من يسعى في أمره ويؤكِّد خلافته. فما ردّ عليه محمَّد جواب الكتاب، وكانت وقعة بينهم لسبع خلون من ربيع الآخر، قُتل من الأتراك سبع مائة ومن أصحاب محمَّد ثلاثمائة.

ثم أمر محمَّد بن عبد الله أبا الساج بالمسير إلى المدائن وأمدَّه بثلاثة آلاف فارس وألفي راجل. ثمَّ سيَّر نجوبةَ بن قيس إلى الأنبار فأقام بها، وجمع بها نحواً من ألفَيْ رجل، وأمدَّه محمَّد بن عبد الله بألف وخمس مائة، وشقَّ الماء من الفرات إلى خندقها، ففاض على الصحاري، فصار بطيحة واحدة، وقطع القناطر، وسيَّر المعتزّ جنداً مع عليّ الأسحاقيّ نحو الأنبار، فوصلوا ساعة وصلها مدد محمَّد وقد نزلوا ظاهرها، فاقتتلوا أشدَّ قتال، فانهزم مدد محمَّد بن عبد الله، ورجعوا في الطريق الذي جاؤوا فيه إلى بغداذ.

وكان نجوبةُ بالأنبار لم يخرج منها، فلمّا بلغه هزيمة مدده، ومسير الأتراك إليه، عبر إلى الجانب الغربيّ، وقطع الجسر وسار نحو بغداذ، فاختار محمَّد بن عبد الله إنفاذ الحسين بن إسماعيل بن إبراهيم إلى الأنبار في جماعة من القوّاد والجند، فجهَّزهم، وأخرج لهم رزق أربعة أشهر، وخرج الجند، وعرضهم الحسين، وسار عن بغداذ يومَ الخميس لسبع بقين من جمادي الأولى وتبعه الناس، والقوّاد، وبنو هاشم إلى الياسريَّة. وكان أهل الأنبار لمّا دخلها الأتراك قد أمَّنوهم، ففتحوا دكاكينهم وأسواقهم، ووافاهم سفن من الرَّقَّة تحمل الدقيقَ والزيتَ وغير ذلك، فانتهبها الأتراك وحملوها إلى منازلهم بسامّرا، ووجَّهوا بالأسرى وبالرؤوس معها.

وسار الحسين حتى نزل دِمَمّا، ووافته طلائع الأتراك فوق دِمَمّا، فصفَّ أصحابه مقابل الأتراك، بينهما نهر، وكان عسكره عشرة آلاف رجل، وكان الأتراك زهاء ألف رجل، فتراموا بالسهام، فجرح بينهم عدد، وعاد الأتراك إلى الأنبار.

وتقدَّم الحسين فنزل بمكان يُعرف بالقطيعة، واسع يحمل العسكر، فأقام فيه يومه، ثم عزم على الرحيل إلى قرب الأنبار. فلمّا بلغ المكان الذي يريد النزول به أمر الناسَ بالنزول، فأتت الأتراكَ جواسيسُهم، وأعلموهم بمسيره، فأتاهم الأتراكُ والناس يحطّون أثقالهم، فثار أهل العسكر وقاتلوهم فقُتل بينهم قتلى من الفريقَيْن، وحمل أصحاب الحسين عليهم فكشفوهم، وقتلوا منهم مقتلةً عظيمة، وغرق منهم خلق كثير، وكان الأتراك قد كمَّنوا لهم كميناً، فخرج الكمين على بقيَّة العسكر، فلم يكن لهم ملجأ إلاَّ الفرات، وغرق من أصحابه خلق كثير، وقُتل جماعة وأُسر جماعة.

وأمّا الفرسان فهربوا لا يلوون على شيء، والقوّاد ينادونهم: الرجْعة، فلم يرجع أحد، فخافوا على نفوسهم، فرجعوا يحمون أصحابهم، وأخذ الأتراك عسكر الحسين بما فيه من الأموال والخِلَع التي كانت معه، وسَلِم ما كان معه من سلاح في السُّفن، لأنَّ الملاّحين حذروا السفن، فسلم ما معهم من سلاح وغير ذلك، ووصل المنهزمون إلى الياسريَّة لستّ خلون من جمادي الآخرة.

ولمّا اتَّصل خبر الهزيمة بمحمَّد بن عبد الله بن طاهر منع المنهزمين من دخول بغداذ، وناد: من وجدناه ببغداذ من عسكر الحسين، بعد ثلاثة أيّام، ضُرب ثلاثمائة سوط، وأسقط من الديوان؛ فخرج الناس إلى الحسين بالياسريَّة. وأمر عبد الله بعض الناس ليعلم من قُتل، ومن غرق، ومن سلم. ففعلوا ذلك.

وأتاهم كتاب بعض عيونهم من الأنبار يخبرهم أنَّ القتلى كانت من الترك أكثر من مائتين، والجرحى نحو أربعمائة، وأن جميع من أسره الأتراك مائتان وعشرون رجلاً، وأنَّه عدَّ رؤوس القتلى فكانت سبعين رأساً. . .

* * *

أصحاب لذريق بالأندلس

في سنة إحدى وخمسين ومائتين سيَّر محمَّد بن عبد الرحمن الأمويُّ، صاحب الأندلس، جيشاً مع ابنه المنذر إلى بلاد المشركين في جمادي الآخرة،

فساروا، وقصدوا الملاّحة. وكانت أموال لُذْريق بناحية ألْبَة والقلاع، فلمّا عمَّ المسلمون بلدهم بالخراب والنهب، جمع لُذْريق عساكره، وسار يريدهم، فاكتفوا بموضع يقال له فج المركوين، وبه تُعرف هذه الغزاة، فاقتتلوا، فانهزم المشركون، إلاَّ أنَّهم لم يبعدوا، واجتمعوا بهضبة بالقرب من موضع المعركة، فتبعهم المسلمون، وحملوا عليهم، واشتدَّ القتال، فولَّى الفرنج منهزمين لا يلوون على شيء. وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون.

وكانت هذه الوقعة ثاني عشر رجب، وكان عدد ما أُخذ من رؤوس المشركين ألفين وأربع مائة واثنين وتسعين رأساً، وكان فتحاً عظيماً وعاد المسلمون.

* * *

أصحاب محمَّد بن عبد الله

في سنة إحدى وخمسين ومائتين بويع للمعتزّ بالله؛ وكان سبب البيعة له أنَّه لمّا استقرَّ المستعين ببغداذ أتاه جماعة من قوّاد الأتراك المِشْغَبِين، فدخلوا عليه، وألقوا أنفسهم بين يديه، وجعلوا مناطقهم في أعناقهم تذلُّلاً وخضوعاً، وسألوه الصفح عنهم والرضا. . . ثم إنَّ المعتزّ عقد لأخيه أبي أحمد بن المتوكّل، وهو الموفَّق، على حرب المستعين، ومحمَّد بن عبد الله، وولاَّه ذلك، وضمَّ إليه الجيش، وجعل إليه الأمور كلّها، وجعل التدبير إلى كلباتكين التركيّ، فسار في خمسين ألفاً من الأتراك والفراغنة، وألفين من المغاربة. ووصل أبو أحمد وعسكره باب الشمّاسيَّة لسبع خلون من صفر، فقال بعض البصريّين:

يا بني طاهرٍ أتتكمْ جُنودُ الـ ـلَّهِ والموتُ بينها مشهورُ
وجيوشٌ إمامُهم أبو أحْـ ـمَدَ نِعْمَ المَولَى ونِعمَ النَّصيرُ

ولمّا نزل أبو أحمد بباب الشَّمّاسيَّة ولّى المستعين باب الشَّمّاسيَّة الحسين بن إسماعيل وجعل مَنْ هناك مِن القوّاد تحت يده، فلم يزل هناك مدّة الحرب إلى أن ساروا إلى الأنبار، فلمّا كان عاشر صفر وافت طلائع الأتراك إلى باب الشَّمّاسيَّة، فوقفوا بالقرب منه، فوجَّه محمَّد بن عبيد الله الحسينَ بن إسماعيل، وعزم على

الـركوب لقتـالهم وتوجيـه الجيوش إلى القُفْص ليعـرضهم هنـاك وليـرهب الأتـراك، وركب ومعـه وصيف وبُغا في الـدروع، ومضى معه الفقهـاء والقضـاة، وبعث إليهم يدعوهم إلى الرجوع عمّا هم عليه من الـطغيان والعصيـان، ويبذل لهم الأمـان على أن يكون المعتزّ وليّ العهد بعد المستعين، فلم يجيبوا، ومضى نحو بـاب قُطْرَبُّـل، فنـزل على شـاطىء دجلة هــو ووصيف وبُغـا، ولـم يمكنـه التقـدُّم لكثـرة النـاس فانصرف. وقـدم عُبيد الله بن سليمـان خليفة وصيف التـركي من مكّة في ثـلاثمائـة رجل، فخلع عليه محمَّد بن عبد الله، ووافى الأتراكُ في هذا اليوم باب الشَّمّـاسيَّة، فخـرج الحسين بن إسماعيـل ومن معـه من القـوّاد لمحـاربتهم، فـاقتتلوا وقتـل من الفريقَيْن، وجُرح، وكانوا في القتلى والجرحى على السواء، وانهزم أهل بغداذ.

ثم سـار جماعـة من الأتراك إلى نـاحية النَّهـروان، فوجّـه محمَّـد بن عبـد الله قائدَيْن من أصحابه في جماعة وأمرهما بالمُقام بتلك الناحية، وحفظها من الأتـراك، فسار إليهم الأتراك، فقاتلوهـم، فانهزم أصحاب محمَّد إلى بغداذ، وأُخذتْ دوابّهم، فـدخلوا بغداذ منهـزمين، ووجّه الأتـراك برؤوس القتلى إلى سـامّرا، واستـولوا على طريق خراسان، وانقطع الطريق عن بغداذ.

ووجَّه المعتزّ عسكراً في الجانب الغربـيّ فساروا إلى بغـداذ وجازوا قُـطْرَبُّل، فضربوا عسكرهم هناك، وذلك لاثنيّ عشرة خلت من صفر؛ فلمّا كان من الغد وجَّه محمَّد بن عبد الله عسكراً إليهم، فلقيهم الشاه بن ميكال، فتحاربـوا فانهـزم أصحاب المعتزّ، خرج عليهم كمين لمحمَّـد بن عبد الله، فـانهزمـوا ووضع أصحـاب محمَّد فيهم السيـف، فقتلوهم أكثـر قتـل، ولـم يفلت منهم إلاَّ القليــل، ونُهب عسكـرهم جميعـه، ومن سلم من القتل ألقى نفسـه في دجلة في عسكر أبـي أحمـد، فـأخـذه أصحاب السُّفن وحملوا الأسرى والرؤوس في الزواريق، فنُصب بعضها ببغداذ.

ثم كـانت للأتـراك وقعة ببـاب الشَّمّاسيَّة، فقاتلوا عليـه قتالاً شـديـداً، حتّى كشفوا من عليه ورمَـوا به المِنجَنيق بـالنار والنِّفط، فلم يحـرقه، ثمَّ كثـر الجند على الباب، فأزالهم عن موقفهم بعد قتلى وجرحى؛ ووجَّه محمَّـد بن عبد الله القـرّادات في السفن فرموهم بها رمياً شديداً، فقتلوا منهم نحو مائة؛ وكان بعض المقـاربة قـد

صار إلى السور، فرمى بكلّاب، فتعلّق به، فأخذه الموَكّلون بالسور ورفعوه فقتلوه وألقوا رأسه إلى الأتراك، فرجعوا إلى معسكرهم.

ووجّه المعتزّ عسكراً يبلغون ثلاثة آلاف، فعسكروا بإزاء عسكر أبي أحمد بباب قُطْرَبُّل، وركب محمَّد بن عبد الله في عسكره، وخرج من النظّارة خلق كثير، فحاذى عسكر أبي أحمد، فكانت بينهم في الماء جولة وقتل من أصحاب أبي أحمد أكثر من خمسين رجلاً.

ولإحدى عشرة خلت من ربيع الأوّل وصل عسكر المعتزّ الذي سيّره إلى مقابل عسكر أخيه أبي أحمد عند عُكْبَرا، فأخرج إليهم ابن طاهر عسكراً، فمضوا حتّى بلغوا قُطْرَبُّل، وبها كمين الأتراك، فأوقع بهم، ونشبت الحرب بينهم، وقتل بينهم جماعة، واندفع أصحاب محمَّد قليلاً إلى باب قُطْرَبُّل، والأتراك معهم، فخرج الناس إليهم، فدفعوا الأتراك حتّى نحّوهم، ثم رجعوا إلى أهل بغداذ فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وقُتل من الأتراك أيضاً خلق كثير، ثمَّ تقدَّم الأتراك إلى باب القطيعة، فنقبوا السُّور، فقتل أهل بغداذ أوَّل خارج منه، وكان القتل ذلك اليوم أكثره في الأتراك، والجراح والسهام في أهل بغداذ.

وندب عبد الله بن عبد الله بن طاهر الناس، فخرجوا معه، وأمر الموكّل بباب قُطْرَبُّل ألَّا يدع منهزماً يدخله، ونشبت الحرب، فانهزم أصحاب عبد الله، وثبت أسد بن داود حتى قُتل، وكان إغلاق الباب على المنهزمين أشدّ من الأتراك، فأخذوا منهم الأسرى، وقتلوا فأكثروا، وحملوا الأسرى، فلمّا رآهم أهل سامّرا بكوا وضجّوا، وارتفعت أصواتهم، وأصوات نسائهم، فبلغ ذلك المعتزّ، فكره أن تغلظ قلوب الناس عليه، فأمر لكلّ أسير بدينار، وأمر بالرؤوس فدفنت.

* * *

أصحاب المخارق

من أحداث سنة اثنتين وثلاثين ومائة، أن قَحْطبة أرسل أبا عَوْن عبد الملك بن يزيد الأزديّ إلى شَهْرزور، وأنَّه قتل عثمان بن سفيان وأقام بناحية الموصل، وأنَّ

مروان بن محمَّد سار إليه من حرّان حتى بلغ الزاب وحفر خندقاً وكان في عشرين ومائة ألف، وسار أبو عَوْن إلى الزاب، فوجَّه أبو سَلِمة إلى أبي عَوْن عُيَيْنَةَ بن موسى، والمِنْهَالَ بن فتّان، وإسحاقَ بن طلحة، كلّ واحد في ثلاثة آلاف.

فلمّا ظهر أبو العبّاس بعث سلمة بن محمَّد في ألفَيْن، وعبد الله الطائيّ في ألف وخمسمائة، وعبد الحميد بن رِبعِيّ الطائيّ في ألفَيْن، ووداس بن نَصْلة في خمسمائة إلى أبي عَوْن، ثمَّ قال: مَنْ يسير إلى مروان من أهل بيتي؟ فقال عبد الله بن عليّ: أنا. فسيَّره إلى أبي عَوْن، فقدم عليه، فتحوَّل أبو عون عن سرادقه وخلّاه له وما فيه.

فلمّا كان لليلتَيْن خلتا من جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة سأل عبدُ الله بن علي عن مخاضة فدُلَّ عليها بالزَّاب، فأمر عُيَيْنَةَ بن موسى، فعبر في خمسة آلاف، فانتهى إلى عسكر مروان، فقاتلهم حتّى أمسوا، ورجع إلى عبد الله بن علي.

وأصبح مروان فقصد الجسر وعبر عليه، فنهاه وزراؤه عن ذلك، فلم يقبل وسيَّر ابنَه عبد الله، فنزل أسفل من عسكر عبد الله بن عليّ، فبعث عبدُ الله بن عليّ المخارقَ في أربعة آلاف نحو عبد الله بن مروان، فسرَّح إليه ابنُ مروان الوليدَ بن معاوية بن مروان بن الحكم، فالتقيا، فانهزم أصحابُ المخارق وثبت هو فأُسر هو وجماعة وسيَّرهم إلى مروان مع رؤوس القتلى، فقال مروان: أدخلوا عليَّ رجلاً من الأسرى. فأتوه بالمخارق، وكان نحيفاً. فقال: أنت المخارق؟ قال: لا، أنا عبد من عبيد أهل العسكر. قال: فتعرف المخارق؟ قال: نعم. قال: فانظره هل تراه في هذه الرؤوس. فنظر إلى رأس منها، فقال: هو هذا. فخلّى سبيله، فقال رجل مع مروان حين نظر المخارق وهو لا يعرفه: لعن الله أبا مسلم حين جاءنا بهؤلاء يقاتلنا بهم. وقيل: إن المخارق لمّا نظر إلى الرؤوس قال: ما أرى رأسه فيها ولا أراه إلاَّ قد ذهب. فخلّى سبيله.

* * *

أعْـيَـن

في سنة خمس وسبعين خرج الحجّاج من الكوفة إلى البصرة واستخلف على الكوفة عُرْوَةَ بن المُغيرة بن شُعْبَة، فلمّا قدم البصرة خطبهم بمثل خطبته بالكوفة وتوعّد مَنْ رآه منهم بعد ثلاثة ولم يلحق بالمهلّب الذي بعثه بِشر إلى الخوارج. ثمّ سار الحجّاج إلى رُسْتَقباذ وبينها وبين المهلّب ثمانية عشر فرسخاً، وإنما أراد أن يَشدّ ظهر المهلّب وأصحابه بمكانه، فقام برَسْتَقباذ خطيباً حين نزلها فقال: يا أهل المصرَيْن! هذا المكان والله مكانكم شهراً بعد شهر وسنةً بعد سنة حتى يُهْلك الله عدوّكم هؤلاء الخوارج المطلّين عليكم. ثم أنه خطب يوماً فقال: إن هذه الزيادة التي زادكم إيّاها ابنُ الزُّبير إنَّما هي زيادة مخسرة باطلة من ملحد فاسق منافق ولسنا نُجيزها! وكان مصعب قد زاد الناس في العطاء مائة مائة.

فقال عبد الله بن الجارود: إنها ليست بزيادة ابن الزبير إنَّما هي زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أنفذها وأجازها على أخيه بِشْر. فقال له الحجّاج: ما أنت والكلام! لتحسننَّ حمل رأسك أو لأسلبنَّك إيّاه! ثم إن وجوه القوم أتت عبد الله بن الجارود وصوَّبت رأيه وقوله وقال أحدهم: نحن معك وأعوانك، إن هذا الرجل غير كافٍ حتى ينقصنا هذه الزيادة. فهلمّ نبايعك على إخراجه من العراق ثم نكتب إلى عبد الملك نسأله أن يوليّ علينا غيره، فإن أبَى خلعناه، فإنه هائب لنا ما دامت الخوارج. فبايعه الناس سرّاً وأعطوه المواثيق على الوفاء وأخذ بعضهم على بعضهم العهود.

وبلغ الحجّاجَ ما هم فيه فأحرز بيتَ المال واحتاط فيه. فلمّا تمَّ لهم أمرهم أظهروه، وذلك في ربيع الآخر سنة ستّ وسبعين وأخرج عبدُ الله بن الجارود عبدَ القيس على راياتهم، وخرج الناسُ معه حتى بقي الحجّاج وليس معه إلاَّ خاصَّته وأهلُ بيته، فخرجوا قبل الظهر، وقطع ابن الجارود ومن معه الجسرَ، وكانت خزائن الحجّاج والسلاح من ورائه. فأرسل الحجّاج أعْيَنَ، صاحب حمّام أعْيَن بالكوفة، إلى ابن الجارود يستدعيه إليه، فقال ابنُ الجارود: ومَنِ الأمير! لا ولا كرامة لابن أبي رغال! ولكن ليخرجْ عنّا مذموماً مدحوراً وإلاَّ قاتلناه! فقال أعين:

فإنّه يقول لك أتطيب نفساً بقتلك وقتل أهل بيتك وعشيرتك؟ والذي نفسي بيده لئن لم يأتني لأدعنّ قومك عامّة وأهلك خاصّة حديثاً للغابرين. وكان الحجّاج قد حمّل أعين هذه الرسالة. فقال ابن الجارود: لولا أنّك رسولٌ لقتلتك يا ابن الخبيثة! وأمر فوُجىء في عنقه وأُخرج.

* * *

أميَّة بن معاوية بن هشام

في سنة تسع وعشرين ومائة بايع الخوارج شيبان بن عبد العزيز أبو الدُّلَف اليشكري بعد قتل الخيبري. فأقام يقاتل مروان، وتفرّق عن شيبان كثير من أصحاب الطمع، فبقي في نحو أربعين ألفاً، فأشار عليهم سليمان بن هشام أن ينصرفوا إلى الموصل فيجعلوها ظهرهم، فارتحلوا وتبعهم مروان حتى انتهوا إلى الموصل، فعسكروا شرقي دجلة وعقدوا جسوراً عليها من عسكرهم إلى المدينة، فكانت ميرتهم ومرافقهم منها، وخندق مروان بإزائهم، وكان الخوارج قد نزلوا بالكار ومروان بخُصَّة، وكان أهل الموصل يقاتلون مع الخوارج، فأقام مروان ستة أشهر يقاتلهم وقيل تسعة أشهر.

وأُتي مروان بابن أخ لسليمان بن هشام يقال له أميَّة بن معاوية بن هشام، وكان مع عمّه سليمان في عسكر شيبان أسيراً، فقطع يديه وضرب عنقه، وعمّه ينظر إليه.

* * *

أهل طليطلة

في سنة تسع عشرة ومائتين سيَّر عبد الرحمن بن الحَكَم الأمويُّ، صاحب الأندلس، جيشاً مع أميَّة بن الحَكَم إلى مدينة طُلَيْطَلة، فحصرها، وكانوا قد خالفوا الحكَم، وخرجوا عن الطاعة، واشتد في حصرهم، وقطع أشجارهم، وأهلك زروعهم، فلم يذعنوا إلى الطاعة، فرحل عنهم، وأنزل بقلعة رَبَاح جيشاً عليهم مَيْسَرة، المعروف بفتى أبي أيّوب، فلمّا أبعدوا منه خرج جمع كثير من أهل

طليطلة، لعلَّهم يجدون فرصة وغفلة من ميسرة فينالوا منه ومن أصحابه غرضاً، وكان ميسرة قد بلغه الخبر، فجعل الكمين في مواضع، فلمّا وصل أهل طليطلة إلى قلعة رَبَاح، للغارة، خرج الكمين عليهم من جوانبهم، ووضعوا السيف فيهم، وأكثروا القتل، وعاد مَنْ سلم منهم منهزماً إلى طليطلة، وجُمعت رؤوس القتلى، وحملت إلى ميسرة، فلمّا رأى كثرتها عظمتْ عليه، وارتاع لذلك، ووجد في نفسه غمّاً شديداً، فمات بعد أيام يسيرة.

* * *

أهل طُلَيْطُلة

في سنة ثلاث وأربعين ومائتين سار المتوكل إلى دمشق في ذي القعدة على طريق الموصل، فضحّى بِبَلَد، فقال يزيد بن محمد المهلّبيُّ:

أظنُّ الشام تشمَتُ بالعِراقِ ... إذا عَزَمَ الإمامُ على انطلاقِ
فإنْ يَدَعِ العِراقَ وساكنيهِ ... فقد تُبلى المليحةُ بالطلاقِ

وفيها خرج أهل طُليطُلة إلى طَلَبيرةَ وعليها مسعود بن عبد الله العريف، فخرج إليهم فيمن معه من الجنود، فلقيهم، فقاتلهم، فانهزم أهل طُليطُلة وقتل أكثرهم وحمل إلى قُرطُبة سبع مائة رأس.

* * *

بجكم

في سنة ثمانٍ وعشرين وثلاثمائة، سار أبو علي بن محتاج في جيش خُراسان من نيسابور إلى جُرجان، وكان بجُرجان ماكان بن كالي، قد خلع طاعة الأمير نصر بن أحمد، فوجدهم أبو علي قد غوَّروا المياه، فعدل عن الطريق إلى غيره، فلم يشعروا به، حتى نزل على فرسخ من جُرجان، فحصر ماكان بها، وضيّق عليه، وقطع المسيرة عن البلد، فاستأمن إليه كثير من أصحاب ماكان، وضاق الحال بمن بقي بجرجان، حتّى صار الرجل يقتصر كلّ يوم على حفنة سِمسِم، أو كيلة من كُسْب، أو باقة بقل.

واستمدَّ ماكان من وشكمير، وهو بالريّ، فأمدَّه بقائد من قوّاده يقال له شيرح بن النُّعمان، فلمّا وصل إلى جُرجان ورأى الحال شرع في الصلح بين أبي عليّ وبين ماكان بن كالي ليجعل له طريقاً ينجو فيه، ففعل أبو عليّ ذلك، وهرب ماكان إلى طبرستان وأقام بها، وأقام أبو عليّ بجُرجان يُصلح أمرها، ثمّ استخلف عليها إبراهيم بن سيمجور الدواتي وسار نحو الريّ في المحرَّم من سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، فوصلها في ربيع الأوّل، وبها وشكمير بن زيار، أخو مرداويج.

وكان عماد الدولة وركن الدولة ابنا بويه يكاتبان أبا عليّ، ويحثّانه على قصد وشكمير، ويعدانه المساعدة، وكان قصدهما أن تؤخذ الرَّيّ من وشكمير، فإذا أخذها أبو عليّ لا يمكنه المقام بها لِسعة ولايته بخراسان، فيغلبان عليها.

وبلغ أمر اتِّفاقهم إلى وشكمير. وكاتب ماكان بن كالي يستخدمه ويعرِّفه الحال، فسار ماكان بن كالي من طبرستان إلى الريّ، وسار أبو عليّ وأتاه عسكر من ركن الدولة بن بويه، فاجتمعوا بإسحاقاذ، والتقوا هم ووشكمير، ووقف ماكان بن كالي في القلب وباشر الحرب بنفسه، وعبَّأ أبو عليّ أصحابه كراديس، وأمر مَن بإزاء القلب أن يُلحّوا عليهم في القتال، ثمّ يتطاردوا لهم ويستجرّوهم، ثمّ وصّى من بإزاء الميمنة والميسرة أن يناوشوهم مناوشة بمقدار ما يشغلوهم عن مساعدة مَن في القلب، ولا يناجزوهم، ففعلوا ذلك.

وألحَّ أصحابه على قلب وشكمير بالحرب، ثمّ تطاردوا لهم، فطمع فيهم ماكان ومَن معه، فتبعوهم، وفارقوا مواقفهم، فحينئذٍ أمر أبو عليّ الكراديس التي بإزاء الميمنة والميسرة أن يتقدَّم بعضهم، ويأتي من في قلب وشكمير من ورائهم، ففعلوا ذلك، فلمّا رأى أبو عليّ أصحابه قد أقبلوا من وراء ماكان، ومن معه من أصحابه، أمر المتطاردين بالعود والحملة على ماكان وأصحابه، وكانت نفوسهم قد قويت بأصحابهم، فرجعوا وحملوا على أولئك، وأخذهم السيف من بين أيديهم ومن خلفهم، فولّوا منهزمين.

فلمّا رأى ماكان ذلك ترجّل، وأبلى بلاءً حسناً، وظهرت منه شجاعة لم يرَ الناس مثلها، فأتاه سهم غرب، فوقع في جبينه، فنفذ في الخوذة والرأس حتى طلع من قفاه، وسقط ميتاً، وهرب وشكمير ومَن سلم معه إلى طبرستان، فأقام بها، واستولى أبو عليّ على الريّ، وأنفذ رأس ماكان إلى بخارى والسهم فيه، ولم يُحمل إلى بغداذ حتّى قتل بجكم، لأن بجكم كان من أصحابه، وجلس للعزاء لمّا قُتل، فلمّا قتل بجكم حُمل الرأس من بخارى إلى بغداذ والسهم فيه وفي الخوذة، وأنفذ أبو علي الأسرى إلى بخارى أيضاً، وكانوا بها حتى دخل وشكمير في طاعة آل سامان، وسار إلى خراسان، فاستوهبهم، فأطلقوا له. . .

* * *

بدر غلام المعتضد

في سنة تسع وثمانين ومائتين، قُتل بدر غلام المعتضد؛ وكان سبب ذلك أنّ القاسم الوزير كان قد همَّ بنقل الخلافة عن ولد المعتضد بعده، فقال لبدر في ذلك في حياة المعتضد بعد أن استخلفه واستكتمه، فقال بدر: ما كنتُ لأُصرِّفها عن ولد مولاي ووليّ نعمتي؛ فلم يمكنه مخالفة بدر، إذ كان صاحب الجيش، وحقدها على بدر، فلمّا مات المعتضد كان بدر بفارس، فعقد القاسم البَيعة للمكتفي، وهو بالرقّة.

وكان المكتفي أيضاً مباعداً لبدر في حياة أبيه، وعمل القاسم في هلاك بدر خوفاً على نفسه أن يذكر ماكان منه للمكتفي، فوجَّه المكتفي محمّد بن كشتمر برسائل إلى القوّاد الذين مع بدر يأمرهم بالمسير إليه ومفارقة بدر، ففارقه جماعة منهم: العبّاس بن عمرو الغنويُّ، ومحمّد بن إسحاق بن كنداج، وخاقان المُفلحيُّ وغيرهم، فأحسن إليهم المكتفي، وسار بدر إلى واسط، فوكّل المكتفي بداره، وقبض على أصحابه وقوّاده وحبسهم، وأمر بمحو اسم بدر من التراس والأعلام، وسيَّر الحسينَ بن عليّ كورة في جيش إلى واسط.

وأرسل إلى بدر يعرض عليه أيّ النواحي شاء، فأبى ذلك، وقال: لا بدَّ لي

من المسير إلى باب مولاي؛ فوجد القاسم مساغاً للقول، وخوَّف المكتفي غائلته، ويلع بدراً ما فعل بأهله وأصحابه، وأرسل من يأتيه بولده هلال سرّاً، فعلم الوزير بذلك، فاحتاط عليه، ودعا أبا حازم، قاضي الشرقيّة، وأمره بالمسير إلى بدر، وتطييب نفسه عن المكتفي، وإعطائه الأمان عنه لنفسه وولده وماله، فقال أبو حازم: أحتاج إلى سماع ذلك من أمير المؤنين؛ فصرفه ودعا أبا عُمر القاضي، وأمره بمثل ذلك، فأجابه، وسار ومعه كتاب الأمان، فسار بدر عن واسط إلى بغداذ، فأرسل إليه الوزير مَنْ قتله، فلمّا أيقن بالقتل سأل أن يُمْهَل حتّى يصلّي ركعتَيْن، فصلاّهما، ثم ضُربت عُنقه يوم الجمعة لستّ خلون من شهر رمضان، ثم أُخذ رأسه، وتُركت جثته هنالك، فوجَّه عياله مَنْ أخذها سرّاً وجعلوها في تابوت، فلمّا كان وقت الحجّ حملوها إلى مكّة، فدفنوها بها، وكان أوصى بذلك وأعتق قبل أن يُقتل كلّ مملوك كان له.

* * *

بشر بن شميط

في سنة ست وستين، وثب المختار بمن بالكوفة من قَتَلة الحسين.

وكان سبب ذلك، أنّ مروان بن الحكَم لمّا استوثق له الشام، بعثَ جَيشَين: أحدهما إلى الحجاز، والآخر إلى العراق مع عبيد الله بن زياد لمقاتلة التوّابين، وأمره أن ينهب الكوفة ثلاثاً، فاحتبس بالجزيرة، وبها قَيس عَيْلان مع زُفَر بن الحارث على طاعة ابن الزبير، فلم يزل عبيد الله بن زياد مشتغلاً بهم عن العراق نحو سنة.

فتوفّي مروان ووليَ بعده ابنُه عبد الملك بن مروان، فأقرَّ ابنَ زياد على ما كان أبوه ولاّه وأمره بالجدّ في أمره.

فلمّا لم يمكنه في زُفَر ومَنْ معه من قيس شيء أقبل إلى الموصل، فكتب عبد الرحمن بن سعيد عامل المختار إلى المختار يُخْبره بدخول ابن زياد أرضَ الموصل وأنّه قد تنحّى له عن الموصل إلى تَكْريت، فدعا المختارُ يزيدَ بن أنَس

الأسديَّ وأمرَه أن يسير إلى الموصل، فينزل بأداني أرضها حتّى يمدَّه بالجنود، وسار معه المختار والناس يشيّعونه، ودعوا له، فقال لهم: اسألوا الله لي بالشهادة، فوالله لئن فاتني النصر، لا تفوتني الشهادة.

فكتب المختار إلى عبد الرحمن بن سعيد أن خلِّ بين يزيد وبين البلاد. فسار يزيدُ إلى المدائن، ثم سار إلى أرض الموصل وبلغ خبرُه ابنَ زياد، فقال: لأبعثنَّ إلى كلِّ ألف ألفَين. واقتتل الناس عند فَلَق الصبح يوم عَرَفة، واشتدَّ قتالهم إلى ارتفاع الضحى، فانهزم أهل الشام وأُخذ عسكرهم، ثم نزل يزيد بباتلي وعادوا إلى القتال وحوى أهل الكوفة عسكرهم، وقتلوا فيهم قتلاً ذريعاً وأسروا منهم ثلاثمائة أسير، وأمر يزيد بن أنس بقتلهم، وهو بآخر رمق، فقُتلوا، ثم مات آخر النهار، فدفنه أصحابه وسُقط في أيديهم.

وكان قد استخلف ورقاءَ بن عازب الأسديَّ، فصلّى عليه، ثمّ قال لأصحابه: ماذا ترون؟ إنّه قد بلغني أنّ ابن زياد قد أقبل إليكم في ثمانين ألفاً، وإنّما أنا رجل منكم، فأشيروا عليّ، فإني لا أرى لنا بأهل الشام طاقة على هذه الحال، وقد هلك يزيد وتفرق عنّا بعضُ مَن معنا، فلو انصرفنا اليوم من تلقاء أنفسنا لقالوا: إنّما رجعنا عنهم لموت أميرنا ولم يزالوا لنا هائبين، وإن لقيناهم اليوم كنّا مخاطرين، فإن هزمونا اليوم لم تنفعنا هزيمتنا إيّاهم بالأمس. فقالوا: نِعْمَ ما رأيتَ، فانصرفوا.

فبلغ ذلك المختارَ وأهلَ الكوفة، فأرجفَ الناسُ بالمختار وقالوا: إنّ يزيد قُتل، ولم يصدِّقوا أنّه مات. فدعا المختارُ إبراهيمَ بن الأشتر وأمَره على سبعة آلاف وقال له: سِرْ، فإذا لقيتَ جيشَ يزيد بن أنَس، فأنت الأميرُ عليهم، فارددهم معك حتى تلقى ابن زياد وأصحابه فتناجزَهم. فخرج إبراهيم، فعسكر بحمّام أعين وسار، فلمّا سار اجتمع أشرافُ الكوفة عند شَبث بن رِبْعيّ، وقالوا: والله إنّ المختار تأمّر علينا بغير رضىً منّا، ولقد أدنى موالِيَنا، فحملهم على الدوابّ وأعطاهم فيئنا. وكان شَبَث شيخهم، وكان جاهليّاً إسلامياً، فقال لهم شَبث: دعوني حتى ألقاه.

فذهب إليه، فلم يدع شيئاً أنكروه إلاّ ذكره له، فأخذ لا يذكر خصلة إلاّ قال

له المختار: أنا أُرضيهم في هذه الخصلة وآتي لهم كلَّ ما أحبّوا، وذكر له الموالي ومشاركتهم في الفيء، فقال له: إن أنا تركتُ مواليكم، وجعلتُ فيئكم لكم تقاتلون معي بني أميّة وابنَ الزبير، وتعطوني على الوفاء عهد الله وميثاقه، وما أطمئنُ إليه من الأيمان؟ فقال شَبث: حتى أخرج إلى أصحابي، فأذكر لهم ذلك. فخرج إليهم، فلم يرجع إليه، وأجمع رأيهم على قتاله. ثمّ وثبوا بالمختار بعد مسير إبراهيم الأشتر وخرجوا بالجبّابين، كلّ رئيس بجبّانة. فلمّا بلغ المختارَ خروجُهم أرسل قاصداً مجداً إلى إبراهيم بن الأشتر، فلحقه وهو بساباط يأمره بالرجوع والسرعة، وبعث المختار إليهم في ذلك: أخبروني ماذا تريدون؟ فإنّي صانع كلّ ما أحببتم. قالوا: نريد أن تعتزلنا، فإنّك زعمتَ أنّ ابنَ الحنفيّة بعثك ولم يبعثك. ، قال: فأرسلوا وفداً إليه من قبلكم، وأُرسل أنا إليه وفداً، ثمّ انظروا في ذلك حتّى يظهر لكم. وهو يريد أن يريّثهم بهذه المقالة حتّى يقدم عليه إبراهيم بن الأشتر، وأمر أصحابه فكفّوا أيديهم، وقد أخذ عليهم أهل الكوفة بأفواه السكك، فلا يصل إليهم شيء إلاّ القليل.

ولمّا سار رسولُ المختار، وصل إلى ابن الأشتر عشيّة يومه، فرجع ابن الأشتر بقيّة عشيّته تلك، ثمّ نزل حين أمسى، فتعشّى أصحابُه وأراحوا دوابّهم قليلاً، ثمّ سار ليلته كلّها ومن الغد، فوصل العصر وبات ليلته في المسجد ومعه أصحابه من أهل القوّة.

ثمّ أنّ المختار عبّأ أصحابه في السوق وليس فيه بنيان، فأمر ابنَ الأشتر، فسار إلى مُضَر وعليهم شَبَث بن رِبْعيّ ومحمّد بن عُمَير بن عُطارد وهم بالكُناسة، وخشي أن يرسله إلى أهل اليمن فلا يبالغ في قتال قومه. وسار المختارُ نحو أهل اليمن بجبّانة السَّبيع، ووقف عند دار عمرو بن سعيد، وسرَّح بين يديه أحمر بن شُمَيْط البَجَليَّ وعبدَ الله بن كامل الشاكريَّ، وأمر كلاًّ منهما بلزوم طريقٍ ذكره له يخرج إلى جبّانة السَّبيع، وأسرَّ إليهما أنَّ شِباماً قد أرسلوا إليه يخبرونه أنَّهم يأتون القومَ من ورائهم، فمضيا كما أمرهما.

فبلغَ أهلَ اليمن مسيرهما، فافترقوا إليهما واقتتلوا أشدَّ قتال رآه الناس، ثمّ

انهزم أصحابُ أحمر بن شُمَيْط وأصحاب ابن كامل، ووصلوا إلى المختار، فقال: ما وراءكم؟ قالوا: هُزمنا وقد نزل أحمر بن شُمَيْط ومعه ناس من أصحابه، وقال أصحاب بن كامل: ما ندري ما فعل ابن كامل.

فأقبل بهم المختار نحو القوم حتّى بلغ دار أبي عبد الله الجَدَليّ، فوقف ثمّ أرسل عبدَ الله بن مُراد الخثعميَّ في أربعمائة إلى ابن كامل، وقال له: إن كان قد هلك، فأنت مكانه، وقاتِل القوم، وإن كان حيّاً، فاتْرك عندَه ثلاثمائة من أصحابك، وامضِ في مائة حتّى تأتي جبّانة السَّبيع، فتأتي أهلها من ناحية حمّام قَطَن.

فمضى، فوجد ابن كامل يقاتلهم في جماعة من أصحابه قد صبروا معه، فترك عنده ثلاثمائة رجل وسار في مائة حتّى أتى مسجدَ عبد القيس، وقال لأصحابه: إنّي أُحبُّ أن يظهر المختار وأكره أن تهلكَ أشرافُ عشيرتي اليوم، ووالله لأن أموت أحبّ إليَّ من أن يهلكوا على يديّ، ولكن قفوا فقد سمعتُ أنّ شِبـاماً يأتونهم من ورائهم، فلعلَّهم يفعلون ذلك ونُعافَى نحن منه، فأجابه إلى ذلك، فبات عند مسجد عبد القيس.

وبعث المختارُ مالك بن عمرو النهديَّ، وكان شجاعاً، وعبد الله بن شَريك النهديَّ في أربعمائة إلى أحمر بن شُمَيْط، فانتهوا إليه وقد علاه القومُ وكثروه، فاشتدَّ قتالهم عند ذلك.

وأمّا ابنُ الأشتر، فإنّه مضى إلى مُضَر، فلقيَ شَبَث بن رِبْعي ومَنْ معه، فقال لهم إبراهيم: ويحكم، انصرفوا، فما أُحبُّ أن يُصاب من مُضَر على يديّ. فأبوا وقاتلوه، فهزمهم، وجُرح حسّان بن فائد العبسيُّ، فحُمل إلى أهله، فمات، فكان مع شَبَث، وجاءت البشارة إلى المختار، بهزيمة مُضر، فأرسل إلى أحمر بن شُمَيْط وابن كامل يبشِّرهما، فاشتدَّ أمرهما.

فاجتمع شِبام، وقد رأّسوا عليهم أبا القَلوص، ليأتوا أهلَ اليمن من ورائهم، فقال بعضهم لبعض: لو جعلتم جِدّكم على مُضَر وربيعة لكان أصوب، وأبو القلوص ساكتٌ، فقالوا: ما تقول؟ فقال: قال الله تعالى: ﴿قاتِلُوا الَّذينَ يَلونَكُم

مِنَ الكُفّارِ﴾. فساروا معه نحو أهل اليمن، فلمّا خرجوا إلى جبّانة السَّبيع، لقيهم على فم السكّة الأعسرُ الشاكريُّ، فقتلوه ونادوا في الجبّانة، وقد دخلوها: يا لثارات الحسين! فسمعها يزيد بن عُمَيْر بن ذي مُرّان الهمذانيُّ، فقال: يا لثارات عثمان! فقال لهم رِفاعة بن شدّاد: مالنا ولعثمان! لا أقاتل مع قوم يبغون دم عثمان. فقال له ناس من قومه: جئتَ بنا وأطعناك حتّى إذا رأينا قومنا تأخذهم السيوف قلتَ انصرفوا ودعوهم! فعطف عليهم وهو يقول شعر:

أنا ابنُ شَدّاد على دينِ علي ... لستُ لعثمانَ بن أروَى بولي
لأصْلِيَنَّ اليومَ فيمَنْ يَصطلي ... بحَرِّ نارِ الحَرْبِ غير مؤتَلِ

فقاتل حتّى قتل.

وكان رِفاعةُ مع المختار، فلمّا رأى كِذبه أراد قتله غيلةً، فقال: فمنعني قولُ النبيّ ﷺ: مَن ائتمنه رجل على دمه، فقتله، فأنا منه بريءٌ.

فلمّا كان هذا اليوم قاتل مع أهل الكوفة، فلمّا سمع يزيدَ بن عُميرَ يقول: يا لثارات عثمان، عاد عنهم فقاتل مع المختار حتّى قُتل؛ وقُتل يزيد بن عُمَير بن ذي مُرّان والنعمان بن صُبهان الجرْميُّ، وكان ناسكاً، وقُتل الفُرات بن زَحْر بن قَيْس، وقُتل عبد الله بن سعيد بن قيس، وقُتل عمر بن مِخْنَف، وقاتل عبدُ الرحمن بن مِخْنَف حتّى جُرح وحملته الرجال على أيديهم وما يشعر، وقاتل حوله رجالٌ من الأزد، وانهزم أهل اليمن هزيمةً قبيحةً، وأخذ من دور الوادعيين خمسمائة أسير، فأتي بهم المختارَ مكتَّفين، فأمر المختارُ بإحضارهم وعرضهم عليه، وقال: انظروا مَنْ شهد منهم قتْلَ الحسين فأعلموني. فقتل كلَّ من شهد قتلَ الحسين، فقتل منهم مائتَين وثمانية وأربعين قتيلاً، وأخذ أصحابه يقتلون كلّ من كان يؤذيهم.

فلمّا سمع المختار بذلك أمر بإطلاق كلّ مَنْ بقي من الأسارى وأخذ عليهم المواثيق أن لا يجامعوا عليه عدوّاً ولا يبغوه وأصحابَه غائلة، ونادى منادي المختار: مَنْ أغلق بابه، فهو آمن إلّا من شرك في دماء آل محمّد ﷺ.

وكان عمرو بن الحجّاج الزبيديُّ ممَّنْ شهد قتلَ الحسين، فركب راحلته وأخذ طريق واقصة، فلم يُرَ له خبر حتّى الساعة، وقيل: أدركه أصحابُ المختار وقد سقط من شدَّة العطش، فذبحوه وأخذوا رأسه.

... ثمّ تجرَّد المختار لقَتَلة الحسين، وقال: ما من ديننا أن نترك قتلة الحسين أحياء، بئس ناصر آل محمّد ﷺ، أنا إذاً في الدنيا، أنا إذاً الكذّاب كما سمّوني، وإنّي أستعين بالله عليهم فسمّوهم لي، ثمّ اتبعوهم حتى تقتلوهم، فإنّي لا يسوغ ليَ الطعام والشراب حتّى أطهِّر الأرض منهم. فدُلَّ على عبد الله بن أسيد الجُهَنيّ ومالك بن بَشير البدّيّ وحَمَل بن مالك المحاربيّ، فبعث إليهم المختار، فأحضرهم من القادسيَّة، فلما رآهم قال: يا أعداء الله ورسوله! أين الحسين بن عليّ؟ أدّوا إليّ الحسين، قتلتم مَن أُمرتم بالصلاة عليهم.

فقالوا: رحمك الله! بُعِثنا كارهين، فامننْ علينا واستَبْقِنا. فقال لهم: هلاّ مننتم على الحسين بن بنت نبيِّكم، فاستبقيتموه وسقيتموه؟ وكان البدّيّ صاحب برنسه، فأمر بقطع يديه ورجليه وتُرك يضطرب حتّى مات، وقتل الآخرين وأمر بزياد بن مالك الضُّبَعيّ وبعمران بن خالد القُشَيريّ وبعبد الرحمن بن أبي خشكارة البَجَليّ، وبعبد الله بن قيس الخَوْلانيّ، فأُحضروا عنده، فلمّا رآهم، قال: يا قَتَلَة الصالحين وقَتَلَة سيِّد شباب أهل الجنة، قد أقاد الله منكم اليوم، لقد جاءكم الوَرس في يوم نحس. وكانوا نهبوا من الورس الذي كان مع الحسين، ثمّ أمر بهم فقُتلوا.

وأُحضر عنده: عبد الله وعبد الرحمن ابنا صلخت وعبد الله بن وهب بن عمرو الهمدانيُّ، وهو ابن عمّ أعشى همدان، فأمر بقتلهم فقُتلوا، وأُحضر عنده: عثمان بن خالد بن أسيد الدُّهمانيُّ الجُهَنيُّ، وأبو أسماء بشر بن شُمَيْط القانصيُّ، وكانا قد اشتركا في قتل عبد الرحمن بن عقيل وفي سلبه، فضرب أعناقهما وأحرقا بالنار.

ثمّ أرسل إلى خَوَليّ بن يزيد الأصبحيّ، وهو صاحب رأس الحسين، فاختفى في مخرجه، فدخل أصحابُ المختار يفتشون عنه، فخرجت امرأته، واسمها العيوف بنت مالك، وكانت تعاديه منذ جاء برأس الحسين، فقالت لهم:

ما تريدون؟ فقالوا لها: أين زوجك؟ قالت: لا أدري، وأشارت بيدها إلى المخرج، فدخلوا فوجدوه وعلى رأسه قَوْصَرَّة، فأخرجوه وقتلوه إلى جانب أهله، وأحرقوه بالنار.

* * *

بشير بن الليث

في سنة ثلاث وتسعين ومائة، مات الرشيد أوَّل جمادى الآخرة لثلاث خلون منه، وكانت قد اشتدَّت علَّته بالطريق بجُرجان، فسار إلى طوس، فمات بها.

قال جبرائيل بن يَختيَشوع: كنت مع الرشيد بالرّقّة، وكنتُ أوَّل مَنْ يدخل عليه في كلّ غداة، أتعرَّف حاله في ليلته، ثمّ يحدِّثني وينبسط إليّ، ويسألني عن أخبار العامَّة، فدخلتُ عليه يوماً، فسلَّمتَ عليه، فلمْ يكدْ يرفع طرفه، ورأيتُه عابساً مفكِّراً مهموماً، فوقفتُ مليّاً من النهار، وهو على تلك الحال، فلمّا طال ذلك أقدمتُ فسألته عن حاله، وما سببه؟ فقال: إنّ فكري وهمّي لرؤيا رأيتها في ليلتي هذه قد أفزعتني، وملأت صدري. فقلتُ: فرَّجتَ عنّي، يا أمير المؤمنين؛ ثمّ قبَّلتُ يده ورجله، وقلتُ: الرؤيا إنَّما تكون تخاطر أو بخارات رديَّة، وتهاويل السوداء، وهي أضغاث أحلام.

قال: فإنّي أقصّها عليك، رأيتُ كأنّي جالس على سريري هذا، إذ بدتْ من تحتي ذراع أعرفها، وكفّ أعرفها، لا أفهم اسم صاحبها، وفي الكفّ تربة حمراء. فقال لي قائل أسمعه ولا أرى شخصه: هذه التربة التي تُدْفَن فيها؛ فقلتُ: وأين هذه التربة؟ قال: طوس، وغابت اليد، وانقطع الكلام.

فقلتُ: أحسبك لمّا أخذتَ مضجعك، فكرتَ في خراسان، وما ورد عليك منها، وانتقاض بعضها، فذلك الفكر أوجب هذه الرؤيا.

فقال: كان ذلك؛ فأمرتُهُ باللّهو والانبساط، ففعل، ونسينا الرؤيا، وطالت الأيّام، ثمّ سار إلى خُراسان لحرب رافع، فلمّا صار ببعض الطريق ابتدأت به العلّة، فلم تزل تزيد، حتّى دخلنا طوس، فبينا هو يمرض في بستان في ذلك القصر

الـذي هو فيـه، إذ ذكر تلك الـرؤيا، فـوثب متحامـلاً يقوم ويسقط، فـاجتمعنـا إليـه نسأله، فقال: أتذكـر رؤياي بـالرقّـة في طوسَ؟ ثمّ رفـع رأسه إلى مسـرور، فقال: جِئني من تربة هذا البستان! فـأتاه بهـا في كفِّه حـاسراً عن ذراعـه، فلمّا نـظر إليه، قـال: هذه والله الـذراع التي رأيتُها في منـامي، وهذه الكفُّ بعينهـا، وهذه التـربـة الحمراء ما خَرَقَتْ شيئاً؛ وأقبل على البكاء والنحيب، ثمّ مات بعد ثلاثة.

وكـان قد وصـل إليه، وهـو بطوس، بشيـر بن اللّيث أخو رافـع أسيراً، فقـال الـرشيد: والله لـو لم يبقَ من أجَلي إلاّ أن أحرِّك شفتيّ بكلمـة لقلتُ اقتلوه. ثمّ دعا بقصّاب، فأمر به، ففصلَ أعضاءه.

* * *

بطريـق الروم

في سنة تسع وتسعين، توفّي سليمان بن عبد الملك بن مروان لعشـر بقين من صفـر، فكانت خـلافته سنتَيْن وخمسـة أشهر وخمسـة أيّام. وكـان الناس يقـولـون: سليمان مفتاح الخير، ذهب عنهم الحجّاج ووليَ سليمان، فأطلق الأسـرى، وأخلى السجون، وأحسن إلى الناس، واستخلـف عمر بن عبد العزيز. وكان موته بدابق من أرض قِنّسرين. قيل: حجَّ سليمان وحجَّ الشعراء، فلمّا كان بـالمدينة قافـلاً، تلقّوه بنحـو أربعمائـة أسير من الـروم، فقعـد سليمـان وأقـربهم منـه مجلسـاً عبـد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبـي طـالب، فقُدِّم بِـطْريقهم، فقـال: يـا عبـد الله، اضـربْ عنقه! فـأخذ سيفـاً من حرسيّ، فضـربه، فـأبان الـرأسَ، وأطنَّ السـاعـدَ، وبعض الغُلّ، ودفع البقيَّة إلى الوجوه يقتلونهم، ودفع إلى جرير رجلاً منهم، فأعطاه بنو عَبْس سيفاً جيِّداً، فضربه، فأبان رأسه، ودفع إلى الفرزدق أسيـراً، فأعطوه سيفاً رديّاً لا يقطع، فضرب به الأسيرَ ضربات، فلم يصنع شيئاً، فضحكَ سليمـان والقوم وشتمت به بنو عبس أخوال سليمان، وألقى السيفَ، وأنشأ يقول:

وإن يـكُ سيفٌ خـان أو قَـدَرٌ أتـى ... بتـأخيـر نفس حتفهـا غيـر شـاهـدِ
فسيفُ بني عبسٍ وقـد ضربـوا بـه ... نبـا بيَـديْ ورقـاء عن رأسِ خـالـدِ

* * *

بنو عنزة وشيبان

في سنة ثلاث وخمسين ومائتين، كانت حرب بين سليمان بن عِمران الأزديّ وبين عنزة.

وسببها أن سليمان اشترى ناحية من المَرج، فطلب منه إنسان من عنزة اسمه برهونة الشفعة، فلم يجبه إليها، فسار برهونة إلى عنزة، وهم من الزابَيْن، فاستجار بهم وببني شيبان، واجتمع معه جمعٌ كثير، ونهبوا الأعمال، فأسرفوا.

وجمع سليمان لهم بالموصل، وسار إليهم، فعبر الزاب، وكانت بينهم حرب شديدة، وقُتل فيها كثير، وكان الظفر لسليمان، فقتل منهم بباب شمعون مقتلة عظيمة، وأدخل من رؤوسهم إلى الموصل أكثر من مائتي رأس.

* * *

العريان يضرب رقاب بني تميم

ولما قُتل يزيد بن المهلَّب، كان المفضل بن المهلَّب يقاتل أهل الشام وما يدري بقتل يزيد ولا بهزيمة الناس، وكان كلَّما حمل على الناس انكشفوا، ثمّ يحمل حتّى يخالطهم، وكان معه عامر بن العميثل الأزديّ يضرب بسيفه ويقول:

قد علمتْ أمُّ الصبيّ المولودْ   إنّي بنصل السيف غيرِ رِعْديد

فاقتتلوا ساعةً، فانهزمت ربيعة، فاستقبلهم المفضّل يناديهم: يا معشر ربيعة، الكرَّة الكرَّة! والله ما كنتم بكُشف ولا لئام ولا لكم هذه بعادة، فلا يؤتينَّ أهل العراق من قِبَلكم، فدتْكم نفسي! فرجعوا إليه يريدون الحملة، فأُتي وقيل له: ما تصنع ها هنا، وقد قُتل يزيد وحَبيب ومحمّد، وانهزم الناس منذ وقت طويل؟ فتفرَّق الناسُ عنه، ومضى المفضّل إلى واسط، فما كان من العرب أضرب بسيفه ولا أحسن تعبية للحرب ولا أغشى للناس منه.

فلمّا فارق المفضّل المعركة، جاء عسكر الشام إلى عسكر يزيد، فقاتلهم أبو رؤبة صاحب المُرجئة ساعةً من النهار، وأسر مسلمة نحو ثلاثمائة أسير، فسرَّحهم إلى الكوفة، فحُبسوا بها، فجاء كتاب يزيد بن عبد الملك إلى محمّد بن

عمرو بن الوليد يأمره بضرب رقاب الأسرى، فأمر العُرْيانَ بن الهَيْثَم، وكان على شُرطته، أن يُخرجهم عشرين عشرين وثلاثين ثلاثين، فقام نحو ثلاثين رجلاً من تميم، فقالوا: نحن انهزمنا بالناس، فابدأوا بنا قبل الناس. فأخرجهم العُرْيان، فضرب رقابهم وهم يقولون: انهزمنا بالناس، فكان هذا جزاءنا. فلمّا فرغوا منهم، جاء رسول بكتاب من عند مسلمة يأمره بترك قتل الأسرى. وأقبل مسلمة حتّى نزل الحيرة.

* * *

جبلة بن زحر

في سنة اثنتين وثمانين كانت وقعة دير الجماجم. وكان سببها أنَّ الحجّاج سار من البصرة إلى الكوفة لقتال عبد الرحمن بن محمَّد فنزل دَيْر قُرَّة، وخرج عبد الرحمن من الكوفة فنزل دَيْر الجماجم. فقال الحجّاج: إنَّ عبد الرحمن نزل دير الجماجم ونزلتُ دير القرَّة، أمَا تزجر الطير؟ واجتمع إلى عبد الرحمن أهل الكوفة وأهل البصرة والقُرّاء وأهل الثغور والمسالح بدير الجماجم، فاجتمعوا عل حرب الحجّاج لبُغضه، وكانوا مائة ألف ممَّنْ يأخذ العطاء ومعهم مثلهم، وجاءت الحجّاج أيضاً أمداد من الشام قبل نزوله بدير قُرَّة، وخندق كلّ منهما على نفسه، فكان الناس يقتتلون كلّ يوم ولا يزال أحدهما يُدْني خندقه من الآخر. . .

ثمَّ أخذوا يتزاحفون كلّ يوم ويقتتلون وأهل العراق تأتيهم موادّهم من الكوفة وسوادها وهم في خصب، وأهل الشام في ضنك شديد قد غلتْ عليهم الأسعار وفُقد عندهم اللحم كأنَّهم في حصار، وهم على ذلك يغادون القتال ويراوحون. فلمّا كان اليوم الذي قُتل فيه جَبَلَة بن زَحْر بن قيس، وكانت كتيبته تُدْعى القرّاء تحمل عليهم فلا يبرحون، وكانوا قد عُرفوا بذلك، وكان فيهم كُمَيْل بن زياد، وكان رجلاً ركيناً. فخرجوا ذات يوم كما كانوا يخرجون، وعبّأ الحجّاج صفوفه، وعبّأ عبد الرحمن أصحابه، وعبّأ الحجّاج لكتيبة القرّاء ثلاث كتائب وبعث عليها الجرّاح بن عبد الله الحكميَّ، فأقبلوا نحوهم فحملوا على القرّاء ثلاث حملات كلّ كتيبة تحمل حملة فلم يبرحوا وصبروا.

فلمّا حملت كتائبُ الحجّاج الثلاث على القرّاء من أصحاب عبد الرحمن وعليهم جَبَلَة بن زَحْر نادى جَبَلةُ: يا عبدَ الرحمن بن أبي ليلى! يا معشر القرّاء! إنَّ الفرار ليس بأحد من الناس بأقبح منه بكم، إنّي سمعتُ عليّ بن أبي طالب، رفع الله درجته في الصالحين وآتاه ثواب الصادقين والشهداء، يقول يوم لقينا أهل الشام: أيُّها المؤمنون إنَّه من رأى عدواناً يُعمل به ومنكراً يُدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرىء، ومن أنكره بلسانه فقد أُجر وهو أفضل من صاحبه، ومَنْ أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين السفلى، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى ونوَّر في قلبه اليقين، فقاتلوا هؤلاء المُحِلّين المُحْدثين المبتدعين الذين جهلوا الحقّ فلا يعرفونه، وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه.

وقال أبو البُخْتَريُّ: أيُّها الناس قاتلوهم على دينكم ودنياكم. فقال الشُّعبيُّ: أيُّها الناس قاتلوهم ولا يأخذْكم حَرَج من قتالهم، والله ما أعلم على بسيط الأرض أعمل بظلم ولا أجور بحكم منهم. وقال سعيد بن جُبير نحو ذلك، وقال جَبَلة: احملوا عليهم حملةً صادقةً، ولا تردّوا وجوهكم عنهم حتّى تواقعوا صفّهم.

فحملوا عليهم حملةً صادقةً، فضربوا الكتائب حتّى أزالوها وفرَّقوها، وتقدَّموا حتّى واقعوا صفَّهم فأزالوه عن مكانه، ثم رجعوا فوجدوا جَبَلة بن زَحْر قتيلاً لا يدرون كيف قُتل.

وكان سبب قتله أنَّ أصحابه لمّا حملوا على أهل الشام ففرَّقوهم وقف لأصحابه ليرجعوا إليه فافترقت فرقةٌ من أهل الشام فوقفت ناحية، فلمّا رأوا أصحاب جبلة قد تقدموا، قال بعضهم لبعض: هذا جبلة، احملوا عليه ما دام أصحابه مشاغيل بالقتال. فحملوا عليه فلم يولّ لكنه حمل عليهم فقتلوه، وكان الذي قتله الوليد بن نحيت الكلبيّ، وجيء برأسه إلى الحجاج فبشَّر أصحابه بذلك. فلمّا رجع أصحاب جبلة ورأوه قتيلاً سُقط في أيديهم وتناعوه بينهم، فقال لهم أبو البَختريّ: لا يظهرنَّ عليكم قتل جبلة إنَّما كان كرجل منكم أتته منيَّته فلم يكن ليتقدَّم يومه ولا ليتأخَّر عنه. وظهر الفشل في القرّاء، وناداهم أهل الشام: يا أعداء الله قد هلكتم وقد قُتل طاغيتكم!..

* * *

الجُلُندي وأصحابه (وهم عشرة آلاف)

في سنة أربع وثلاثين ومائة خلع بسّام بن إبراهيم بن بسّام، وكان من فرسان أهل خراسان، وسار من عسكر السفّاح هو وجماعة على رأيه سرّاً إلى المدائن، فوجَّه إليهم السفّاحُ خازمَ بن خُزَيْمة فاقتتلوا، فانهزم بسّام وأصحابه وقتل أكثرهم وقتل كلّ من لحقه منهزماً؛ ثمَّ انصرف فمرَّ بذات المطامير، وبها أخوال السفّاح من بني عبد المدان، وهم خمسة وثلاثون رجلاً، ومن غيرهم ثمانية عشر رجلاً، ومن مواليهم سبعة عشر، فلم يسلّم عليهم، فلمّا جازهم شتموه، وكان في قلبه عليهم ما كان لما بلغه عنهم من حال المُغيرة بن الفزع وأنَّه لجأ إليهم، وكان من أصحاب بسّام، فرجع إليهم وسألهم عن المُغيرة، فقالوا: مرَّ بنا رجل مجتاز لا نعرفه فأقام في قريتنا ليلة ثمَّ خرج عنّا. فقال لهم: أنتم أخوال أمير المؤمنين يأتيكم عدوّه ويأمن في قريتكم! فهلّا اجتمعتم فأخذتموه! فأغلظوا له في الجواب، فأمر بهم فضُربت أعناقهم جميعاً وهدم دورهم ونهب أموالهم ثمَّ انصرف.

فبلغ ذلك اليمانيَّة فاجتمعوا، ودخل زيادُ بن عبد الله الحارثي معهم على السفّاح، فقالوا له: إنَّ خازماً إجترأ عليك واستخفّ بحقك وقتل أخوالك الذين قطعوا البلاد وأتوك معتزّين بك طالبين معروفك حتّى صاروا في جوارك، قتلهم خازم وهدم دورهم ونهب أموالهم بلا حدث أحدثوه. فهمَّ بقتل خازم فبلغ ذلك موسى بن كعب وأبا الجَهْم بن عطيَّة، فدخلا على السفّاح وقالا: يا أمير المؤمنين بلَغنا ما كان من هؤلاء وأنَّك هممتَ بقتل خازم، وإنَّما نعيذك بالله من ذلك، فإنَّ له طاعة وسابقة وهو يُحتمل له ما صنع، فإنَّ شيعتكم من أهل خراسان قد آثروكم على الأقارب والأولاد وقتلوا من خالفكم، وأنت أحقّ من تغمَّد إساءة مسيئهم، فإن كنت لا بدّ مجمعاً على قتله فلا تتولَّ ذلك بنفسك وابعثْهُ لأمرٍ إن قُتل فيه كنتَ قد بلغتَ الذي تريد، وإن ظفر كان ظفره لك.

وأشاروا عليه بتوجيهه إلى مَنْ بعُمان من الخوارج وإلى الخوارج الذين بجزيرة ابن كاوان مع شَيْبان بن عبد العزيز اليشكريّ، فأمر السفّاح بتوجيهه مع

سبعمائة رجل، وكتب إلى سليمان بن عليّ، وهو على البصرة، بحملهم إلى جزيرة ابن كاوان وعُمان.

وسار خازم إلى البصرة في الجند الذين معه، وكان قد انتخب من أهله وعشيرته ومواليه ومن أهل مرو الرُّوذ مَنْ يثق به، فلمّا وصل البصرة حملهم سليمان في السفن وانضمَّ إليه بالبصرة أيضاً عدَّة من بني تميم، فساروا في البحر حتّى أرسوا بجزير ابن كاوان، فوجَّه خازم فَضلةَ بن نُعَيْم النَّهْشَليّ في خمسمائة إلى شيبان، فالتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً، فركب شيبان وأصحابه السفن وساروا إلى عُمان، وهم صُفْريَّة، فلمّا صاروا إلى عُمان قاتلهم الجُلُنْدي وأصحابه، وهم إباضيَّة، واشتدَّ القتال بينهم، فقُتل شيبان ومن معه.

ثم سار خازم في البحر بمَنْ معه حتّى أرسوا إلى ساحل عُمان، فخرجوا إلى الصحراء، فلقيهم الجُلُندي وأصحابه واقتتلوا قتالاً شديداً، وكثر القتل يومئذ في أصحاب خازم، وقُتل منهم أخ له من أمّه في تسعين رجلاً، ثمَّ اقتتلوا من الغد قتالاً شديداً، فقُتل يومئذ من الخوارج تسعمائة وأُحرق منهم نحو من تسعين رجلاً، ثمَّ التقوا بعد سبعة أيّام من مقدم خازم على رأي أشار به بعضُ أصحاب خازم، أشار عليه أن يأمر أصحابه فيجعلوا على أطراف أسنَّتهم المشاقة ويرووها بالنفط ويشعلوا فيها النيران ثمَّ يمشوا بها حتى يضرموها في بيوت أصحاب الجُلُندي، وكانت من خشب، فلمّا فعل ذلك وأُضرمت بيوتهم بالنيران اشتغلوا بها وبمَنْ فيها من أولادهم وأهاليهم، فحمل عليهم خازم وأصحابه فوضعوا فيهم السيفَ فقتلوهم وقتلوا الجُلُندي فيمَنْ قُتل، وبلغ عدّه القتلى عشرة آلاف، وبعث برؤوسهم إلى البصرة، فأرسلها سليمان إلى السفّاح، وأقام خازم بعد ذلك أشهراً حتّى استقدمه السفّاحُ فقدم.

* * *

جُمْهور بن مرّار العِجْليّ

في سنة ثمان وثلاثين ومائة خلع جُمْهورُ بن مرّار المنصورَ بالريّ.

وكان سبب ذلك أنَّ جُمهوراً لمّا هزم سنباد حوى ما في عسكره، وكان فيه خزائن أبي مسلم، فلم يوجِّهها إلى المنصور، فخاف فخلع ووجَّه إليه المنصورُ محمَّدَ بن الأشعث في جيش عظيم نحو الريّ، ففارقها جُمهور نحو أصبهان، ودخل محمَّد الريّ، وملك جمهور أصبهان، فأرسل إليه محمَّد عسكراً، وبقي في الريّ، فأشار على جمهور بعضُ أصحابه أن يسير في نخبة عسكره نحو محمَّد فإنَّه في قلَّة، فإن ظفر لم يكن لمَنْ بعده بقيَّة، فسار إليه مجدّاً.

وبلغ خبره محمَّداً، فحذر واحتاط، وأتاه عسكر من خُراسان فقوي بهم، فالتقوا بقصر الفيروزان بين الريّ وأصبهان فاقتتلوا قتالاً عظيماً، ومع جمهور نخبة من فرسان العجم، فهُزم جمهور وقُتل من أصحابه خلقٌ كثير، وهرب جُمهور فلحق بأذربيجان، ثمَّ إنَّه بعد ذلك قُتل بإسباذروا، قتله أصحابه وحملوا رأسه إلى المنصور.

* * *

جواري يوسف بن عمر الثقفي

في سنة عشرين ومائة عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله القَسْريّ عن أعماله جميعها. وكان سبب ذلك أنَّه بلغه أنَّ خالداً يستقلّ ولاية العراق، فكتب إليه هشام: يا ابن أمّ خالد بلغني أنَّك تقول: ما ولاية العراق لي بشرف. يا ابن اللخناء، كيف لا تكون إمرة العراق لك شرفاً وأنت من بجيلة القليلة الذليلة؟ أما والله إنّي لأظنّ أنَّ أوَّل من يأتيك صغير من قريش يشدّ يديك إلى عنقك.

ولم يزل يبلغه عنه ما يكره، فعزم على عزله، فكتم ذلك وكتب إلى يوسف بن عمر، وهو باليمن يأمره أن يقدم في ثلاثين من أصحابه إلى العراق فقد ولّاه ذلك، فسار يوسف إلى الكوفة فعرَّس قريباً منها، وقد ختن طارق خليفة خالد بالكوفة ولده فأهدى إليه ألف وصيف ووصيفة سوى الأموال والثياب، فمرَّ بيوسف بعضُ أهل العراق فسألوه: ما أنتم وأين تريدون؟ قالوا: بعض المواضع. فأتوا طارقاً فأخبروه خبرهم وأمروه بقتلهم وقالوا: إنَّهم خوارج. فسار يوسف إلى دور ثقيف،

فقيل لهم: ما أنتم؟ فكتموا حالهم وأمر يوسف، فجُمع إليه مَنْ هناك من مُضَر، فلمّا اجتمعوا دخل المسجد مع الفجر وأمر المؤذّن وأقام الصلاة فصلّى، وأرسل إلى طارق وخالد فأخذهما وإن القدور لتغلي.

وكانت ولاية خالد العراق في شوّال سنة خمس ومائة، وعُزل في جمادي الأولى سنة عشرين ومائة. ولمّا ولي يوسف بن عمر الثقفيّ العراق كان الأسلام ذليلاً والحكم فيه إلى أهل الذمّة، فقال يحيى بن نوفل فيه:

أتانا وأهل الشِّرك أهلُ زكَاتنا ... وحُكّامُنا فيما نُسِرّ ونجهرُ
فلمّا أتانا يوسفُ الخير أشرقتْ ... له الأرضُ حتّى كلّ وادٍ منوّرُ
وحتّى رأينا العدلَ في الناس ظاهراً ... وما كان من قبل العُقَيْليّ يظهرُ

وكان في يوسف أشياء متباينة متناقضة، كان طويل الصلاة ملازماً للمسجد ضابطاً لحشمه وأهله عن الناس، ليِّن الكلام، متواضعاً، كثير التضرُّع والدعاء، وكان شديد العقوبة مسرفاً في ضرب الأبشار...

قيل: إنَّ يوسف أراد السفر فدعا جواريه فقال لإحداهنّ: تخرجين معي؟ قالت: نعم. قال: يا خبيثة كلّ هذا من حبّ النكاح، يا خادم اضربْ رأسها. وقال لأخرى: ما تقولين؟ فقالت: أقيم على ولدي. فقال: يا خبيثة أكلّ هذا زهادة فيّ؟ اضربْ رأسها. وقال لثالثة: ما تقولين؟ قالت: ما أدري ما أقول، إن قلتُ ما قالت إحداهما لم آمن عقوبتك. فقال: يا لخناء أوَ تناقضين وتحتجّين؟ اضربْ رأسها. فضرب الجميع.

* * *

حاتم بن الحارث

في سنة إحدى وثلاثين ومائة قُتل ابن ضُبَارة، فكتب قَحْطَبَة بذلك إلى ابنه الحسن وهو يحاصر نهاوند، فلمّا أتاه الكتابُ كبَّر هو وجنده ونادوا بقتله، فقال عاصم بن عُمَيْر السعديّ: ما نادى هؤلاء بقتله إلاّ وهو حقّ! فاخرجوا إلى الحسن بن قحطبة فإنّكم لا تقومون له فتذهبون حيث شئتم قبل أن يأتيه أبوه أو مدد من عنده.

فقالت الرَّجّالة: تخرجون وأنتم فرسان على خيول وتتركونا؟ وقال له مالك بن أدْهم الباهليّ: لا أبرح حتّى يقدم علي قحطبة.

وأقام قحطبة على أصبهان عشرين يوماً، ثمَّ سار فقدم على ابنه بنهاوند فحصرهم ثلاثة أشهر: شعبان ورمضان وشوّال، ووضع عليهم المجانيقَ، وأرسل إلى مَنْ بنهاوند من أهل خُراسان يدعوهم إليه وأعطاهم الأمانَ، فأبوا ذلك.

ثمَّ أرسل إلى أهل الشام بمثل ذلك فأجابوه وقبلوا أمانه وبعثوا إليه يسألونه أن يَشْغل عنهم أهل المدينة بالقتال ليفتحوا له الباب الذي يليهم، ففعل ذلك قحطبة وقاتلهم، ففتح أهلُ الشام البابَ، فخرجوا، فلمّا رأى أهل خُراسان ذلك سألوهم عن خروجهم، فقالوا: أخذنا الأمان لنا ولكم. فخرج رؤساء أهل خُراسان، فدفع قحطبةُ كلّ رجل منهم إلى قائد من قوّاده ثمَّ أمر فنودي: مَنْ كان بيده أسير ممَّنْ خرج إلينا فليضرب عنقه وليأتنا برأسه! ففعلوا ذلك؟ فلم يبق أحد ممَّنْ كان قد هرب من أبي مسلم إلاَّ قُتل إلاَّ أهل الشام، فإنَّه وفي لهم وخلّى سبيلهم وأخذ عليهم أن لا يمالئوا عليه عدوّاً، ولم يقتل منهم أحداً.

وكان ممَّنْ قُتل من أهل خُراسان: أبو كامل، وحاتم بن الحارث بن سريج، وابن نصر بن سيّار، وعاصم بن عُمَيْر، وعليّ بن عُقيل، وبَيْهس.

* * *

حبيب بن مُطهَّر

وحمل شَمِر حتّى بلغ فسطاط الحسين ونادى: عليَّ بالنّار حتى أُحرِّق هذا البيت على أهله. فصاحَ النساء وخرجن، وصاح به الحسين: أنت تحرِّق بيتي على أهلي؟ حرَّقك الله بالنار! فقال حُميد بن مسلم لشمر: إنَّ هذا لا يصلح لك، تُعذِّب بعذاب الله وتقتل الولدان والنساء، والله إن في قتل الرجال لما يرضى به أميرك! فلم يقبل منه، فجاءه شَبَث بن رِبْعي فنهاه فانتهى، وذهب لينصرف، فحمل عليه زهَير بن القَين في عشرة فكشفهم عن البيوت وقتلوا أبا عزَّة الضَّبابيَّ، وكان من أصحاب شَمِر. وعطف الناس عليهم فكثروهم، وكان إذا قُتل الرجل والرجلان يبين

فيهم لقلَّتهم، وإذا قُتل في أولئك لا يبين فيهم لكثرتهم.

ولمّا حضر وقتُ الصلاة قال أبو ثُمامة الصائديُّ للحسين: نفسي لنفسك الفداء! أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، والله لا تُقْتَل حتى أُقتل دونك، وأُحبّ أن ألقى ربّي وقد صلّيتُ هذه الصلاة! فرفع الحسينُ رأسه، وقال: ذكرتَ الصلاة جعلك الله من المصلّين الذاكرين، نعم هذا أوّل وقتها، ثمَّ قال: سلوهم أن يكفّوا عنّا حتى نصلّي. ففعلوا، فقال لهم الحصين: إنَّها لا تُقبل. فقال له: حبيب بن مُطهَّر: زعمتَ لا تقبل الصلاة من آل رسول الله ﷺ، وتُقبل منك يا حمار! فحمل عليه الحصين، وخرج إليه حبيب فضرب وجه فرسه بالسيف فشبَّ فسقط عنه الحصين فاستنقذه أصحابه، وقاتل حبيب قتالاً شديداً فقتل رجلاً من بني تميم اسمه بُدَيل بن صُرَيم، وحمل عليه آخر من تميم فطعنه فذهب ليقوم فضربه الحُصينُ على رأسه بالسيف فوقع ونزل إليه التميميُّ فاحتز رأسه، فقال له الحصين: أنا شريكك في قتله. فقال الآخر: لا والله! فقال له الحصين: أعطنيه أعلّقه في عنق فرسي كيما يرى الناس أنّي شركتُ في قتله ثمَّ خذْه وامضِ به إلى ابن زياد فلا حاجة لي فيما تُعطاه.

ففعل، وجال به في الناس ثمَّ دفعه إليه، فلمّا رجعوا إلى الكوفة أخذ الرأس، وجعله في عنق فرسه ثمَّ أقبل إلى ابن زياد في القصر، فبصر به القاسم بن حبيب، وقد راهق، فأقبل مع الفارس لا يفارقه، فارتاب به الرجل، فسأله عن حاله، فأخبره وطلب الرأس ليدفنه، فقال: إنَّ الأمير لا يرضى أن يُدفَن وأرجو أن يثيبني الأمير. فقال له: لكنَّ الله لا يثيبك إلاّ أسوأ الثواب. ولم يزل يطلب غِرَّة قاتل أبيه حتى كان زمان مُصْعَب، وغزا باجُمَيْرَى، ودخل القاسم عسكره فإذا قاتل أبيه في فسطاطه فدخل عليه نصف النهار فقتله.

* * *

الحجّاج بن حميد النضري

في سنة عشر ومائة حصر خاقان كَمَرْجه، وهي من أعظم بلدان خراسان، وبها جمع من المسلمين، ومع خاقان أهل فَرْغانة وأفْشينة ونَسَف وطوائف من أهل

بخاري، فأغلق المسلمون الباب وقطعوا القنطرة التي على الخندق. فأتاهم ابن خُسْرو بن يزدجرد، فقال: يا معشر العرب لِمَ تقتلون أنفسكم؟ أنا الذي جئت بخاقان ليردّ عليَّ مملكتي وأنا آخذلكم الأمان. فشتموه. وأتاهم بازغرى في مائتَيْن، وكان داهية، وكان خاقان لا يخالفه، فدنا من المسلمين بأمان وقال: لينزلْ إليَّ رجل منكم أكلِّمه بما أرسلني به خاقان. فأحدروا يزيد بن سعيد الباهليّ، وكان يفهم بالتركيَّة يسيراً، فقال له: إنَّ خاقان أرسلني وهو يقول إنّي أجعل مَنْ عطاؤه منكم ستّمائة ألفاً، ومَنْ عطاؤه ثلاثمائة ستّمائة، وهو يُحْسن إليكم. فقال له يزيد: كيف تكون العرب وهم ذئاب مع الترك وهم شاء! لا يكون بيننا وبينهم صلح. فغضب بازغرى، وكان معه تركيّان، فقالا: ألا تضرب عنقه؟ فقال: إنّه نزل بأمان. وفهم يزيد ما قالا فخاف فقال: بلى، إنّما تجعلوننا تصفين فيكون نصفنا مع أثقالنا ويسير النصف معكم، فإن ظفرتم فنحن معكم، وإن كان غير ذلك كنّا كسائر مدائن الصفد. فرضوا بذلك، وقال: أعرض على أصحابي هذا. وصعد في الحبل، فلمّا صار على السور نادى: يا أهل كمَرْجه اجتمعوا فقد جاءكم قوم يدعونكم إلى الكفر بعد الإيمان، فما ترون؟ قالوا: لا نجيب ولا نرضى. قال: يدعونكم إلى قتال المسلمين مع المشركين. قالوا: نموت قبل ذلك. فرُدَّ بازغرى.

ثمَّ أمر خاقان بقطع الخندق، فجعلوا يلقون الحطبَ الرطب ويُلقي المسلمون الحطب اليابس حتّى سُوّي الخندق فأشعلوا فيه النيران وهاجت ريح شديدة صنعاً من الله فاحترق الحطب، وكانوا جمعوه في سبعة أيّام، في ساعة واحدة.

ثمَّ فرَّق خاقان على الترك أغناماً وأمرهم أن يأكلوا لحمها ويحشوا جلودها تراباً ويكبسوا خندقها، ففعلوا ذلك، فأرسل الله سحابة فمطرت مطراً شديداً، فاحتمل المسيلُ ما في الخندق وألقاه في النهر الأعظم. ورماهم المسلمون بالسهام فأصابت بازغرى نشّابةٌ في سرَّته فمات من ليلته، فدخل عليهم بموته أمر عظيم. فلمّا امتدَّ النهار جاؤوا بالأسرى الذين عندهم، وهم مائة، فيهم أبو العَوْجاء العَتَكيّ والحجاج بن حُمَيد النضريّ، فقتلوهم ورموا برأس الحجّاج، وكان عند المسلمين مائتان من أولاد المشركين رهائن فقتلوهم واستماتوا، واشتدَّ القتال.

* * *

حُجْرُ بنُ عديّ

قيل في قتله: أنَّ زياداً خطب يوم جُمْعَة فأطال الخطبة وأخَّر الصلاة، فقال له حُجْرُ بن عديّ: الصلاة. فمضى في خطبته. فقال له: الصلاة. فمضى في خطبته. فلمّا خشي حُجْرُ بنُ عديّ فوتَ الصلاة ضرب بيده إلى كفّ من حصى وقام إلى الصلاة وقام الناس معه. فلمّا رأى زياد ذلك نزل فصلّى بالناس وكتب إلى معاوية وكثَّر عليه، فكتب إليه معاوية ليشدّه في الحديد ويرسله إليه. فلمّا أراد أخذه قام قومه ليمنعوه، فقال حجر: لا، ولكن سمعاً وطاعةً. فشُدَّ في الحديد وحُمل إلى معاوية، فلمّا دخل عليه قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين! فقال معاوية: أأمير المؤمنين أنا؟ واللّهِ لا أقيلك ولا أستقيلك! أخرجوه فاضربوا عنقه! فقال حجر للذين يلون أمره: دعوني حتّى أصَلّي ركعتين. فقالوا: صلّ، فصلّى ركعتين خفّف فيهما، ثمَّ قال: لولا أن تظنّوا بي غير الذي أردتُ لأطلتهما، وقال لمن حضره من قومه: لا تُطْلِقوا عنّي حديداً ولا تغسلوا عنّي دماً، فإنّي لاقٍ معاوية غداً على الجادّة، وضُربتْ عنقه. قال: فلقيتْ عائشةُ معاويةَ، فقالت له: أين كان حِلْمك عن حُجْر؟ فقال: لم يحضرني رشيد. قال ابن سيرين: بلغَنا أن معاوية لما حضرتْه الوفاةُ جعل يقول: يومي منك يا حجر طويل!

* * *

الحسين وأصحابه

روى الطبري وابن الأثير واليعقوبي والمسعودي أن الحسين عليه السلام لما ورد الطفّ في اثنين وسبعين رجلًا، سيَّر إليه عبيد الله بن زياد عمر بن سعد في أربعة آلاف وكتب إليه:

إذا قتلت حسيناً فأوطىء الخيل صدره وظهره. فلما قتل الحسين وأصحابه، انتدب عمر بن سعد منهم عشرة، فداسوا بالخيل بدن الحسين حتى رضّوا ظهره وصدره، وقطعت رؤوس القتلى، وسلبوا ما كان عليهم من الثياب، وتركت جثثهم عارية ومالوا على ثَقَل الحسين ومتاعه فنهبوه، ومالوا على النساء، وكانت المرأة منهم تنازع ثوبها عن ظهرها حتى تغلب عليه فيذهب به منها.

وبعث عمر بن سعد برأس الحسين إلى ابن زياد من ساعته وأقام بعد المذبحة يومين، ثم ارتحل إلى الكوفة ومعه رؤوس القتلى على أطراف الرماح، وحمل معه بنات الحسين وأخواته، ومن كان معه من الصبيان، فاجتازوا بهن على الحسين وأصحابه صرعى، فصاح النساء، ولطمن خدودهنّ، ثم أدخلوا الرؤوس ومعها النساء والأطفال على ابن زياد، فأبدى ابن زياد للنساء والأطفال من التشفّي والشماتة، ما لم يكن عجيباً من أصله الدّنس وطينته الخبيثة فإنه خاطب النساء والأطفال بقوله: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم. ثم وجّه كلامه إلى إحدى الفتيات فقال لها: كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟ قد شفى الله نفسي من طاغيتك، والعصاة المردة من أهل بيتك. فبكت الفتاة وقالت له: لعمري لقد قتلت كهلي وأبرت أهلي وقطعت فرعي واجتثثت أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت.

ونصب عبيد الله بن زياد رأس الحسين بالكوفة وداروا به فيها، ثم سرح رأس الحسين ورؤوس أصحابه مع نساء الحسين وبناته وأطفاله إلى يزيد بن معاوية بدمشق.

* * *

الحسين بن عليّ بن الحسن

في سنة تسع وستين ومائة، ظهر الحسين بن عليّ بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب بالمدينة، وهو المقتول بفخّ عند مكّة.

وكان سبب ذلك أنّ الهادي استعمل على المدينة عمر بن عبد العزيز بن عمر بن الخطّاب، فلمّا وليها أخذ أبا الزفت الحسن بن محمّد بن عبد الله بن الحسن، ومُسلِم بن جُنْدُب، الشاعر الهُذَليّ، وعمر بن سلاّم، مولى آل عمر، على شَراب لهم؛ فأمر بهم، فضُربوا جميعاً، وجُعل في أعناقهم حبال، وطيف بهم في المدينة، فجاء الحسين بن عليّ إلى العُمَريّ، وقال له: قد ضربتَهم ولم يكن لك أن تضربهم، لأنّ أهل العراق لا يرون به بأساً، فلِمَ تطوف بهم؟ فأمر بهم فرُدّوا، وحبسهم.

ثمّ إنّ الحسين بن علي، ويحيَى بن عبد الله بن الحسن، كفلا الحسن بن محمّد، فأخرجه العُمَريّ من الحبس، وكان قد ضمن بعض آل أبي طالب بعضاً، وكانوا يُعرضون، فغاب الحسن بن محمّد عن القرض يومَين، فأحضر الحسين بن عليّ ويحيَى بن عبد الله، وسألهما عنه، وأغلظ لهما، فحلف له يحيَى أنّه لا ينام حتّى يأتيه به، أو يدقّ عليه باب داره، حتّى يعلم أنّه جاءه به.

فلمّا خرجا، قال له الحسين: سبحان الله! ما دعاك إلى هذا؟ ومن أين تجد حسناً؟ حلفتَ له بشيء لا تقدر عليه. فقال: والله لا نِمْتُ حتّى أضرب عليه باب داره بالسيف. فقال له الحسين: إنّ هذا ينقض ما كان بيننا وبين أصحابنا من الميعاد.

وكانوا قد تواعدوا على أن يظهروا بمنى وبمكّة في الموسم، فقال يحيَى: قد كان ذلك؛ فانطلقا وعملا في ذلك من ليلتهم، وخرجوا آخر اللّيل، وجاء يحيَى حتى ضرب على العُمَريّ باب داره، فلم يجده وجاؤوا، فاقتحموا المسجد وقت الصبح. فلمّا صلّى الحسين الصبح أتاه النّاس، فبايعوه على كتاب الله وسنّة نبيِّه للمرتضى من آل محمد؛ وجاء خالد البريديّ في مائتَين من الجند، وجاء العُمَريّ، ووزير بن إسحاق الأزرق، ومحمّد بن واقد الشَّرَويّ، ومعهم ناس كثير، فدنا خالد منهم، فقام إليه يحيَى وإدريس ابنا عبد الله بن الحسن، فضربه يحيَى على أنفه، فقطعه، ودار له إدريس من خلفه، فضربه فصرعه، ثمّ قتلاه، فانهزم أصحابه ودخل العُمَريّ في المُسَوِّدة، فحمل عليهم أصحاب الحسين، فهزموهم من المسجد، وانتهبوا بيت المال، وكان فيه بضعة عشر ألف دينار، وقيل: سبعون ألفاً، وتفرَّق النَّاس، وأغلق أهل المدينة أبوابهم.

فلمّا كان الغد، اجتمع عليهم شيعة بني العبّاس، فقاتلوهم، وفشت الجراحات في الفريقَين، واقتتلوا إلى الظهر، ثمّ افترقوا؛ ثمّ إنّ مباركاً التركيّ أتى شيعة بني العبّاس من الغد، وكان قدم حاجّاً فقاتل معهم، فاقتتلوا أشدّ قتال إلى منتصف النهار، ثمّ تفرَّقوا، ورجع أصحاب الحسين إلى المسجد، وواعد مباركُ النَاسَ الرواحَ إلى القتال؛ فلمّا غفلوا عنه ركب رواحله وانطلق، وراح النّاس

فلم يجدوه، فقاتلوا شيئاً من قتال إلى المغرب، ثمّ تفرَّقوا.

وقيل: إن مباركاً أرسل إلى الحسين يقول له: والله لأن أسقط من السماء، فتخطفني الطير أيسر عليَّ من أن تشوكك شوكة، أو أقطع من رأسك شعرة، ولكن لا بدّ من الإعذار، فتبيِّتني، فإنّي منهزم عنك. فوجَّه إليه الحسن، وخرج إليه في نفر، فلمّا دنوا من عسكره صاحوا وكبَّروا، فانهزم هو وأصحابه.

وأقام الحسين وأصحابه أيّاماً يتجهَّزون، فكان مقامهم بالمدينة أحد عشر يوماً، ثمّ خرجوا لستٍّ بقين من ذي القعدة، فلمّا خرجوا عاد الناس إلى المسجد، فوجدوا فيه العظام التي كانوا يأكلون وآثارهم، فدعوا عليهم.

ولمّا فارق المدينة، قال: يا أهل المدينة! لا خَلَفَ الله عليكم بخير. فقالوا: بل أنتَ لا خَلَفَ الله عليك ولا ردَّك علينا! وكان أصحابه يُحدِثون في المسجد، فغسله أهل المدينة.

ولمّا أتى الحسين مكَّة أمر، فنودي: أيّما عبدٍ أتانا، فهو حرّ. فأتاه العبيد، فانتهى الخبر إلى الهادي، وكان قد حجَّ تلك السنة رجال من أهل بيته، منهم: سليمان بن المنصور، ومحمّد بن سليمان بن عليّ، والعبّاس بن محمّد بن عليّ، وموسى وإسماعيل ابنا عيسى بن موسى، فكتب الهادي إلى محمّد بن سليمان بتوليته على الحرب، وكان قد سار بجماعة وسلاح من البصرة لخوف الطريق، فاجتمعوا بذي طوىً، وكانوا قد أحرموا بعُمْرة، فلمّا قدموا مكَّة طافوا وسعوْا، وحلّوا من العُمْرة، وعسكروا بذي طوًى، وانضمَّ إليه مَنْ حجَّ من شيعتهم ومواليهم وقوّادهم.

ثمّ إنّهم اقتتلوا يوم التروية، فانهزم أصحاب الحسين، وقُتل منهم، وجُرح، وانصرف محمّد بن سليمان ومَنْ معه إلى مكّة، ولا يعلمون ما حال الحسين، فلمّا بلغوا ذا طُوًى، لحقهم رجل من أهل خراسان يقول: البشرى، البشرى، هذا رأس الحسين! فأخرجه، وبجبهته ضربةٌ طولى، وعلى قفاه ضربة أخرى، وكانوا قد نادوا الأمان، فجاء الحسن بن محمّد بن عبد الله، أبو الزفت، فوقف خلف محمّد بن

سليمان، والعبّاس بن محمّد، فأخذه موسى بن عيسى، وعبد الله بن العبّاس بن محمّد، فقتلاه، فغضب محمّد بن سليمان غضباً شديداً، وأخذ رؤوس القتلى، فكانت مائة رأس ونيفاً، وفيها رأس الحسن بن محمّد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ، وأُخذت أخت الحسين، فتُركت عند زينب بنت سليمان؛ واختلط المنهزمون بالحاجّ، وأُتي الهادي بستّة أسرى، فقتل بعضهم، واستبقى بعضهم، وغضب على موسى بن عيسى كيف قتل الحسن بن محمّد، وقبض أمواله، فلم تزل بيده حتّى مات؛ وغضب على مُبارك التركيّ، وأخذ ماله، وجعله سائس الدوابّ، فبقي كذلك حتى مات الهادي.

وأفلت من المنهزمين إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ، فأتى مصرَ وعلى بريدها واضح مولى صالح بن المنصور، وكان شيعياً لعليّ، فحمله على البريد إلى أرض المغرب، فوقع بأرض طَنْجة، بمدينة وَليلة، فاستجاب له مَنْ بها من البربر، فضرب الهادي عنق واضح وصلبه.

وقيل: إن الرشيد هو الذي قتله. وإنّ الرشيد دسَّ إلى إدريس الشمّاخ اليَماميَّ، مولى المهديّ، فأتاه وأظهر أنّه من شيعتهم، وعظّمه، وآثره على نفسه، فمال إليه إدريس، وأنزله عنده، ثمّ إنّ إدريس شكا إليه مرضاً في أسنانه، فوصف له دواء، وجعل فيه سمّاً، وأمره أن يستنَّ به عند طلوع الفجر، فأخذه منه، وهرب الشمّاخ؛ ثمّ استعمل الدواء، فمات منه، فولّى الرشيدُ الشمّاخ بريد مصر.

ولمّا مات إدريس بن عبد الله خلف مكانه ابنه إدريس بن إدريس وأعقب بها، وملكوها، ونازعوا بني أميّة في إمارة الأندلس، وحُملت الرؤوس إلى الهادي، فلمّا وُضع رأس الحسين بين يديّ الهادي، قال: كأنّكم قد جئتم برأس طاغوت من الطواغيت! إنّ أقلّ ما أجزيكم به أن أحرمكم جوائزكم، فلم يُعْطِهم شيئاً.

وكان الحسين شجاعاً، كريماً، قدم على المهديّ، فأعطاه أربعين ألف دينار، ففرّقها في النّاس ببغداذ والكوفة، وخرج من الكوفة لا يملك ما يلبسه إلاّ فرواً ليس تحته قميص.

* * *

الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان

في سنة ست وتسعين ومائة، كان الرشيد قد قبض على عبد الملك بن صالح، وحبسه، فلم يزل محبوساً حتّى مات الرشيد، فأخرجه الأمين من الحبس في ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين ومائة، وأحسن إليه، فشكر عبد الملك ذلك له.

فلمّا كان من طاهر ما كان، دخل عبدا لملك على الأمين، فقال له: يا أمير المؤمنين! أرى الناس قد طمعوا فيك، وجندك قد أعيَتْهم الهوّام، وأضعفتهم الحروب، وامتلأت قلوبهم هيبة لعدوِّهم، فإن سيَّرتَهم إلى طاهر غلب بقليل مَنْ معه كثيرهم، وهزم بقوَّة نيَّته ضعف نصائحهم ونيّاتهم، وأهل الشام قوم ضرَّستهم الحرب، وأدَّبتهم الشدائد، وكلّهم منقاد إليَّ، متنازع إلى طاعتي، وإن وجَّهني أمير المؤمنين اتخذتُ له منهم جنداً يعظم نكايتهم في عدوِّه؛ فولّاه الأمين الشامَ والجزيرة وقوّاه بمال ورجال، وسيَّره سيراً حثيثاً.

فسار حتّى نزل الرَّقّة، وكاتب رؤساء أهل الشام، وأهل القوّة، والجلد، والبأس، فأتوه رئيساً بعد رئيس، وجماعة بعد جماعة، فأكرمهم، ومنّاهم وخلع عليهم، وكثر جمعه، فمرض واشتدَّ مرضه. ثمّ إنّ بعض جنود خراسان المقيمين في عسكر الشام رأى دابّة كانت أُخذت منه في وقعة سليمان بن أبي جعفر تحت بعض الزواقيل من أهل الشام أيضاً، فتعلّق بها، واجتمع جماعة من الزواقيل والجند، فتضاربوا، واجتمعت الأبناء، وتألّبوا، وأتوا الزّواقيل وهم غارّون، فوضعوا فيهم السيوف، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وتنادى الزواقيل، فركبوا خيولهم ونشبت الحرب بينهم.

وبلغ ذلك عبد الملك، فوجَّه إليهم يأمرهم بالكفِّ، فلم يفعلوا، واقتتلوا يومهم ذلك قتالاً شديداً، وأكثرت الأبناء القتل في الزواقيل، فأُخبر عبد الملك بذلك، وكان مريضاً مُدنفاً، فضرب بيده على يد، وقال: واذلّاه! تستضام العرب في دورها وبلادها! فغضب مَنْ كان أمسك عن الشرّ من الأبناء، وتفاقم الأمر، وقام بأمر الأبناء، الحسين بن عليّ بن عيسى بن ماهان، وأصبح الزواقيل، فاجتمعوا بعد بالرَّقّة، واجتمع الأبناء وأهل خُراسان بالرافعة، وقام رجل من أهل حِمْص، فقال:

يا أهل حِمْص! الهرب أهون من العطف، والموتُ أهون من الذلّ، إنّكم قد بعدتم عن بلادكم، ترجون الكثرة بعد القلّة، والعزّة بعد الذلّة، ألا وفي الشرِّ وقعتم، وفي حومة الموت أنختم، إنّ المنايا في شوارب المسوِّدة وقلانسهم، النفيرَ النفيرَ، يقبل أن ينقطع السبيل، وينزل الأمر الجليل، ويفوت المطلب، ويعسر المهرب.

وقام رجل من كلب في غَرْز ناقته، فقال نحواً من ذلك، ثمّ قال: ألا وإنّي سائر، فمن أراد الانصراف، فلينصرف معي! ثمّ سار، فسار معه عامّة أهل الشام، وأحرقت الزواقيل، ما كان التجّار قد جمعوه من الأعلاف، وأقبل نصر بن شَبَث العُقَيْليّ، ثمّ حمل وأصحابه، فقاتل قتالاً شديداً، وصبر الجند لهم، وكان أكثرُ القتل في الزواقيل لكثير بن قادرة، وأبي الفيل، وداوود بن موسى بن عيسى الخراساني، وانهزمت الزواقيل، وكان على حاميتهم يومئذٍ نصر بن شَبَث، وعمرو بن عبد العزيز السُّلَميُّ، والعبّاس بن زُفَر الكلابيُّ، ثمّ توفِّي عبد الملك بن صالح بالرَّقَّة في هذه السنة. فنادى الحسين بن عليّ بن عيسى بن ماهان في الجند، فجعل الرجّالة في السفن، وسار الفرسان على الظهر في رجب، فلمّا قدم بغداذ لقيه القوّاد وأهل بغداذ، وعُملت له القباب، ودخل منزله؛ فلمّا كان جوف اللّيل بعث إليه الأمين يأمره بالركوب إليه، فقال للرسول: ما أنا بمغنٍّ، ولا مسامر، ولا مضحك، ولا وليتُ له عملاً ولا مالاً، فلأيّ شيء يريدني هذه الساعة؟ انصرفْ، فإذا أصبحتُ غدوتُ إليه، إن شاء الله.

وأصبح الحسين، فوافى باب الجسر، واجتمع إليه النّاس، فقال: يا معشر الأبناء! إنّ خلافة الله لا تُجاوز بالبَطَر، ونعمته لا تُستصحب بالتجبّر، وإن محمداً يريد أن يوقع أديانكم، وينقل عزّكم إلى غيركم، وهو صاحب الزواقيل، وبالله إن طالت به مدّة ليرجعنّ وبالُ ذلك عليكم، فاقطعوا أثره قبل أن يقطع آثاركم، وضعوا عزّه قبل أن يضع عزَّكم، فوالله لا ينصره ناصر منكم إلّا خذل، وما عند الله، عزَّ وجلَّ، لأحد هوادة، ولا يراقب على الاستخفاف بعهوده، والحنث بأيمانه.

ثمَّ أمر النّاس بعبور الجسر، وصاروا إلى سكّة باب خُراسان، وتسرَّعت خيول الأمين إلى الحسين، فقاتلوه قتالاً شديداً، فانهزم أصحاب الأمين وتفرَّقوا، فخلع

الحسينُ الأمينَ يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب، وأخذ البَيعة للمأمون من الغد يوم الاثنين.

فلمّا كان يوم الثلاثاء، وثب العبّاس بن موسى بن عيسى بالأمين، فأخرجه من قصر الخُلْد، وحبسه بقصر المنصور، وأخرج أمّه زُبيدة أيضاً، فجعلها مع ابنها؛ فلما كان يوم الأربعاء، طالب الناس الحسين بالأرزاق وماجوا بعضهم في بعض، فقام محمّد بن خالد بباب الشام، فقال: أيّها النّاس! والله ما أدري بأيِّ سبب يأمر الحسين بن عليّ علينا، ويتولّى هذا الأمر دوننا؟ ما هو بأكبرنا سنّاً، وما هو بأكبرنا حسباً، ولا بأعظمنا منزلةً وغنًى ، وإنّي أوّلكم أنقض عهده، وأظهر الإنكار لفعله، فمن كان على رأيي فليعتزلْ معي.

وقال أسد الحربيُّ: يا معشر الحربيّة! هذا يوم له ما بعده، إنّكم قد نمتُم فطال نومكم، وتأخّرتم فتقدّم عليكم غيركم، وقد ذهب أقوام بخلع الأمين، فاذهبوا أنتم بذكر فكّه وإطلاقه.

وأقبل شيخ على فرس، فقال: أيّها النّاس! هل تعتدون على محمّد بقطع أرزاقهم؟ قالوا: لا ! قال: فهل قصر بأحد من رؤسائكم، وعزل أحداً من قوّادكم؟ قالوا: لا! قال: فما بالكم خذلتموه، وأعنتم عدوّه على أسره، وأيم الله ما قتل قوم خليفتهم إلاّ سلّط الله عليهم السيف؛ انهضوا إلى خليفتكم، فقاتلوا عنه مَنْ أراد خلعه، فنهضوا وتبعهم أهل الأرباض، فقاتلوا الحسين قتالاً شديداً، فأُسر الحسين بن عليّ، ودخل أسد الحربيُّ على الأمين، فكسر قيوده، وأقعده في مجلس الخلافة.

ورأى الأمين أقواماً ليس عليهم لباس الجند، وأمرهم بأخذ السلاح، فانتهبته الغوغاء، ونهبوا غيره، وحُمل إليه الحسين أسيراً، فلامه، فاعتذر له الحسين، فأطلقه، وأمر بجمع الجند، ومحاربة أصحاب المأمون وخلع عليه وولاه ما وراء بابه، وأمره بالمسير إلى حلوان، فوقف الحسين بباب الجسر والناس يهنّئونه، فلمّا خفَّ عنه النّاس قطع الجسر وهرب، فنادى الأمين في الجند يطلبه، فركبوا كلُّهم، فأدركوه بمسجد كوْثر على فرسخ من بغداذ، فقاتلهم، فعثر به فرسه، فسقط عنه، فقتل وأخذوا رأسه،

وقيل: إنّ الأمير كان استوزره، وسلَّم إليه خاتمه، وجدَّد الجند البيعة للأمين، بعد مقتل الحسين بيوم، وكان قتله خامس عشر رجب، فلمّا قُتل الحسين بن عليّ هرب الفضل بن الربيع واختفى.

* * *

حمدون بن نصر

في سنة إحدى عشرة ومائتين وقع الاختلاف بين عامر بن نافع وبين منصور بن نصر بأفريقية، وسبب ذلك أنّ منصوراً كان كثير الحسد... وسار بهم من تونس إلى منصور وهو بقصره بطُنْبُذة، فحصره، حتّى فني ما كان عنده من الماء، فراسله منصور، وطلب منه الأمان على أن يركب سفينة ويتوجَّه إلى المشرق، فأجابه إلى ذلك، فخرج منصور أوّل اللّيل مختفياً يريد الأربس، فلمّا أصبح عامر ولم يرَ لمنصور أثراً طلبه حتى أدركه، فاقتتلوا وانهزم منصور، ودخل الأربس فتحصَّن بها، وحصره عامر، ونصب عليه منجنيقاً.

فلمّا اشتدَّ الحصار على أهل الأربس، قالوا لمنصور: إمّا أن تخرج عنّا، وإلّا سلَّمناك إلى عامر، فقد أضرَّ بنا الحصار، فاستمهلهم حتّى يصلح أمره، فأمهلوه، وأرسل إلى عبد السلام بن المفرَّج، وهو من قوّاد الجيش، يسأله الاجتماع به، فأتاه، فكلَّمه منصور من فوق السور، واعتذر، وطلب منه أن يأخذ له أماناً من عامر حتى يسير إلى المشرق، فأجابه عبد السلام إلى ذلك، واستعطف له عامراً، فأمَّنه على أن يسير إلى تونس، ويأخذ أهله وحاشيته ويسير بهم إلى المشرق.

فخرج إليه، فسيَّره مع خيل إلى تونس، وأمر رسوله سرّاً أن يسير به إلى مدينة جَرْبَة، ويسجنه بها، ففعل ذلك، وسجن معه أخاه حمدون.

فلمّا علم عبد السلام ذلك عظم عليه، وكتب عامر إلى أخيه، وهو عامله على جَرْبَة، يأمره بقتل منصور وأخيه حمدون، ولا يراجع فيهما، فحضر عندهما، وأقرأهما الكتاب، فطلب منصور منه دواة وقرطاساً ليكتب وصيّته، فأمر له بذلك، فلم يقدر أن يكتب، وقال: فاز المقتول بخير الدنيا والآخرة، ثمّ قتلهما، وبعث برأسيهما إلى أخيه، واستقامت الأمور لعامر بن نافع، ورجع عبد السلام بن المفرَّج

إلى مدينة باجة، وبقي عامر بن نافع بمدينة تونس، وتوفّي سلخ ربيع الآخر، سنة أربع عشرة ومائتين؛ فلمّا وصل خبره إلى زيادة الله، قال: الآن وضعت الحرب أوزارها، وأرسل بنوه إلى زيادة الله يطلبون الأمان، فأمَّنهم، وأحسن إليهم.

* * *

خارجيٌّ من البربر

في سنة مائتين، خرج خارجيٌّ من البربر بناحية مَوْرُور، من الأندلس، ومعه جماعة، فوصل كتاب العامل إلى الحكَم بخَبره، فأخفى الحكَم خبرَه، واستدعى من ساعته قائداً من قوّاده، فأخبره بذلك سرّاً، وقال له: سِرْ من ساعتك إلى هذا الخارجيُّ، فأتِني برأسه، وإلاّ فرأسك عوضه، وأنا قاعد مكاني هذا إلى أن تعود.

فسار القائد إلى الخارجيّ، فلمّا قاربه سأل عنه، فأُخبر عنه باحتياط كثير، واحتراز شديد، ثمّ ذكر قول الحكَم: إن قتلتَهُ وإلاّ فرأسك عوضه، فحمل نفسه على سُلُوك سبيل المخاطرة، فأعمل الحيلة، حتى دخل عليه، وقتله، وأحضر رأسه عند الحكَم، فرآه بمكانه ذلك لم يتغيَّر منه، وكانت غيبته أربعة أيّام.

فلمّا رأى رأسه، أحسن إلى ذلك القائد، ووصله وأعلى محلَّه.

* * *

خالد المروزي

في سنة إحدى وثلاثمائة، ولمّا قُتل الأمير أحمد بن إسماعيل خالف أهل سجِستان على ولده نصر، وانصرف عنها سيمجور الدواتيُّ، فولاّها المقتدر بالله بدراً الكبير، فأنفذ إليها الفضلَ بن حميد، وأبا يزيد خالد بن محمد المروزي، وكان عبيدُ الله بن أحمد الجَيْهانيُّ ببُستَ، والرُّخّج، وسعد الطالقانيُّ بغَزنة من جهة السعيد نصر بن أحمد، فقصدهما الفضل وخالد، وانكشف عنهما عبيد الله، وقبضا على سعد الطالقانيّ، وأنفذاه إلى بغداذ، واستولى الفضل وخالد على غزنة وبُست، ثمّ اعتلّ الفضل، وانفرد خالد بالأمور، وعصى على الخليفة، فأنفذ إليه دركاً أخا نجح الطولونيّ، فقاتله، فهزمه خالد.

وسار خالد إلى كَرْمان، فأنفذ إليه بدر جيشاً، فقاتلهم خالد، فجُرح، وانهزم أصحابه، وأُخذ أسيراً، فمات، فحمل رأسه إلى بغداذ.

* * *

خالد بن محمّد المادرائيُّ

في سنة أربع وثلاثمائة، خالف أبو يزيد خالد بن محمّد المادرائي على المقتدر بالله بكرمان، وكان يتولّى الخراج، وسار منها إلى شيراز يريد التغلّب على فارس، فخرج إليه بدر الحمّاميُّ، فحاربه وقتله، وحُمل رأسه إلى بغداذ وطيف به.

* * *

الخبيث

كان الموفَّق قد عاد من حرب الزنج مؤيّداً بالظفر، فلمّا عاد عن قتالهم إلى مدينة المُوفَّقية، عزم على مناجزة الخبثاء، فأتاه كتاب لؤلؤ غلام ابن طولون يستأذنه في المسير إليه، فأذن له وترك القتال ينتظره ليحضر القتال، فوصل إليه ثالث المحرَّم من هذه السنة في جيشٍ عظيم، فأكرمه الموفَّق، وأنزله، وخلع عليه وعلى أصحابه ووصلهم، وأحسن إليهم، وأمر لهم بالأرزاق على قدر مراتبهم، وأضعف ما كان لهم، ثمَّ تقدَّم إلى لؤلؤ بالتأهّب لحرب الخبثاء.

وكان الخبيث، لمّا غُلب على نهر أبي الخصيب، وقطعت القناطر والجسور التي عليه، أحدث سِكراً في النهر من جانبَيْه، وجعل في وسط النهر باباً ضيِّقاً لتُحْتدّ جرية الماء فيه، فتمتنع الشذَا من دخوله في الجَزْر، ويتعذَّر خروجها منه في المدّ، فرأى الموفَّق أن جريه لا يتهيَّأ إلاّ بقلع هذا السِّكر، فحاول ذلك، فاشتدَّت محاماة الخبثاء عليه، وجعلوا يزيدون كلَّ يوم فيه، وهو متوسّط دورهم، والمروية تسهل عليهم، وتعظم على من أراد قلعه، فشرع في محاربتهم بفريق بعد فريق من أصحاب لؤلؤ ليتمرَّنوا على قتالهم، ويقفوا على المسالك والطرق في مدينتهم، فأُمر لؤلؤاً أن يحضر في جماعة من أصحابه للحرب على هذا السِّكر، ففعل، فرأى الموفَّق من شجاعة لؤلؤ وإقدامه وشجاعة أصحابه ما سرَّه، فأمر لؤلؤاً بصرفهم إشفاقاً عليهم، ووصلهم الموفَّق وأحسن إليهم وألحَّ الموفَّق على هذا السِّكر، وكان

يحارب المحامين عليه بأصحابه وأصحاب لؤلؤ وغيرهم، والفَعْلة يعملون في قلعه، ويحارب الخبيث وأصحابه في عدَّة وجوه، ويحرق مساكنهم، ويقتل مقاتليهم، واستأمن إليه الجماعة، وكان قد بقي للخبيث وأصحابه بقيَّة من أرضين بناحية النهر الغربيّ، لهم فيها مزارع وحصون وقنطرتان، وبه جماعة يحفظونه، فسار إليهم أبو العبّاس، وفرَّق أصحابه من جهاتهم، وجعل كميناً، ثمّ أوقع بهم فانهزموا، فكلَّما قصدوا جهةً خرج عليهم من يقاتلهم فيها، فقُتلوا عن آخرهم لم يسلم منهم إلّا الشريد، فأخذوا من أسلحتهم ما أثقلهم حمله، وقطع القنطرتَيْن، ولم يزل الموفَّق يقاتلهم على سِكرهم، حتّى تهيَّأ له فيه ما أحبَّه في خرقه.

فلمّا فُرغ منه عزم على لقاء الخبيث، فأمر بإصلاح السفن والآلات للماء والظهر، وتقدَّم إلى أبي العبّاس ابنه أن يأتي الخبيثَ من ناحية دار المهلَّبيّ، وفرَّق العساكر من جميع جهاته، وأضاف المستأمنة إلى شبل، وأمره بالجدِّ في قتال الخبيث، وأمر الناس أن لا يزحف أحد حتى يحرِّك علماً أسود كان نصبه على دار الكرمانيّ وحتى ينفخ في بوق بعيد الصوت.

وكان عبوره يوم الإثنين لثلاث بقين من المحرَّم، فعجل بعض الناس، وزحف نحوهم، فلقيه الزُّنج، فقتلوا منهم، وردّوهم إلى مواقفهم، ولم يعلم سائر العسكر بذلك لكثرتهم،، وبُعْد المسافة فيما بين بعضهم وبعض، وأمر الموفّق بتحريك العلم الأسود، والنفخ في البوق، فزحف الناس في البرّ والماء يتلو بعضهم بعضاً، فلقيهم الزنج وقد حشدوا واجترأوا، بما تهيَّأ لهم، على من كان يسرع إليهم، فلقيهم الجيش بنيّات صادقة، وبصائر نافذة، واشتدَّ القتال، وقُتل من الفريقَيْن جمعٌ كثير، فانهزم أصحاب الخبيث، وتبعهم أصحاب الموفَّق يقتلون ويأسرون، واختلط بهم ذلك اليوم أصحاب الموفَّق، فقُتل منهم ما لا يُحصى عدداً، وغرق منهم مثل ذلك، وحوى الموفَّق المدينة بأسرها، فغنمها أصحابه، واستنفذوا من كان بقي من الأسرى من الرجال، والنساء والصبيان، وظفروا بجميع عيال عليّ بن أبان المهلَّبيّ، وبأخويه: الخليل، ومحمّد، وأولادهما، وعُبر بهم إلى المدينة الموفَّقية.

ومضى الخبيث في أصحابه، ومعه ابنه إنكلاي، وسليمان بن جامع، وقوّاد من الزنج وغيرهم، هاربين، عامدين إلى موضع كان الخبيث قد أعدَّه ملجأ إذا غُلب على مدينته، وذلك المكان على النهر المعروف بالسفيانيّ، وكان أصحاب الموفَّق قد اشتغلوا بالنهب والإحراق، وتقدَّم الموفَّق في الشذا نحو نهر السفيانيّ، ومعه لؤلؤ وأصحابه، فظنَّ أصحاب الموفَّق أنَّه رجع إلى مدينتهم الموفَّقية، فانصرفوا إلى سفنهم بما قد حووا، وانتهى الموفَّق ومَنْ معه إلى عسكر الخبيث وهم منهزمون، واتَّبعهم لؤلؤ في أصحابه، حتى عبر السفيانيّ، فاقتحم لؤلؤ بفرسه، واتَّبعه أصحابه، حتى انتهى إلى النهر المعروف بالفِرَبْري، فوصل إليه لؤلؤ وأصحابه، فأوقعوا به وبمن معه، فهزمهم حتى عبر نهر السفيانيّ، ولؤلؤ في أثرهم، فاعتصموا بجبل وراءه، وانفرد لؤلؤ وأصحابه باتِّباعهم إلى هذا المكان في آخر النهار، فأمر الموفَّق بالإنصراف، فعاد مشكوراً محموداً لفعله، فحمله الموفَّق معه، وجدَّد له من البرّ والكرامة ورفعة المنزلة، ما كان مستحقاً له، ورجع الموفَّق، فلم يرَ أحداً من أصحابه بمدينة الزنج، فرجع إلى مدينته واستبشر الناس بالفتح وهزيمة الزنج وصاحبهم.

وكان الموفَّق قد غضب على أصحابه، بمخالفتهم أمره، وتركهم الوقوف حيث أمرهم، فجمعهم جميعاً ووبَّخهم على ذلك، وأغلظ لهم، فاعتذروا بما ظنّوه من انصرافه، وأنَّهم لم يعلموا بمسيره، ولو علموا ذلك لأسرعوا نحوه، ثمّ تعاقدوا وتحالفوا بمكانهم على أن لا ينصرف منهم أحد إذا توجَّهوا نحو الخبيث حتى يظفروا به، فإن أعياهم أقاموا بمكانه حتى يحكم الله بينهم وبينه. وسألوا الموفَّق أن يردَّ السفن التي يعبرون فيها إلى الخبيث لينقطع الناس عن الرجوع، فشكرهم وأثنى عليهم وأمرهم بالتأهّب.

وأقام الموفَّق بعد ذلك إلى الجمعة يصلح ما يحتاج الناس إليه، وأمر الناس عشيَّة الجمعة بالمسير إلى حرب الخبثاء بُكرة السبت، وطاف عليهم هو بنفسه يعرِّف كلَّ قائد مركزه، والمكان الذي يقصده، وغدا الموفَّق يوم السبت لِلَيْلَتَيْنِ خلتا من صفر، من سنة سبعين ومائتين، فعبر بالناس، وأمر بردِّ السفن، فرُدَّت، وسار

يقدمهم إلى المكان الذي قدَّر أن يلقاهم فيه.

وكان الخبيث وأصحابه قد رجعوا إلى مدينتهم بعد انصراف الجيش عنهم، وأمَّلوا أن تتطاول بهم الأيّام وتندفع عنهم المناجزة، فوجد الموفَّق المتسرِّعين من فرسان غلمانه والرَّجالة قد سبقوا الجيش، فأوقعوا بالخبيث وأصحابه وقعة هزموهم بها، وتفرَّقوا لا يلوى بعضهم على بعض، وتبعهم أصحاب الموفَّق يقتلون ويأسرون من لحقوا منهم. وانقطع الخبيث في جماعة من حُماة أصحابه، وفيهم المهلَّبيُّ، وفارقه ابنه إنكلاي، وسليمان بن جامع، فقصد كلّ فريق منهم جمعاً كثيفاً من الجيش.

وكان أبو العبّاس قد تقدَّم، فلقيَ المنهزمين في الموضع المعروف بعسكر رَيحان، فوضع أصحابه فيهم السلاح، ولقيهم طائفة أخرى، فأوقعوا بهم أيضاً، وقتلوا منهم جماعة، وأسروا سليمان بن جامع، فأتوا به الموفَّق من غير عهد ولا عقد، فاستبشر الناس بأسره، وكثر التكبير، وأيقنوا بالفتح، إذ كان أكثر أصحاب الخبيث غَناءً عنه؛ وأُسر من بعده إبراهيم بن جعفر الهمدانيُّ، وكان أحد أمراء جيوشه، فأمر الموفَّق بالإستيثاق منهم، وجعلهم في شذاة لأبي العبّاس.

ثمّ إنّ الزنج الذين انفردوا مع الخبيث، حملوا على الناس حملة أزالوهم عن مواقفهم، ففتروا، فأحسَّ الموفَّق بفتورهم، فجدَّ في طلب الخبيث وأمعن، فتبعه أصحابه، وانتهى الموفَّق إلى آخر نهر أبي الخصيب، فلقيه البشير بقتل الخبيث، وأتاه بشير آخر ومعه كفّ، ذكر أنّها كفّه، فقوي الخبر عنده، ثمّ أتاه غلام من أصحاب لؤلؤ يركض ومعه رأس الخبيث، فأدناه منه، وعرضه على جماعة المستأمِنة فعرفوه، فخرَّ لله ساجداً، وسجد معه الناس، وأمر الموفَّق برفع رأسه على قناة، فتأمَّله الناس، فعرفوه، وكثر الضجيج بالتحميد.

* * *

داود بن هُبَيْرة

في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، كان يزيد بن هُبَيْرة قد انهزم إلى واسط وتحصَّن

بها، بعدما لقيه الجيش من أهل خراسان مع قَحْطبة، ثم مع ابنه الحسن. وكان لمّا انهزم قد وكّل بالأثقال قوماً، فذهبوا بها، فقال له حَوْثرة: أين تذهب وقد قُتل صاحبهم؟ يعني قحطبة، امضِ إلى الكوفة ومعك جند كثير، فقاتلْهم حتّى تُقْتَل أو تظفر. قال: بل نأتي واسطاً فننظر. قال: ما تزيد على أن تمكّنه من نفسك وتُقتل.

وقال يحيى بن حُضَيْن: إنّك لو تأتي مروان بشيء أحبّ إليه من هذه الجنود، فالزمِ الفرات حتّى تأتيه، وإيّاك وواسطاً فتصير في حصار وليس بعد الحصر إلاّ القتل. فأبى.

وكان يخاف مروان لأنّه كان يكتب إليه بالأمر فيخالفه، فخاف أن يقتله، فأتى واسطاً فتحصَّن بها، وسيَّر أبو سَلِمة إليه الحسنَ بن قحطبة فحصره، وأوّل وقعة كانت بينهم يوم الأربعاء. قال أهل الشام لابن هُبَيْرة: إيذنْ لنا في قتالهم. فأذن لهم، فخرجوا وخرج ابن هُبَيْرة وعلى ميمنته ابنه داود، فالتقوا وعلى ميمنة الحسن خازم بن خُزَيْمة، فحمل خازم على ابن هبيرة، فانهزم هو ومَنْ معه وغصَّ الباب بالناس، ورمى أصحابه بالعرّادات، ورجع أهل الشام، فكرَّ عليهم الحسن واضطرَّهم إلى دجلة، ففرق منهم ناس كثيرة فتلقّوهم بالسفن وتحاجزوا، فمكثوا سبعة أيّام ثمَّ خرجوا إليهم فاقتتلوا وانهزم أهلُ الشام هزيمةً قبيحة، فدخلوا المدينة، فمكثوا ما شاء الله لا يقاتلون إلاّ رمياً.

وبلغ ابن هُبَيْرة، وهو في الحصار، أنَّ أبا أميّة التغلبيّ قد سوَّد فأخذه وحبسه، فتكلّم ناسٌ من ربيعة في ذلك ومعنُ بن زائدة الشيبانيّ وأخذوا ثلاثة نفر من فزارة رهط ابن هبيرة فحبسوهم. وشتموا ابن هبيرة وقالوا: لا نترك ما في أيدينا حتّى يترك ابنُ هبيرة صاحبنَا. وأبى ابنُ هبيرة أن يطلقه، فاعتزل معن وعبد الرحمن بن بَشير العِجْليّ فيمَنْ معهما. فقيل لابن هبيرة: هؤلاء فرسانك قد أفسدتَهم، وإن تماديت في ذلك كانوا أشدّ عليك ممَّنْ حصرك. فدعا أبا أميّة فكساه وخلّى سبيله، فاصطلحوا وعادوا إلى ما كانوا عليه.

وقدم أبو نصر مالك بن الهَيْثم من ناحية سِجِسْتان إلى الحسن، فأوفد الحسنُ

وفداً إلى السفّاح بقدوم أبي نصر عليه، وجعل على الوفد غَيْلان بن عبد الله الخُزاعيّ، وكان غيلان واجداً على الحسن لأنَّه سرَّحه إلى رَوْح بن حاتم مدداً له، فلمّا قدم على السفّاح، وقال: أشهد أنَّك أمير المؤمنين، وأنَّك حبلُ الله المتين، وأنَّك إمام المتَّقين. قال: حاجتَك يا غَيْلان؟ قال: استغفرك. قال: غفر الله لك. قال غيلان: يا أمير المؤمنين مُنَّ علينا برجل من أهل بيتك. قال: أوَليس عليكم رجل من أهل بيتي الحسن بن قَحْطبة؟ قال: يا أمير المؤمنين مُنَّ علينا برجل من أهل بيتك ننظر إلى وجهه وتقرّ أعيننا به. فبعث أخاه أبا جعفر لقتال ابن هبيرة عند رجوعه من خراسان. وكتب إلى الحسن: إنَّ العسكر عسكرك، والقوّاد قوّادك، ولكن أحببتُ أن يكون أخي حاضراً، فاسْمع له وأطعْ وأحسن موازرته. وكتب إلى مالك بن الهَيْثم بمثل ذلك. وكان الحسن هو المدبّر لأمر ذلك العسكر.

فلمّا قدم أبو جعفر المنصور على الحسن تحوَّل الحسن عن خيمته وأنزله فيها، وجعل الحسنُ على حرس المنصور عثمانَ بن نَهيك.

وقاتلهم مالك بن الهَيْثم يوماً فانهزم أهل الشام إلى خنادقهم وقد كمَّن لهم معنٌ وأبو يحيى الجُذاميّ. فلمّا جازهم أصحابُ مالك خرجوا عليهم فقاتلوهم حتّى جاء الليل، وابن هبيرة على برج الخَلاّلين، فاقتتلوا ما شاء الله من الليل، وسرَّح ابنُ هبيرة إلى معن ومحمَّد بن نُباتة، فقاتلهم أصحاب الحسن فهزموهم إلى دجلة حتّى تساقطوا فيها ورجعوا وقد قُتل ولد مالك بن الهَيْثم، فلمّا رآه أبوه قتيلاً قال: لعن الله الحياة بعدك! ثمَّ حملوا على أهل واسط فقاتلوهم حتّى أدخلوهم المدينة.

وكان مالك يملأ السفن حطباً ثمَّ يضرمها ناراً لتحرق ما مرَّت به، فكان ابنُ هبيرة يجرّ تلك السفن بكلاليب، فمكثوا كذلك أحد عشرَ شهراً.

فلمّا طال عليهم الحصار طلبوا الصلح، ولم يطلبوه حتّى جاءهم خبر قتل مروان، أتاهم به إسماعيلُ بن عبد الله القَسْريّ وقال لهم: علامَ تقتلون أنفسكم وقد قُتل مروان؟ وتجنّى أصحاب ابن هبيرة عليه، فقالت اليمانيَّة: لا نعين مروان وآثاره

فينا آثاره. وقالت النزارية: لا نقاتل حتّى تقاتل معنا اليمانيَّة، وكان يقاتل معه صعاليكُ الناس وفتيانهم.

وهمّ ابنُ هبيرة بأن يدعو إلى محمَّد بن عبد الله بن الحسن بن عليّ، فكتب إليه، فأبطأ جوابه، وكاتب السفّاحُ اليمانيَّةَ من أصحاب ابن هبيرة وأطمعهم، فخرج إليه زياد بن صالح وزياد بن عبد الله الحارثيّان ووعدا ابن هبيرة أن يصلحا له ناحية ابن العبّاس، فلم يفعلا، وجرت السفراء بين أبي جعفر وابن هبيرة حتّى جعل له أماناً وكتب به كتاباً مكث ابنُ هبيرة يشاور فيه العلماء أربعين يوماً حتّى رضيه فأنفذه إلى جعفر، فأنفذه أبو جعفر إلى أخيه السفّاح فأمره بإمضائه.

وكان رأي أبي جعفر الوفاء له بما أعطاه، وكان السفّاح لا يقطع أمراً دون أبي مسلم، وكان أبو الجَهْم عيْناً لأبي مسلم على السفّاح، فكتب السفّاحُ إلى أبي مسلم يُخْبره أمر ابن هبيرة، فكتب أبو مسلم إليه: إنَّ الطريق السهل إذا ألقيتَ فيه الحجارةَ فسد، لا والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة.

ولمّا تمَّ الكتاب خرج ابنُ هبيرة إلى أبي جعفر في ألف وثلاثمائة من البخاريَّة، وأراد أن يدخل على دابّته، فقام إليه الحاجب سلّام بن سليم، فقال: مرحباً بك أبا خالد، انزلْ راشداً! وقد أطاف بحجرة المنصور عشرة آلاف من أهل خراسان، فنزل ودعا له بوسادة ليجلس عليها، وأدخل القوّادَ ثمَّ أذن لابن هبيرة وحده، فدخل وحادثه ساعةً ثمَّ قام ثمَّ مكث يأتيه يوماً ويتركه يوماً، فكان يأتيه في خمسمائة فارس وثلاثمائة راجل. فقيل لأبي جعفر: إن ابن هبيرة ليأتي فيتضعضع له العسكر وما نقص من سلطانه شيء. فأمره أبو جعفر أن لا يأتي إلاَّ في حاشيته، فكان يأتي في ثلاثين، ثمَّ صار يأتي في ثلاثة أو أربعة.

وكلَّم ابن هبيرة المنصور يوماً، فقال له ابن هبيرة: يا هناه! أو يا أيُّها المرء! ثمَّ رجع، فقال: أيُّها الأمير إنَّ عهدي بكلام الناس بمثل ما خاطبتُك به لقريبٌ فسبقني لساني إلى ما لم أُرده. فألحَّ السفّاح على أبي جعفر يأمره بقتل ابن هبيرة وهو يراجعه حتّى كتب إليه: والله لتقتلنَّه أو لأرسلنَّ إليه من يُخْرجه من حجرتك ثمَّ يتولَّى قتله.

فعـزم على قتله، فبعث خازمَ بن خُـزَيْمة والهَيْثَم بن شُعْبَـة بن ظُهَيْر وأمرهما بختم بيـوت الأموال، ثمَّ بعث إلى وجـوه مَنْ مع ابن هبيـرة من القيسيَّة والمُضَـريَّـة فأحضرهم، فأقبل محمَّد بن نُباتة وحَوْثرة بن سُهَيْل في اثنين وعشرين رجلًا، فخرج سلاَّم بن سُلَيْم، فقال: أين ابن نُباتة وحَوْثرة؟ فدخلا وقد أجلس أبو جعفر عثمانَ بن نَهيك وغيره في مـائة في حجـرة دون حجرتـه، فنُزعت سيـوفهما وكُتفـا، واستدعى رجلَيْن يفعل بهما مثل ذلك، فقال بعضهم: أعطيتمـونا عهـدَ الله ثمَّ غدرتم بنـا! إنا لنرجو أن يُدْرككم الله! وجعل ابن نبـاتة يضـرط في لحية نفسـه، وقال: كـأنّي كنتُ أنظر إلى هذا.

وانطلق خازم والهَيْثم بن شُعْبَة في نحو من مائة إلى ابن هبيرة، فقالـوا: نريـد حمل المال. فقال لحاجبه: دلَّهم على الخزائن. فأقامـوا عند كـلّ بيت نفراً، وأقبلوا نحوه وعنده ابنه داود وعدَّة من مواليه وبنيّ له صغير في حجره. فلمّا أقبلوا نحوه قام حاجبه في وجوههم، فضربه الهَيْثَمُ بن شعبة على حبـل عاتقـه فصرعـه، وقاتـل ابنه داود، وأقبل هو إليه ونحّى ابنه من حجره، فقال: دونكم هذا الصبـيّ، وخرَّ ساجداً فقُتـل؟ وحُملت رؤوسهم إلى أبـي جعفـر، ونـادى بـالأمـان للنـاس إلاَّ الحَكَم بن عبد الملك بن بشر، وخـالد بن سَلِمـة المخزوميّ، وعمـر بن ذرّ. فاستـأمن زيادُ بن عبد الله لابن ذرّ، فآمنـه، وهرب الحكم، وآمن أبـو جعفر خـالداً فقتله السفّـاح ولـم يُجِزْ أمان أبـي جعفر، فقال أبو العطاء السِّنديّ يرثي ابن هبيرة:

ألا إنَّ عيـنـاً لـم تُـجَـدْ يـومَ واسطٍ	عـلـيـك بجـاري دمـعـهـا لـجـمـودُ
عشيَّـة قـام الـنـائحـات وصـفَّقت	أكـفّ بـأيـدي مـأتـم وخـدود
فـإن تُمس مهجـور الفِنـاء فـربَّمـا	أقـام بـه بـعـد الـوفـود وفـود
فـإنَّـك لـم تَبعـدُ عـلى متعـهِّـدٍ	بلى كـلّ مَنْ تـحت الـتـراب بعـيـد

* * *

دهقـان بخـارى

في سنة خمس وثلاثين ومائة خرج زياد بن صالح وراء النهر، فسار أبـو مسلم من مرو مستعدّاً للقـائه، وبعث أبـو داود خالـدُ بن إبراهيم نصـرَ بن راشد إلى تِـرْمِذ

مخافة أن يبعث زياد بن صالح إلى الحصن والسفن فيأخذها، ففعل ذلك نصر وأقام بها، فخرج عليه ناس من الطَّالَقان مع رجل يكنّى أبا إسحاق فقتلوا نصراً. فلمّا بلغ ذلك أبا داود بعث عيسى بن ماهان في تتبُّع قَتَلة نصر، فتبعهم فقتلهم.

ومضى أبو مسلم مسرعاً حتّى انتهى إلى آمُل ومعه سِباع بن النُّعمان الأزديّ، وهو الذي كان قد أرسله السفّاح إلى زياد بن صالح وأمره إن رأى فرصة أن يثب على أبي مسلم فيقتله.

فأُخبر أبو مسلم بذلك، فحبس سباعاً بآمُل، وعبر أبو مسلم إلى بخارى، فلمّا نزلها أتاه عدَّة من قوّاد زياد قد خلعوا زياداً فأخبروا أبا مسلم أنَّ سباع بن النعمان هو الذي أفسد زياداً، فكتب إلى عامله بآمُل أن يقتله، ولمّا أسلم زياداً قوّادُه ولحقوا بأبي مسلم لجأ إلى دهقان هناك، فقتله وحمل رأسه إلى أبي مسلم.

وتأخَّر أبو داود عن أبي مسلم لحال أهل الطَّالَقان، فكتب إليه أبو مسلم يُخْبره بقتل زياد، فأتى كشَّى، وأرسل عيسى بن ماهان إلى بسّام وبعث جنداً إلى ساعر فطلبوا الصلح، فأجيبوا إلى ذلك.

وأما بسّام فلم يصل عيسى إلى شيء منه، وكتب عيسى إلى كامل بن مظفَّر صاحب أبي مسلم يعتب أبا داود وينسبه إلى العصبيَّة، فبعث أبو مسلم بالكتب إلى أبي داود، وكتب إليه: إن هذه كتب العلج الذي صيَّرته عدل نفسك فشأنك به. فكتب أبو داود إلى عيسى يستدعيه، فلمّا حضر عنده حبسه وضربه ثمَّ أخرجه، فوثب عليه الجُند فقتلوه، ورجع أبو مسلم إلى مرو.

* * *

ذاهر ملك السند

في سنة تسع وثمانين قتل محمَّدُ بن القاسم بن محمَّد بن الحَكَم بن أبي عقيل الثقفيُّ، يجتمع هو والحجّاج في الحَكَم، ذاهرَ بن صعصعة ملك السند ومَلَكَ بلاده، وكان الحجّاج بن يوسف استعمله على ذلك الثغر وسيَّر معه ستَّة آلاف مقاتل وجهَّزه بكل ما يحتاج إليه حتى المسالّ والإبر والخيوط، فسار محمَّد إلى

مُكران فأقام بها أيّاماً ثمَّ أتى قَنَّزْبُور ففتحها، ثمَّ سار إلى أرمائيل ففتحها، ثمَّ سار إلى الدَّيْبُل فقدمها يوم جمعة، ووافته سفن كان حمل فيها الرجال والسلاح والأداة فخندق حين نزل الدَّيبل وأنزل الناس منازلهم ونصب منجنيقاً يقال له العروس كان يمدّ به خمسمائة رجل، وكان بالدَّيبل بُدّ عظيم عليه دقل عظيم وعلى الدقل راية حمراء إذا هبَّت الريح أطافت بالمدينة، وكانت تدور، والبدّ صنم في بناء عظيم تحت منارة عظيمة مرتفعة، وفي رأس المنارة هذا الدقل، وكلُّ ما يُعْبَد فهو عندهم بدّ.

فحصرها وطال حصارها، فرمى الدقل بحجر العروس فكسره، فتطيَّر الكفّار بذلك، ثمَّ إنَّ محمَّداً أتى وناهضهم وقد خرجوا إليه فهزمهم حتى ردَّهم إلى البلد وأمر بالسلاليم فنُصبت وصعد عليها الرجال، وكان أوَّلهم صعوداً رجل من مُراد من أهل الكوفة، ففُتحت عنوة وقتل فيها ثلاثة أيّام وهرب عامل ذاهر عنها وأنزلها محمَّد أربعة آلاف من المسلمين وبنى جامعها وسار عنها إلى البيرون، وكان أهلها بعثوا إلى الحجّاج فصالحوه، فلقوا محمَّداً بالميرة وأدخلوه مدينتهم، وسار عنها وجعل لا يمرّ بمدينة إلاَّ فتحها حتى عبر نهراً دون مهران، فأتاه أهل سربيدس فصالحوه، ووظَّف عليهم الخراج وسار عنهم إلى سهبان ففتحها، ثمَّ سار إلى نهر مهران فنزل وسطه.

وبلغ خبره ذاهرَ فاستعدَّ لمحاربته وبعث جيشاً إلى سَدُوستان، فطلب أهلها الأمان والصلح، فآمنهم ووظَّف عليهم الخراجَ، ثمَّ عبر محمَّد مهران ممّا يلي بلاد راسل الملك على جسر عقده وذاهر مستخفّ به، فلقيه محمَّد والمسلمون وهو على فيل وحوله الفيلة، ومعه التكاكرة، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يُسمَع بمثله، وترجَّل ذاهر فقُتل عند المساء ثمَّ انهزم الكفّار وقتلهم المسلمون كيف شاؤوا، وقال قاتله:

الخيلُ تشهدُ يومَ ذاهرَ والقَنا ... ومحمَّدُ بنُ القاسِمِ بنِ محمَّدِ
أنّي فَرجتُ الجَمعَ غيرَ معرِّدٍ ... حتى علَوْتُ عظيمَهم بمُهنَّدِ
فتركتُه تحتَ العَجاجِ مجنْدَلاً ... متعفّرَ الخدَّينِ غيرَ موسَّدِ

فلما قُتل ذاهر غلب محمَّد على بلاد السند وفتح مدينة راور عنوةً وكان بها

امرأة لذاهرَ، فخافت أن تُؤخذ فأحرقت نفسها وجواريها وجميع مالها.

... وعظمت فتوحه، ونظر الحجّاج في النفقة على ذلك الثغر فكانت ستّين ألف ألف درهم، ونظر في الذي حمل فكان مائة ألف ألف وعشرين ألف، فقال: ربحنا ستّين ألفاً وأدركنا ثأرنا ورأس ذاهر.

* * *

رافع بن هَرثمة

في سنة تسع وسبعين ومائتين عزل المعتضد رافعَ بن هَرثمة عن خراسان.

وسبب ذلك أن المعتضد كتب إلى رافع بتخلية قرى السلطان بالرَّيِّ، فلم يقبل، فأشار على رافع أصحابه بردّ القرى لئلا يفسد حاله بكتاب، فلم يقبل أيضاً، وكتب المعتضد إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلَف يأمره بمحاربة رافع وإخراجه عن الريّ، وكتب إلى عمرو بن الليث بتوليته خُراسان.

ثمَّ إنَّ أحمد بن عبد العزيز لقي رافعاً فقاتله، فانهزم رافع عن الرَّيّ وسار إلى جُرجان، ومات أحمد بن عبد العزيز سنة ثمانين ومائتين، فعاد رافع إلى الرَّيّ، فلاقاه عمرو وبكر ابنا عبد العزيز، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم عمرو وبكر، وقُتل من أصحابهما مقتلة عظيمة، ووصلوا إلى أصبهان، وذلك في جمادي الأولى سنة ثمانين ومائتين.

وأقام رافع بالرَّيّ باقي سنته، ومات عليٌّ بن الليث معه في الرَّيّ؛ ثمَّ إنَّ عمرو بن الليث وافى نَيسابور في جمادي الأولى سنة ثمانين ومائتين واستولى عليها وعلى خراسان، فبلغ الخبر إلى رافع، فجمع أصحابه واستشارهم فيما يفعل، وقال لهم: إنَّ الأعداء قد أحدقوا بنا، ولا آمن أن يتَّفقوا علينا؛ هذا محمَّد بن زيد بالدَّيلم ينتظر فرصة لينتهزها؛ وهذا عمرو بن عبد العزيز قد فعلتُ به ما فعلتُ، فهو يتربَّص الدوائر؛ وهذا عمرو بن الليث قد وافى خُراسان بجموعه؛ وقد رأيتُ أن أصالح محمَّدَ بن زيد وأعيد إليه طَبَرِستان، وأصالح ابن عبد العزيز، ثمَّ أسير إلى عمرو فأُخرجه عن خُراسان، فوافقوه على ذلك، وأرسل إلى ابن عبد العزيز

فصالحه، واستقرَّ الأمر بينهما في شعبان سنة ثمانين مائتين.

ثم سار إلى طَبَرِستان، فوردها في شعبان سنة إحدى وثمانين ومائتين، وكان قد أقام بجُرجان، فأحكم أمورها، ولمّا استقرَّ بطَبَرِستان راسل محمَّدَ بن زيد وصالحه، ووعده محمَّد بن زيد أن ينجده بأربعة آلاف رجل من شجعان الدَّيلم، وخُطب لمحمَّد بطَبَرِستان وجُرجان في ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين ومائتين.

وبلغ خبر مصالحة محمد بن زيد ورافع إلى عمرو بن الليث، فأرسل إلى محمَّد يُذكِّرُه ما فعل به، ويُحذِّره منه ومن غدره إن استقام أمره، فعاد عن إنجاده بعسكر.

فلمّا قوي عمرو عرف لمحمَّد بن زيد ذلك، وخلَّى عليه طَبَرِستان؛ ولمّا أحكم رافع أمْرَ محمَّد بن زيد سار إلى خُراسان، فورد نَيسابور في ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وجرى بينه وبين عمرو حرب شديدة انهزم فيها رافع إلى أبِيوَرْدَ، وأخذ عمرو منه المعدَّل والليث، ولدَيْ أخيه عليّ بن الليث، وكانا عنده بعد موت أخيه عليّ.

ولمّا ورد رافع أبِيوَرْدَ أراد المسير إلى هَراة أو مرو، فعلم عمرو بذلك، فأخذ عليه الطريق بسَرْخَس، فلمّا علم رافع بمسير عمرو عن نَيسابور سار على مضايق وطرق غامضة غير طريق الجيش ونَيسابور، فدخلها، وعاد إليه عمرو من سَرْخَس فحصره فيها، وتلاقيا، واستأمن بعض قوّاد رافع إلى عمرو، فانهزم رافع وأصحابه، وسيَّر أخاه محمَّدَ بن هَرْثمة إلى محمَّد بن زيد يستمدّه، ويطلب ما وعده من الرجال، فلم يفعل، ولم يمدّه برجل واحد، وتفرَّق عن رافع أصحابه وغلمانه، وكان له أربعة آلاف غلام، ولم يملك أحد من وُلاة خُراسان قبله مثله، وفارقه محمَّد بن هارون إلى إسماعيل بن أحمد السامانيّ ببخارى، وخرج رافع منهزماً إلى خُوارزم على الجمّازات، وحمل ما بقي معه من مال وآلة، وهو في شِرذِمة قليلة، وذلك في رمضان سنة ثلاث وثمانين ومائتين.

فلمّا بلغ رباط جبوه وجَّه إليه خُوارزمشاه أبا سعيد الدرغانيَّ ليقيم له الأنزال،

ويخدمه إلى خُوارزم، فرآه أبو سعيد في قلَّة من رجّالة، وغدر به وقتله لسبع خلون من شوّال سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وحمل رأسه إلى عمرو بن الليث، وهو بنَيسابور، وأنفذ عمرو الرأس إلى المعتضد بالله، فوصل إليه سنة أربع وثمانين ومائتين، فنصب ببغداذ، وصفت خُراسان، إلى شاطىء جَيحون، لعمرو.

* * *

رستم

في سنة أربع عشرة كانت وقعة القادسيَّة، وسمّيت ليلة الهرير لتركهم الكلام إنَّما كانوا يهرّون هريراً.

. . . وأرسل سعد طُلَيْحة وعَمراً ليلة الهرير إلى مخاضة أسفل العسكر ليقوموا عليها خشية أن يأتيه القوم منها. فلمّا أتياها قال طليحة: لو خضنا وأتينا الأعاجم من خلفهم. قال عمرو: بل تعبر أسفل. فافترقا وأخذ طليحة وراء العسكر وكبَّر ثلاث تكبيرات ثمَّ ذهب وقد ارتاع أهلُ فارس وتعجَّب المسلمون، وطلبه الأعاجمُ فلم يُدركوه.

وأمّا عمرو فإنَّه أغار أسفل المخاضة ورجع، وخرج مسعود بن مالك الأسديّ وعاصم بن عمرو وابن ذي البُرْدَين الهلالي وابن ذي السهمَين وقيس بن هُبَيرة الأسديّ وأشباههم فطاردوا القوم، فإذا هم لا يشدّون ولا يريدون غير الزحف، فقدموا صفوفهم وزاحفهم النّاس بغير إذن سعد، وكان أوَّل مَنْ زاحفهم القعقاع، وقال سعد: اللهمَّ اغفرْها له وانصرْه فقد أذنتُ له إن لم يستأذنّي. ثمَّ قال: أرى الأمرَ ما فيه هذا، فإذا كبّرتُ ثلاثاً فاحملوا، وكبَّر واحدةً فلحقهم أسد، فقال: اللهمَّ اغفرْها لهم وانصرْهم. ثمَّ حملت النَّخَع، فقال: اللهمَّ اغفرْها لهم وانصرْهم. ثمَّ حملت بَجيلة، فقال: اللهمّ اغفرْها لهم وانصرْهم. ثمَّ حملت كندة فقال: اللهمَّ اغفرْها لهم وانصرْهم. ثمَّ زحف الرؤساء ورحا الحرب تدور على القعقاع، وتقدَّم حنظلة بن الربيع وأمراء الأعشار وطليحة وغالب وحمّال وأهل النجدات، ولمّا كبَّر الثالثة لحق النّاس بعضهم بعضاً وخالطوا القوم واستقبلوا اللَّيل استقبالاً بعدما صلّوا العشاء، وكان صليل الحديد فيها كصوت القُيُون ليلتهم إلى الصباح، وأفرغ الله

الصبر عليهم إفراغاً، وبات سعد بليلة لم يبت بمثلها، ورأى العرب والعجم أمراً لم يروا مثله قطّ، وانقطعت الأخبار والأصوات عن سعد ورستم، وأقبل سعد على الدعاء، فلمّا كان عند الصبح انتمى النّاس فاستدلّ بذلك على أنَّهم الأعلون، وكان أوَّل شيء سمعه نصف اللَّيل الباقي صوت القعقاع بن عمرو وهو يقول:

نحنُ قَتَلنا مَعشراً وزائِداً أرْبَعَةً وخَمسَةً، وواحِدَا

نُحْسَبُ فوقَ اللِّبد الأساوِرَا حتى إذا ماتوا دعَوْتُ جاهدَا

* اللَّهُ رَبّي واحترَزْتُ عامِدَا *

وقتلت كندة تُرْكاً الطبريّ، وكان مقدّماً فيهم.

وأصبح النّاس ليلة الهرير ـ وتسمّى ليلة القادسيَّة من بين تلك اللَّيالي ـ وهم حسرى لم يُغمضوا ليلتهم كلّها. فسار القعقاع في النّاس، فقال: إنَّ الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم، فاصبروا ساعة واحملوا، فإنَّ النصر مع الصبر. فاجتمع إليه جماعة من الرؤساء وصمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح. فلمّا رأت ذلك القبائل قام فيها رؤساؤهم وقالوا: لا يكوننَّ هؤلاء أجدّ في أمر الله منكم، ولا هؤلاء، يعني الفرس، أجرأ على الموت منكم. فجملوا فيما يليهم وخالطوا مَنْ بإزائهم فاقتتلوا حتى قام قائم الظهيرة، فكان أوَّل مَنْ زال الفيرزان والهُرْمُزان فتأخَّرا وثبتا حيث انتهيا، وانفرج القلبُ وركد عليهم النقعُ وهبّت ريح عاصف فقلعت طيّارة رستم عن سريره فهوت في العتيق، وهي دَبور، ومال الغبار عليهم، وانتهى القعقاع ومَنْ معه إلى السرير فعقروا به وقد قام رستم عنه حين أطارت الريحُ الطيّارة إلى بغال قد قدمت عليه بمال فهي واقفة، فاستظلَّ في ظلّ بغل وحمْله، وضرب هلال بن عُلَّفَة الحمل الذي تحته رستم فقطع حباله ووقع عليه أحد العِدلَين، ولا يراه هلال ولا يشعر به، فأزال عن ظهره فقاراً، وضربه هلال ضربة فنفحت مسكاً. ومضى رستم نحو العتيق فرمى بنفسه فيه، واقتحمه هلال عليه وأخذ برجلَيْه ثمَّ خرج به فضرب جبينه بالسيف حتى قتله، ثمَّ ألقاه بين أرجل البغال ثمَّ صعد السرير، وقال: قتلتُ رستم وربُّ الكعبة! إليَّ إليَّ! فأطافوا به وكبّروا، فنفَّله سعد سَلَبه، وكان قد أصابه الماء ولم يظفر بقلنسوته، ولو ظفر بها لكانت قيمتها مائة ألف.

وقيل: إنَّ هلالاً لمّا قصد رستم رماه رستم بنشّابة أثبت قدمه بالركاب، فحمل عليه هلال فضربه فقتله ثمَّ احتزّ رأسه وعلَّقه ونادى: قتلتُ رستم! فانهزم قلب المشركين. . .

* * *

رشيق النسيمي

في سنة أربع وخمسين وثلاثمائة عصى أهل أنطاكية على سيف الدولة.

وكان سبب ذلك أنَّ إنساناً من أهل طَرَسُوس كان مقدماً فيها، يسمّى رشيقاً النسيميّ، كان في جملة من سلَّمها إلى الروم وخرج إلى أنطاكية، فلمّا وصلها خدمه إنسان يُعرف بابن الأهوازيّ كان يضمن الأرحاء بأنطاكية، فسلَّم إليه ما اجتمع عنده من حاصل الأرحاء، وحسَّن له العصيان، وأعلمه أنَّ سيف الدولة بميّافارقين قد عجز عن العود إلى الشام، فعصى واستولى على أنطاكية، وسار إلى حلب، وجرى بينه وبين النائب عن سيف الدولة، وهو قَرْغُويْه، حروب كثيرة، وصعد قَرْغُويْه إلى قلعة حلب، فتحصَّن بها، وأنفذ سيف الدولة عسكراً مع خادمه بشّارة نجدة لقرغُويه، فلمّا علم بهم رشيق انهزم عن حلب، فسقط عن فرسه، فنزل إليه إنسان عربيّ فقتله، وأخذ رأسه وحمله إلى قرغُويه وبشّارة.

ثمَّ إن سيف الدولة عاد عن ميّافارقين عند فراغه من الغزاة إلى حلب، فأقام بها ليلة، وخرج من الغد، فواقع ابن الأهوازيّ، فقاتل من بها فانهزموا، وسجن ابن الأهوازيّ مدَّة ثمَّ قتله.

* * *

رؤوس بني شجاع

. . . ثمَّ إنَّ المنصور أحضر ابنَ أخيه عيسى بن موسى بن محمَّد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس وأمره بالمسير إلى المدينة لقتال محمَّد بن عبد الله بن الحسن.

. . . ولمّا أُتي عيسى برأس محمَّد قال لأصحابه: ما تقولون فيه؟ فوقعوا فيه، فقال بعضهم: كذبتم، ما لهذا قاتلناه، ولكنَّه خالف أمير المؤمنين وشقَّ عصا

المسلمين وإن كان لصوّاماً قوّاماً! فسكتوا. فأرسل عيسى الرأس إلى المنصور مع محمَّد بن أبي الكرام بن عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وبالبشارة مع القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، فأرسل معه رؤوس بني شجاع، فأمر المنصورُ فطيف برأس محمَّد في الكوفة وسيَّره إلى الآفاق؛ ولما رأى المنصورُ رؤوسَ بني شجاع، قال: هكذا فليكن الناس، طلبت محمَّداً فاشتمل عليه هؤلاء ثمَّ نقلوه وانتقلوا معه، ثمَّ قاتلوا معه حتّى قتلوا.

وكان قتل محمَّد وأصحابه يوم الاثنَيْن بعد العصر لأربع عشرة خلت من شهر رمضان، من سنة خمس وأربعين ومائة.

* * *

رؤوس أصحاب الخبيث

في سنة سبع وستّين ومائتين عبر الموفّق إلى مدينة الخبيث، لستّ بقين من ذي الحجَّة؛ وكان سبب ذلك أن جماعة من قوّاد الخبيث لمّا رأوا ما حلَّ بهم من البلاء من قِبَل من يظهر منهم، وشدَّة الحصار على مَنْ لزم المدينة، وحالَ من خرج بالأمان، جعلوا يهربون من كلّ وجه، ويخرجون إلى الموفّق بالأمان.

فلمّا رأى الخبيث ذلك جعل على الطرق التي يمكنهم الهرب منهم مَنْ يحفظها؛ فأرسل جماعة من القوّاد إلى الموفّق يطلبون الأمان، وأن يوجّه لمحاربة الخبيث جيشاً ليجدوا طريقاً إلى المصير إليه، فأمر ابنه أبا العبّاس بالمسير إلى النهر الغربيّ، وبه عليُّ بن أبان يحميه، فنهض أبو العبّاس ومعه الشذوات، والسُّميريّات، والمعابر، فقصده، وتحارب هو وعليُّ بن أبان واشتدَّت الحرب، واستظهر أبو العبّاس على الزنج، وأمدَّ الخبيث أصحابه بسليمان بن جامع في جمع كثير، فاتَّصلت الحرب من بُكرة إلى العصر، وكان الظفر لأبي العبّاس، وصار إليه القوم الذين كانوا طلبوا الأمان.

واجتاز أبو العبّاس بمدينة الخبيث عند نهر الأتراك، فرأى قلَّة الزنج هناك، فطمع فيهم، فقصدهم أصحابه وقد انصرف أكثرهم إلى الموفَّقيَّة، فدخلوا ذلك المسلك، وصعد جماعة منهم السور وعليه فريق من الزنج، فقتلوهم، وسمع

العلويُّ فجهَّز أصحابه لحربهم، فلمّا رأى أبو العبّاس اجتماعهم وحشدهم لحربه مع قلَّة أصحابه، رحل فأرسل إلى الموفَّق يستمدّه، فأتاه من خفّ من الغلمان، فظهروا على الزنج فهزموهم.

وكان سليمان بن جامع لمّا رأى ظهور أبي العبّاس سار في النهر مصعّداً في جمع كبير، ثمَّ أتى أصحاب أبي العبّاس من خلفهم، وهم يحاربون مَنْ بإزائهم، وخفقت طبولهم، فانكشف أصحاب أبي العبّاس، ورجع عليهم من كان انهزم عنهم من الزنج، فأصيب جماعة من غلمان الموفّق وغيرهم، فأخذ الزنج عدَّة أعلام، وحامى أبو العبّاس عن أصحابه، فسلم أكثرهم ثمَّ انصرف.

وطمع الزنج بهذه الوقعة، وشدَّت قلوبهم، فأجمع الموفّق على العبور إلى مدينتهم بجيوشه أجمع، وأمر النّاس بالتأهُّب، وجمع المعابر والسفن وفرَّقها عليهم، وعبر يوم الأربعاء لستّ بقين من ذي الحجَّة، وفرَّق أصحابه على المدينة ليضطرَّ الخبيث إلى تفرقة أصحابه، وقصد الموفَّق إلى ركن من أركان المدينة، وهو أحصن ما فيها، وقد أنزله الخبيث ابنه، وهو انكلاي، وسليمان بن جامع، وعليّ بن أبان وغيرهم، وعليه من المجانيق والآلات للقتال ما لا حدَّ له.

فلمّا التقى الجمعان أمر الموفّق غلمانه بالدنو من ذلك الركن، وبينهم وبين ذلك السور نهر الأتراك، وهو نهر عريض كثير الماء، فأحجموا عنه، فصاح بهم الموفّق، وحرَّضهم على العبور، فعبروا سباحةً، والزنج ترميهم بالمجانيق، والمقاليع، والحجارة، والسهام، فصبروا حتى جاوزوا النهر وانتهوا إلى السور، ولم يكن عبر معهم من الفَعَلة مَنْ كان أُعدَّ لهدم السور، فتولّى الغلمان تشعيث السور بما كان معهم من السلاح، وسهَّل الله تعالى ذلك، وكان معهم بعض السلاليم، فصعدوا على ذلك الركن، ونصبوا علماً من أعلام الموفّق، فانهزم الزنج عنه، وأسلموه بعد قتال شديد، وقُتل من الفريقَيْن خلق كثير؛ ولمّا علا أصحاب الموفّق السور أحرقوا ما كان عليه من مِنجنيق وقوس وغير ذلك.

وكان أبو العبّاس قصد ناحية أخرى، فمضى عليُّ بن أبان إلى مقاتلته، فهزمه أبو العبّاس، وقتل جمعاً كثيراً من أصحابه ونجا عليٌّ، ووصل أصحاب أبي العبّاس

إلى السور، فثلموا فيه ثلمة ودخلوه، فلقيهم سليمان بن جامع، فقاتلهم حتى ردَّهم إلى مواضعهم؛ ثمَّ إن الفَعَلة وافوا السور فهدموه في عدَّة مواضع، فعملوا على الخندق جسراً، فعبر عليه النّاس من ناحية الموفّق، فانهزم الزنج عن سُور باب كانوا قد اعتصموا به، وانهزم النّاس معهم وأصحاب الموفّق يقتلونهم، حتى انتهوا إلى نهر ابن سمعان، وقد صارت دار ابن سمعان في أيدي أصحاب الموفّق، فأحرقوها، وقاتلهم الزنج هناك، ثمَّ انهزموا حتى بلغوا ميدان الخبيث، فركب في جمع من أصحابه، فانهزم أصحابه عنه، وقرب منه بعض رجّالة الموفّق، فضرب وجه فرسه بترسه، وكان ذلك مع مغيب الشمس، فأمر الموفَّق النّاس بالرجوع، فرجعوا ومعهم من رؤوس أصحاب الخبيث شيء كثير.

* * *

الروم

في سنة ثمان وستّين ومائتين سارت سريَّة بصِقِلّية مقدّمها رجل يُعرف بأبي الثور، فلقيهم جيش الروم، فأصيب المسلمون كلّهم غير سبعة نفر، وعُزل الحسن بن العبّاس عن صِقلّية، ووليَها محمَّد بن الفضل، فبثّ السرايا في كلّ ناحية من صِقلّية وخرج هو في حشد وجمع عظيم، فسار إلى مدينة قَطَانِية فأهلك زرعها، ثمَّ رحل إلى أصحاب الشَّلنديَّة فقاتلهم، فأصاب فيهم فأكثر القتل، ثمَّ رحل إلى طَبَرْمين فأفسد زرعها، ثمَّ رحلَ فلقي عساكر الروم فاقتتلوا، فانهزم الروم، وقُتل أكثرهم فكانت عدَّة القتلى ثلاثة آلاف قتيل، ووصلت رؤوسهم إلى بَلَرْمَ.

* * *

رؤوس الأعراب

وفي سنة تسع وستّين ومائتين كانت وقعة بين ابن أبي الساج والأعراب، فهزموه، ثمَّ بيَّتهم فقتل منهم وأسر، ووجَّه بالرؤوس والأسرى إلى بغداذ.

* * *

روم يقتلهم أبو الأغلب

وفي سنة اثنتَيْ عشرة ومائتين، سيَّر زيادة الله من إفريقية إلى صِقِلّية أبا الأغلب إبراهيم بن عبد الله أميراً عليها، فخرج إليها، فوصل إليها منتصف رمضان، فبعث أسطولاً فلقوا جمعاً للروم في أسطول، فغنم المسلمون ما فيه، فضرب أبو الأغلب رقاب كلّ مَنْ فيه.

وبعث أسطولاً آخر إلى قُوصرة، فظفر بحرّاقة فيها رجال من الروم، ورجل متنصّر من أهل إفريقية، فأتى بهم فضرب رقابهم.

* * *

الــزّطّ

في سنة تسع عشرة ومائتين وجَّه المعتصم عُجَيْف بن عَنْبسة في جمادى الآخرة لحرب الزّطّ الذين كانوا غلبوا على طريق البصرة، وعاثوا، وأخذوا الغلّات من البيادر بكَسْكَر وما يليها من البصرة، وأخافوا السبيل، ورتَّب عُجَيْف الخيل في كلّ سكَّة من سكك البريد، تركض بالأخبار، فكان يأتي بالأخبار من عُجيف في يوم، فسار حتى نزل تحت واسط، وأقام على نهر يقال له بردودا، حتى سدَّه وأنهاراً أُخر كانوا يخرجون منها ويدخلون، وأخذ عليهم الطُّرق، ثم حاربهم فأسر منهم في معركة واحدة خمسمائة رجل، وقتل في المعركة ثلاثمائة رجل، فضرب أعناق الأسرى، وبعث الرؤوس إلى باب المعتصم.

ثم أقام عُجَيْف بإزاء الزُّطّ خمسة عشر يوماً، فظفر منهم فيها بخلق كثير، وكان رئيس الزُّطّ رجل يقال له محمَّد بن عثمان، وكان صاحب أمره إنسان يقال له سماق، ثمَّ استوطن عُجَيْف، وأقام بإزائهم سبعة أشهر.

* * *

الزنج يتقاسمون لحوم القتلى

في سنة ثمان وخمسين ومائتين، في ربيع الأوّل، عقد المعتمد لأخيه أبي أحمد على ديار مصر، وقِنّسرين والعواصم، وخلع عليه وعلى مُفلح في ربيع

الآخر، وسيّرهما إلى حرب الزنج بالبصرة، وركب المعتمد معه يشيّعه، وسار نحو البصرة، ونازل العلويَّ وقاتله.

وكان سبب تسييره ما فعله بالبصرة، وأكبر الناس ذلك، وتجهَّزوا إليه وساروا في عدَّة حسنة كاملة، وصحبه في سوقة بغداذ خلق كثير.

وكان عليُّ بن أبان بجيّ، على ما ذكرنا، وسار يحيى بن محمَّد البَحْرانيُّ إلى نهر العبّاس، ومعه أكثر الزنوج فبقي صاحبهم في قلَّة من النّاس، وأصحابه يغادون البصرة ويراوحونها لنقل ما نالوه منها؛ فلمّا نزل عسكر أبي أحمد بنهر معقل، احتفل من فيه من الزنوج إلى صاحبهم مرعوبين، وأخبروه بعظم الجيش وأنَّهم لم يرد عليهم مثله، وأحضر رئيسَيْن من أصحابه، فسألهما عن قائد الجيش فلم يعرفاه، فجزع وارتاع.

ثمَّ أرسل إلى عليّ بن أبان يأمره بالمسير إليه فيمن معه، فلمّا كان يوم الأربعاء لاثنتي عشرة بقيت من جمادى الأولى أتاه بعض قوّاده، فأخبره بمجيء العسكر وتقدُّمهم، وأنَّهم ليس في وجوههم من يردّهم من الزنوج، وكذَّبه، وسبَّه، وأمر فنوديَ في الزنوج بالخروج إلى الحرب، فخرجوا، فرأوا مُفلحاً قد أتاهم في عسكر لحربهم، فقاتلهم، فبينما مُفلح يقاتلهم إذ أتاه سهم غرب لا يُعرف من رمى به، فأصابه، فرجع وانهزم أصحابه، وقتلوا فيهم قتلاً ذريعاً، وحملوا الرؤوس إلى العلويّ، واقتسم الزنج لحوم القتلى.

* * *

سعيد بن جبير

في سنة أربع وتسعين قُتل سعيد بن جبير.

وكان سبب قتله خروجه مع عبد الرحمن بن محمَّد بن الأشعث، وكان الحجّاج قد جعله على عطاء الجند حين وجّه عبدَ الرحمن إلى رُتبيل لقتاله، فلما خلع عبدُ الرحمن الحجّاجَ كان سعيد فيمن خلع، فلمّا هُزم عبد الرحمن ودخل بلاد رُتبيل هرب سعيد إلى أصبهان، فكتب الحجّاج إلى عاملها بأخذ سعيد، فخرج

العامل من ذلك، فأرسل إلى سعيد يعرِّفه ذلك ويأمره بمفارقته، فسار عنه فأتى أذربيجان فطال عليه القيام فاغتمَّ بها، فخرج إلى مكَّة فكان بها وهو وأناس أمثاله يستخْفون فلا يُخبرون أحداً أسماءهم.

فلمّا وليَ خالد بن عبد الله مكَّة قيل لسعيد: إنَّه رجل سَوْء فلو سرتَ عن مكَّة، فقال: والله لقد فررتُ حتى استحييتُ من الله وسيجيئني ما كتب الله لي. فلمّا قدم خالد مكَّة كتب إليه الوليد بحمل أهل العراق إلى الحجّاج، فأخذ سعيدَ بن جُبير ومجاهداً وطَلْقَ بن حَبيب فأرسلهم إليه، فمات طلق بالطريق وحُبس مجاهد حتى مات الحجّاج.

وكان سيّرهم مع حرسَين، فانطلق أحدهما لحاجة وبقي الأخر، فقال لسعيد، وقد استيقظ من نومه ليلاً: يا سعيدإنِّي أبرأ إلى الله من دمك، إنّي رأيتُ في منامي، فقيل لي: ويلك! تبرأ من دم سعيد بن جُبير! فاذهبْ حيث شئت فإنّي لا أطلبك. فأبى سعيد، فرأى ذلك الحرس مثل تلك الرؤيا ثلاثاً ويأذن لسعيد في الذهاب وهو لا يفعل.

فقدموا به الكوفة فأُنزل في داره، وأتاه قرّاء الكوفة، فجعل يحدِّثهم وهو يضحك وبنيَّة له في حجره، فلمّا نظرتْ إلى القيد في رجله بكت، ثمَّ أدخلوه على الحجّاج، فلمّا أُتي به قال: لعن الله ابن النصرانيَّة! يعني خالداً، وكان هو أرسله، أَمَا كنت أعرف مكانه؟ بلى والله والبيت الذي هو فيه بمكَّة. ثمَّ أقبل عليه فقال: يا سعيد ألم أشركك في إمامتي؟ ألم أفعل؟ ألم أستعملك؟ قال: بلى. قال: فما أخرجك عليّ؟ قال: إنَّما أنا امرؤٌ من المسلمين يخطىء مرَّة ويصيب مرَّة. فطابت نفسُ الحجّاج وانتفخ وقال: يا سعيد ألم أقدم مكَّة فقتلتُ ابن الزُّبَير وأخذتُ بيعة أهلها وأخذتُ بيعتك لأمير المؤمنين عبد الملك؟ قال: بلى. قال: ثمَّ قدمتُ الكوفة والياً فجددتُ البيعة فأخذت بيعتك لأمير المؤمنين ثانية؟ قال: بلى. قال: فتنكث بيعتَين لأمير المؤمنين وتُوفي بواحدة للحائك ابن الحائك؛ والله لأقتلنَّك! قال: إنّي إذاً لسعيد كما سمّتْني أمّي، فأمر به فضُربت رقبته، فبدر رأسه عليه كُمَّة بيضاء لاطية، فلمّا سقط رأسُه هلَّلَ ثلاثاً، أفصح بمرَّة ولم يفصح بمرَّتَين.

فلمّا قُتل التبس عقل الحجّاج فجعل يقول: قيودنا قيودنا! فظنّوا أنَّه يريد القيود، فقطعوا رجلَيْ سعيد من أنصاف ساقَيْه وأخذوا القيود، وكان الحجّاج إذا نام يراه في منامه يأخذ بمجامع ثوبه، فيقول: يا عدوّ الله فيمَ قتلتني؟ فيقول: ما لي ولسعيد بن جُبير! ما لي ولسعيد بن جُبير!

* * *

شُرَحْبيل

أوَّلَ مَنِ اشتدَّ مُلكه من كِندة حُجر آكل المرار بن عمرو بن الحارث الكنديّ، فلمّا هلك ملك بعده ابنُه عمرو مثل مُلك أبيه فسُمّي المقصور لأنَّه قُصر على ملك أبيه، فتزوَّج عمرو أمّ أُناس بنت عوف بن مُحلّم الشيبانيّ، فولدت له الحارثُ، فملك بعد أبيه أربعين سنة، وقيل: ستّين سنة، فخرج يتصيَّد فرأى عانة وهي حمر الوحش، فشدَّ عليها، فانفرد منها حمار، فتتبَّعه وأقسم أن لا يأكل قبل كبده، وهو بمسحلان، فطلبته الخيلُ ثلاثة أيام حتى أدركته، فأُتي به وقد كاد يموت من الجوع، فشُوِيَ على النار وأُطعم من كبده وهي حارَّة، فمات، وكان الحارث فرَّق بنيه في قبائل معدّ، فجعل حُجراً في بني أسد وكنانة، وهو أكبر ولده؛ وجعل شُرَحْبيل في بكر بن وائل وبني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وبني أسيّد بن عمرو بن تميم، والرِّباب؛ وجعل سَلَمَة، وهو أصغرهم، في بني تغلب والنَّمِر بن قاسط وبني سعد بن زيد مناة بن تميم؛ وجعل ابنَه معدي كَرِب، ويُعرف بغَلْفاء، في قيس عَيْلان.

فلمّا هلك الحارث تشتَّت أمرُ أولاده وتفرَّقت كلمتُهم ومشى بينهم الرجالُ، وكانت المغاورة بين الأحياء الذين معهم، وتفاقم أمرهم حتى جمع كلّ واحد منهم لصاحبه الجموع وزحف إليه بالجيوش. فسار شُرَحْبيل فيمن معه من الجيوش فنزل الكُلاب، وهو ماء ما بين البصرة والكوفة، وأقبل سلمة فيمن معه وفي الصنائع أيضاً، وهم قوم كانوا مع الملوك من شُذّاذ العرب، فأقبلوا إلى الكُلاب وعلى تغلب السفّاح بن خالد بن كعب بن زهير، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وثبت بعضهم لبعض. فلمّا كان آخر النهار من ذلك اليوم خذلت بنو عمرو بن تميم والرِّباب بكرَ بن وائل

وانهزموا، وثبتت بكر وانصرفت بنو سعد ومَنْ معها عن تغلب وصبرت تغلب، ونادى منادي شرحبيل: مَنْ أتاني برأس سلمة فله مائة من الإبل، ونادى منادي سلمة: مَنْ أتاني برأس شرحبيل فله مائة من الإبل. فاشتدَّ القتالُ حينئذٍ كلّ يريد أن يظفر لعلَّه يصل إلى قتل أحد الرجلَيْن ليأخذ مائة من الإبل. فكانت الغلبة آخر النهار لتغلب وسلمة، ومضى شرحبيل منهزماً، فتبعه ذو السُّنَيْنة التغلبيّ، فالتفت إليه شرحبيل فضربه على ركبته فأطن رجله، وكان ذو السُّنَيْنة أخا أبي حَنَش لأمِّه، فقال لأخيه: قتلني الرجل! وهلك ذو السنينة! فقال أبو حنش لشرحبيل: قتلني الله إن لم أقتلْك! وحمل عليه فأدركه، فقال: يا أبا حنش اللبنَ. اللبنَ! يعني الديَّة، فقال: قد هرقتَ لبناً كثيراً! فقال: يا أبا حنش أملكاً بسوقة؟ فقال: إنَّ أخي ملكي. فطعنه فألقاه عن فرسه ونزل إليه فأخذ رأسه وبعث به إلى سلمة مع ابن عمّ له، فأتاه به وألقاه بين يديه، فقال سلمة: لو كنت ألقيته أرفق من هذا! وعُرفت الندامة في وجه سلمة والجزع عليه. فهرب أبو حَنَش منه، فقال سلمة:

ألا أبْلِغْ أبا حنشٍ رسولاً   فما لك لا تجيء إلى الثَّوابِ
لتعلم أنَّ خيرَ الناس طُرّاً   قتيلٌ بين أحجارِ الكُلابِ
تداعتْ حوله جُشَمُ بن بكر   وأسلمه جَعَاسِيسُ الرِّبابِ

فأجابه أبو حَنَش فقال:

أُحاذر أن أجيئكَ ثمَّ تحبو   حِبَاءَ أبيك يوم صُنَيْبعاتِ
وكانت غَدْرةٌ شَنْعاء تَهفُو   تقلَّدها أبوك إلى المماتِ

ولمَّا قُتل شرحبيل قال أخوه معدي كرب، وهو غَلْفاء، يرثيه:

إنَّ جنبي عن الفراش لنَابي   كتجافي الأسَرِّ فوقَ الظِّرابِ
من حديثٍ نمى إليَّ فما ترْ   قأُ عيني ولا أُسِيغُ شرابي

* * *

صاحب سِجِلْماسة

في سنة خمس وستّين وثلاثمائة جمع خزرون بن فلفول بن خزر الزناتيّ جمعاً كبيراً، وسار إلى سِجِلْمَاسة، فلقيه صاحبها في رمضان فقتله خزرون، وملك سِجِلْماسة، وأخذ منها، من الأموال والعدد، شيئاً كثيراً، وبعث برأس صاحبها إلى الأندلس، وعظم شأن زناتة، واشتدَّ ملكهم.

* * *

الصقلبيّ عبد الرحمن بن حَبيب الفِهْريّ

في سنة إحدى وستين ومائة، عبر عبد الرحمن بن حَبيب الفِهْريّ، المعروف بالصقلبي، وإنَّما سُمّي به لطوله وزرقته وشقرته، من إفريقية إلى الأندلس محارباً لهم، ليدخلوا في الطاعة للدولة العبّاسيّة، وكان عبوره في ساحل تُدْمير، وكاتب سليمان بن يَقظان بالدخول في أمره، ومحاربة عبد الرَّحمن الأمويّ، والدعاء إلى طاعة المهديّ.

وكان سليمان ببَرشَلُونَة، فلم يجبه، فاغتاظ عليه، وقصد بلده فيمَن معه من البربر، فهزمه سليمان، فعاد الصّقلبيّ إلى تُدمير، وسار عبد الرحمن الأمويّ نحوه في العدد والعدَّة، وأحرق السفن تضييقاً على الصّقلبيّ في الهرب، فقصد الصقلبيّ جبلاً منيعاً بناحية بَلَنْسيَةَ، فبذل الأمويّ ألف دينار لمن أتاه برأسه، فاغتاله رجل من البربر، فقتله، وحمل رأسه إلى عبد الرحمن، فأعطاه ألف دينار، وكان قتله سنة اثنتَين وستّين ومائة.

* * *

طَرْخان أكبر قوّاد بابَك

في سنة إحدى وعشرين ومائتين قُتل طَرْخان، وهو من أكبر قوّاد بابَك، وكان سبب قتله أنَّه طلب من بابَك إذناً حتى يشتّي في قريته، وهي بناحية مراغة، وكان الأفشين يرصده، فلمّا علم خبره أرسل إلى تُرك مولى إسحاق بن إبراهيم، وهو

بمراغة، يأمره أن يسري إليه في قريته حتى يقتله، أو يأخذه أسيراً، ففعل تُرك ذلك وأسرى إليه وقتله، وأخذ رأسه فبعثه إلى الأفشين.

* * *

عبد العزيز بن موسى بن نُصَيْـر

في سنة سبع وتسعين قُتل عبد العزيز بن موسى بن نُصَيْر؛ وكان سبب قتله أنَّ أباه استعمله على الأندلس، عند عوده إلى الشام، فضبطها وسدَّد أمورها وحمى ثغورها، وافتتح في إمارته مدائن بقيت بعد أبيه، وكان خيِّراً فاضلاً، وتزوَّج امرأة رُذريق، فحظيت عنده وغلبت عليه فحملته على يأخذ أصحابه ورعيَّته بالسجود له إذا دخلوا عليه كما كان يُفْعَل لزوجها رُذريق. فقال لها: إن ذلك ليس في ديننا. فلم تزل به حتَّى أمر ففُتح باب قصير لمجلسه الذي كان يجلس فيه، فكان أحدهم إذا دخل منه طأطأ رأسه فيصير كالراكع، فرضيت به، فصار كالسجود عندها، فقالت له: الآن لحقتَ بالملوك وبقي أن أعمل لك تاجاً ممّا عندي من الذهب واللؤلؤ، فأبى، فلم تزل به حتى فعل. فانكشف ذلك للمسلمين، فقيل تنصَّر، وفطنوا للباب فثاروا عليه فقتلوه في آخر سنة سبع وتسعين.

وقيل: إن سليمان بن عبد الملك بعث إلى الجند في قتله عند سخطه على والده موسى بن نُصَيْر، فدخلوا عليه وهو في المحراب، فصلَّى الصبح وقد قرأ الفاتحة وسورة الواقعة، فضربوه بالسيوف ضربة واحدة وأخذوا رأسه فسيَّروه إلى سليمان، فعرضه سليمان على أبيه، فتجلَّد للمصيبة وقال: هنيئاً له بالشهادة فقد قتلتموه والله صوّاماً قوّاماً. وكانوا يعدُّونها من زلاّت سليمان. وكان قتله على هذه الرواية سنة ثمان وتسعين في آخرها.

* * *

عبد الله بن خازم

لمّا قُتل مُصْعَب بن الزبير كان ابن خازم يُقاتل بَحِير بن ورقاء الصُّرَيْميَّ التميميَّ بنيسابور، فكتب عبد الملك إلي ابن خازم يدعوه إلى البيعة له ويُطْعِمه

خُراسان سبع سنين، وأرسل الكتاب مع سوادة بن أشتم النُّمَيريّ، وقيل: مع مُكمّل الغَنَويّ. فقال ابن خازم: لولا أن أُضرِّب بين بني سُلَيم وبني عامر لقتلتك، ولكن كلْ كتابك، فأكله.

وقيل: بل كان الكتاب مع سوادة بن عبيد الله النُّمَيري، وقيل: مع مكمّل الغنويّ، فقال له ابن خازم: إنما بعثك أبو الذِّبان لأنّك من غنيّ وقد علم أنّي لا أقتل رجلاً من قيس، ولكن كلْ كتابه.

وكتب عبدُ الملك إلى بُكَير بن وَسَّاج، وكان خليفة ابن خازم على مرو، بعهده على خُراسان، ووعده ومنّاه، فخلع بُكَيْرٌ عبدَ الله بن الزّبَير ودعا إلى عبد الملك، فأجابه أهلُ مرو، وبلغ ابنَ خازم فخاف أن يأتيه بُكَير فيجتمع عليه أهلُ مرو وأهلُ نَيْسابور، فترك بَحيراً وأقبل إلى مرو ويزيد ابنُه بترمذ، فأتبعه بَحير فلحقه بقرية على ثمانية فراسخ من مرو، فقاتله ابن خازم، فقُتل ابنُ خازم؛ وكان الذي قتله وَكيع بن عمرو القُرَيْعيّ، أعثره وكيع وبَحير ابن ورقاء وعمّار بن عبد العزيز فطعنوه فصرعوه، وقعد وكيع على صدره فقتله، فقال بعضُ الولاة لوكيع: كيف قتلتَه؟ قال: غلبتُه بفضل القنا، فلمّا صُرِعَ قعدتُ على صدره، فلم يقدر أن يقوم، وقلتُ: يالثارات دويلة! وهو أخو وكيع لأمّه، قُتل في بعض تلك الحروب. قال وكيع: فتنخّم في وجهي وقال: لعنك الله! أتقتل كبش مُضر بأخيك وهو لا يساوي كفّاً من نوى؟ أو قال: من تراب. قال: فما رأيتُ أكثر ريقاً منه على تلك الحال عند الموت.

وبعث بَحِيرٌ ساعة قُتل ابن خازم إلى عبد الملك يُخبره بقتله، ولم يبعث بالرأس، وبعث بحيرٌ بُكَيرَ بن وَسَّاج في أهل مرو فوافاهم حين قُتل ابنُ خازم فأراد أخذ الرأس وإنفاذه إلى عبد الملك، فمنعه بَحِير، فضربه بُكير بعمود وحبسه وسيّر الرأس إلى عبد الملك وكتب إليه يخبره أنّه هو الذي قتله. فلمّا قدم الرأسُ دعا عبد الملك برسول بَحير وقال: ما هذا؟ قال: لا أدري، وما فارقتُ القوم حتى قُتل ابن خازم.

وقيل: إنَّ ابن خازم إنّما قُتل بعد قتل عبد الله بن الزُّبَير، وإن عبد الملك

أنفذ إليه رأس ابن الزُّبَير ودعاه إلى نفسه، فغسل الرأسَ وكفَّنه وبعثه إلى أهله بالمدينة وأطعم الرسول الكتابَ، وقال: لولا أنَّك رسول لقتلتك. وقيل: بل قطع يديه ورجليه وقتله وحلف أن لا يطيع عبدَ الملك أبداً.

* * *

عثمان بن عليّ

ومكث الحسين طويلاً من النهار كلَّما انتهى إليه رجل من النّاس رجع عنه وكره أن يتولَّى قتله وعظم إثمه عليه، ثم إنَّ رجلاً من كندة يقال له مالك بن النُّسَير أتاه فضربه على رأسه بالسيف فقطع البرنس وأدمى رأسه وامتلأ البرنس دماً، فقال له الحسين: لا أكلت ولا شربتَ وحشرك الله مع الظالمين! وألقى البرنسَ ولبس القَلَنْسُوَة، وأخذ الكنديُّ البرنس، فلمَّا قدم على أهله أخذ البرنس يغسل الدم عنه، فقالت له امرأته: أسَلَبَ ابن بنت رسول الله تُدْخل بيتي؟ أخرجه عني! قال: فلم يزل ذلك الرجل فقيراً بشرّ حتى مات.

ودعا الحسين بابنه عبد الله وهو صغير فأجلسه في حجره، فرماه رجل من بني أسد فذبحه، فأخذ الحسين دمه فصبَّه في الأرض ثمَّ قال: ربِّي إن تكن حبستَ عنّا النصرَ من السماء فاجعلْ ذلك لما هو خير وانتقمْ من هؤلاء الظالمين.

ورمى عبدُ الله بن عُقْبَة الغنويُّ أبا بكر بن الحسين بن عليّ بسهم فقتله، وقال العبّاس بن عليّ لأخوته من أمِّه عبد الله وجعفر وعثمان: تقدَّموا حتى أرثكم فإنه لا ولد لكم. ففعلوا فقُتلوا، وحمل هانىء بن ثُبَيت الحضرميُّ على عبد الله فقتله، ثمَّ حمل على جعفر بن عليّ فقتله، ورمى خَوَليُّ ابن يزيد الأصبحيُّ عثمانَ بن عليّ، ثم حمل عليه رجل من بني أبان بن دارم فقتله وجاء برأسه، ورمى رجل من بني أبان أيضاً محمدَ بن عليّ بن أبي طالب فقتله وجاء برأسه.

* * *

علي بن بُليق

في سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة قتل القاهر مؤنساً المظفَّر، وبُليقاً، وعليّ بن بُليق.

وكان سبب قتلهم أنَّ أصحاب مؤنس شغبوا وثاروا، وتبعهم سائر الجند، وأحرقوا روشَن دار الوزير أبي جعفر، ونادوا بشعار مؤنس، وقالوا: لا نرضى إلَّا بإطلاق مؤنس.

وكان القاهر قد ظفر بعليّ بن بليق، وأفرد كلّ واحد منهم في منزل، فلمّا شغب الجند دخل القاهر إلى عليّ بن بليق، فأمر به فذُبح واحتُزَّ رأسه، فوضعوه في طشت، ثمَّ مضى القاهر والطشت يُحمل بين يديه حتى دخل على بُليق فوضع الطشت بين يديه، وفيه رأس ابنه، فلمّا رآه بكى، وأخذه يقبِّله ويترشَّفه، فأمر به القاهر فذُبح أيضاً، وجُعل رأسه في طشت، وحُمل بين يدي القاهر، ومضى، حتى دخل على مؤنس فوضعهما بين يديه، فلمّا رأى الرأسَيْن تشهَّد واسترجع، ولعن قاتلهما؛ فقال القاهر: جُرّوا برجل الكلب الملعون! فجرّوه وذبحوه وجعلوا رأسه في طشت وأمر فطيفَ بالرؤوس في جانبي بغداذ، ونودي عليها: هذا جزاء من يخون الإمام، ويسعى في فساد دولته؛ ثمَّ أُعيدت ونُظِّفت وجعلت في خزانة الرؤوس، كما جرت العادة.

* * *

عمّار بن ياسر

في المحرَّم من سنة سبع وثلاثين جرت موادعةٌ بين عليّ ومعاوية، توادعا على ترك الحرب بينهما حتى ينقضي المحرَّم طمعاً في الصلح، واختلفت بينهما الرسل. . .

ثمَّ إنَّ عليّاً قال: حتى متى لا نناهض هؤلاء القوم بأجمعنا؟ فقام في النّاس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه فقال: الحمد لله الذي لا يُبرم ما نقض وما أبرم لم ينقضه الناقضون، ولو شاء الله ما اختلف اثنان من خلقه ولا اختلفت الأمَّة في

شيء ولا جحد المفضولُ ذا الفضل فضلَه، وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار بمرأى من ربِّنا ومسمع فلو شاء عجَّل النِّقمة وكان منه التغيير حتى يكذب الظالم ويعلم الحق أين مصيره، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال وجعل الآخرة دار القرار: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذينَ أساؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذينَ أَحْسَنُوا بِالحُسْنَى﴾، ألا وإنَّكم لاقو القوم غداً فأطيلوا الليلة القيام وأكثروا تلاوة القرآن واسألوا الله النصرَ والصبرَ والقوهم بالجِدّ والحزم وكونوا صادقين. فقام القوم يُصلحون سلاحهم، فمرَّ بهم كعب بن جُعيل فقال:

أصبَحتِ الأمَّة في أمرٍ عَجَبْ	والمُلكُ مجموعٌ غداً لمنْ غَلَب
فقلتُ قولاً صادقاً غير كَذِبْ	إنَّ غَداً تهلكُ أعلامُ العَرَبْ

... وخرج عمّار بن ياسر على الناس فقال: اللهمَّ إنَّك تعلم أنّي لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلته. اللهمَّ إنَّك تعلم أنّي لو أعلم أن رضاك في أن ظُبَّةَ سيفي في بطني ثمَّ أنحني عليها حتى تخرج من ظهري لفعلته. وإنّي لا أعلم اليومَ عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين، ولو أعلم عملاً هو أرضى لك منه لفعلتُه. والله إنّي لأرى قوماً ليضرُبنَّكم ضرباً يرتاب منه المبطلون، وأيم الله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سَعَفات حَجَر لعلمتُ أنّا على الحقِّ وأنَّهم على الباطل، ثمَّ قال: من يبتغي رضوان الله ربّه ولا يرجع إلى مال ولا ولد؟ فأتاه عصابة، فقال: اقصدوا بنا هؤلاء القوم الذين يطلبن دم عثمان، والله ما أرادوا الطلب بدمه ولكنهم ذاقوا الدنيا واستحبّوها وعلموا أنَّ الحقّ إذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرَّغون فيه منها، ولم يكن لهم سابقة يستحقون بها طاعة الناس والولاية عليهم، فخدعوا أتباعهم وإن قالوا: إمامنا قُتل مظلوماً، ليكونوا بذلك جبابرة ملوكاً، فبلغوا ما ترون، فلولا هذه ما تبعهم من الناس رجلان. اللهمَّ إنَّ تنصرنا فطالما نصرتّ، وإن تجعل لهم الأمر فادَّخر لهم بما أحدثوا في عبادك العذابَ الأليمَ. ثمّ مضى ومعه تلك العصابة، فكان لا يمر بواد من أودية صفين إلا تبعه من كان هناك من أصحاب النبيّ ﷺ، ثمَّ جاء إلى هاشم بن عُتبة بن أبي وقّاص، وهو المِرْقال، وكان صاحب راية عليّ، وكان أعور، فقال:

يا هاشم أعَوَراً وجُبناً؟ لا ضير في أعور لا يغشى البأس، اركب يا هاشم؛ فركب ومضى معه وهو يقول:

أعوَرُ يبغي أهلَهُ مَحَلاً قد عالجَ الحَياةَ حتى مَلاَّ
لا بُدَّ أن يَغُلّ أوْ يُغَلاّ يتُلُّهُم بذي الكعوبِ تَلاَّ

وعمّار يقول: تقدَّم يا هاشم، الجنَّة تحت ظلال السيوف والموت تحت أطراف الأسل، وقد فُتحت أبوابُ السماء وتزينت الحور العِين. اليوم ألقى الأحبَّة، محمّداً وحزبه. وتقدَّم حتى دنا من عمرو بن العاص فقال له: يا عمرو بعتَ دينك بمصر، تبّاً لك! فقال له: لا ولكن أطلب بدم عثمان. قال: أنا أشهد على علمي فيك أنَّك لا تطلب بشيء غعلك وجهَ الله وأنَّك إن لم تُقتل اليوم تمتْ غداً، فانظر إذا أعطي الناس على قدر نياتهم مانيتك، لقد قاتلتَ صاحبَ هذه الراية ثلاثاً مع رسول الله ﷺ، وهذه الرابعة ما هي بأبرَّ وأتقى. ثم قاتل عمّار فلم يرجع وقُتل.

وقال حبَّة بن جُوَيْن العُرَنيّ: قلتُ لحذيفة بن اليمان: حدِّثنا فإنَّا نخاف الفتن، فقال: عليكم بالفئة التي فيها ابن سُميَّة، فإنَّ رسول الله ﷺ قال: تقتله الفئة الباغية الناكبة عن الطريق، وإن آخر رزقه ضَياح من لبن، وهو الممزوج بالماء من اللبن. قال حبّة: فشهدتُه يوم قُتل وهو يقول: ائتوني بآخر رزق لي في الدنيا، فأُتي بضياح من لبن في قدح أروح له حلقة حمراء، فما أخطأ حُذيفة مقياس شعرة، فقال: اليوم ألقى الأحبَّة، محمّداً وحزبه، والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعَفات هَجَر لعلمتُ أنّنا على الحقِّ وأنَّهم على الباطل. ثمَّ قُتل، قتله أبو الغازيَّة، واحتزَّ رأسه ابن حُوَيّ السكسكي؛ وقيل قتله غيره.

* * *

عمرو بن سعد وغيره ممّن شهد قتْل الحسين

قال المختار يوماً لأصحابه: لأقتلنَّ غداً رجلاً عظيم القدمين، غائر العينين، مشرف الحاجبَيْن، يُسرُّ قتله المؤمنين والملائكة المقرَّبين. وكان عنده الهيثم بن الأسود النَّخعيُّ، فعلم أنَّه يعني عمرو بن سعد، فرجع إلى منزله، وأرسل إلى عمرو

مع ابنه العُرْيان يعرِّفه ذلك، فلمّا قاله له قال: جزى اللّهُ أباك خيراً، كيف يقتلني بعد العهود والمواثيق؟ وكان عبد الله بن جَعْدة بن هُبَيرة أكرم الناس على المختار لقرابته بعليّ، وكلَّمه عمرو بن سعد ليأخذ له أماناً من المختار، ففعل وكتب له المختار أماناً وشرط فيه أن لا يحدث، وعنى بالحدث دخول الخلاء. ثمّ إنّ عمرو بن سعد خرج من بيته بعد عود العريان عنه، فأتَى حمّامه، فأخبر مولى له بما كان منه وبأمانه. فقال له مولاه: وأيّ حدث أعظم مما صنعتَ؟ تركتَ أهلك ورحلك وأتيتَ إلى ها هنا، ارجع ولا تجعل عليك سبيلاً. فرجع وأتى المختارَ، فأخبره بانطلاقه فقال: كَلّا، إنَّ في عنقه سلسلة ستردّه. وأصبح المختار، فبعث إليه أبا عَمْرة، فأتاه، وقال: أجبِ الأميرَ. فقام عمرو، فعثر في جبَّة له، فضربه أبو عَمْرة بسيفه، فقتله وأخذ رأسه، فأحضره عند المختار. فقال المختار لابنه حفص بن عمرو وهو جالسٌ عنده: أتعرف مَن هذا؟ قال: نعم، ولا خير في العيش بعده! فأمر به فقُتل، وقال المختار: هذا بحسين وهذا بعليّ بن الحسين، ولا سواء، والله لو قتلتُ به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أُنملة من أنامله.

وكان السبب في تهيُّج المختار على قتله، أنَّ يزيد بن شراحبيل الأنصاريَّ أتى محمَّدَ بن الحنفيَّة وسلَّم عليه، وجرى الحديث إلى أن تذاكر المختار، فقال ابن الحنفيَّة: إنَّه يزعم أنَّه لنا شيعة، وقَتَلَةُ الحسين عنده على الكراسي يحدِّثونه.

فلمّا عاد يزيد أخبر المختار بذلك، فقتل عمروَ بن سعد وبعث برأسه ورأس ابنه إلى ابن الحنفيَّة، وكتب إليه يُعْلِمُه أنَّه قد قتل مَنْ قدر عليه، وأنَّه في طلب الباقين ممَّن حضر قتْل الحسين.

وبعث المختار إلى زيدَ بن رُقاد الجُنُبيِّ، كان يقول: لقد رميتُ فتًى منهم بسهم وكفَّه على جبهته يتَّقي النَّبلَ، فأثبتُّ كفّه في جبهتِه، فما استطاع أن يُزيل كفّه عن جبهته، وكان ذلك الفتى عبد الله بن مسلم بن عَقيل، وأنّه قال حين رميتُه: اللهمَّ، إنَّهم استقلّونا واستذلّونا، فاقتلْهم كما قتلونا. ! ثمَّ إنّه رمى الغلام بسهم آخر وكان يقول: جئتُهُ وهو ميت، فنزعتُ سهمي الذي قتلته به من جوفه، فلم أزل أُنضنضه من جبهته حتى أخذتُه وبقي النصلُ؛ فلمّا أتاه أصحاب المختار، خرج

إليهم بالسيف، فقال لهم ابن كامل: لا تطعنوه ولا تضربوه بالسيف، ولكن ارموه بالنبل والحجارة. ففعلوا ذلك به، فسقط فأحرقوه حيّاً.

وطلب أيضاً عمروَ بن الصُّبَيْح الصُّدائيَّ، كان يقول: لقد طعنتُ فيهم وجرحتُ وما قتلتُ منهم أحداً، فأُتي ليلاً، فأُخذ وأُحضر عند المختار، فأمر بإحضار الرماح وطُعن بها حتى مات.

* * *

قَطَريّ بن الفُجاءة

في سنة سبع وسبعين، كانت هلكة قَطَريّ وعُبَيده بن هلال ومَنْ كان معهما من الأزارقة.

وكان السبب في ذلك أن أمرهم لما تشتت بالاختلاف، وسار قَطَريّ نحو طبرستان، وبلغ خبرُه الحجّاجَ، سيَّر إليه سُفْيانَ بن الأبرد في جيش عظيم. وسار سفيان واجتمع معه إسحاق بن محمّد بن الأشعث في جيش لأهل الكوفة بطبرستان، فأقبلوا في طلب قَطَريّ، فلحقوه في شِعب من شِعاب طَبرستان، فقاتلوه، فتفرَّق عنه أصحابه ووقع عن دابَّته، فتدهدى إلى أسفل الشِّعب، وأتاه علجٌ من أهل البلد، فقال له قطريّ: اسقِني الماء. فقال العِلج: أعطِني شيئاً. فقال: ما معي إلاّ سلاحي وأنا أُعطيكه إذا أتيتني بالماء. فانطلق العلجُ حتى أشرف على قطريّ، ثمّ حدر عليه حجراً من فوقه، فأصاب وركه فأوهنه، فصاح بالناس، فجاء إليه نفرٌ من أهل الكوفة فقتلوه، منهم: سَوْرة بن الحُرّ التميميّ، وجعفر بن عبد الرحمن بن مِخْنَف، والصباح بن محمّد بن الأشعث، وباذان مولاهم، وعمر بن أبي الصَّلت، وكلّ هؤلاء ادَّعى قتله.

فجاء إليهم أبو الجَهْم بن كنانة، فقال لهم: ادفعوا رأسه إليَّ حتى تصطلحوا، فدفعوه إليه، فأقبل أبو الجَهْم إلى الحجّاج، فسيَّره الحجّاج إلى عبد الملك، فجعل عطاءه في ألفَيْن.

ثمّ إنّ سفيان سار إليهم، فأحاط بهم، ثمّ أمر مناديه، فنادى: مَنْ قتل صاحبه وجاء إلينا فهو آمن، فقال عُبيدة بن هلال في ذلك:

لعمـري لقـد قـامَ الأصَمُّ بخـطبَـةٍ ... لـذي الشـكّ منهـا في الصّـدورِ غليـلُ
لعمـري لئن أعـطيتُ سفيـانَ بيعتي ... وفـارَقْـتُ دينـي إنَّنـي لـجَـهـولُ
إلى الله أشكُـو مـا تَـرى بجيـادِنـا ... تَـسـاوَكُ هـزْلـى مُـخَّهـنَّ قـليـلُ
تعـاوَرَهـا القُـذّافُ من كـلِّ جـانبٍ ... بـقُـومِسَ حتـى صعـبهـنَّ ذَلـولُ
فـإن يـكُ أفنـاهـا الحصـارُ فـرُبَّمـا ... تَشَحَّطَ فيمـا بـينـهـنَّ قـتيـلُ
وقـد كنَّ ممّـا إن يُقَـدْنَ على الـوَجى ... لـهـنَّ بـأبـوابِ القِبـابِ صَهيـلُ

وحصرهم سفيان حتى أكلوا دوابِّهم، ثمّ خرجوا إليـه، فقاتلوه، فقتلهم وبعث برؤوسهم إلى الحجّاج، ثمَّ دخل سفيان دنباوند وطبرستان، فكـان هناك حتى عـزله الحجّاج قبل الجماجم.

وقال بعض العلماء: وانقرضت الأزارقة بعد مقتل قَطَريّ وعُبيدة، إنَّما كانـوا دفعـة متَّصلة أهل عسكـر واحد، وأوَّل رؤسـائهم نافـع بن الأزرق، وآخرهم قَـطَري وعبيـدة، واتَّصل أمرهم بضعـاً وعشـرين سنـة، إلاّ أنّي أشـكُّ في صُبَيـح المـازنيّ التميميّ مـولى سـوار بن الأشعـر الخـارج أيّـام هشـام، قيـل: هـو من الأزارقـة أو الصُّفْريَّة، إلاّ أنه لم تصل أيّامه بل قُتل عُقيب خروجه.

* * *

الملـك لختيعـة

عنـدما هلك عمـرو بن عـدي وتفـرَّقت حمير، وثب عليهم رجـل من حميـر لم يكن من بيـوت المملكة، يقـال له لختيعـة تنوف ذو شنـاتـر، فملكهم، في قـول ابن إسحـاق، فقتل خيـارهم وعبث ببيوت أهـل المملكة منهم، وكـان امرأً فـاسقـاً يزعمون أنه كان يعمل عمل قوم لوط، فكان إذا سمع بغلام من أبناء الملوك أنـه قد بلغ، أرسل إليه، فوقع عليه في مشربة لئلاّ يملك بعـد ذلك، ثم يـطلع إلى حرسـه وجنده قد أخذ سواكاً في فيِّه يعلمهم، أنه قد فرغ منه، ثم يخلي سبيله، فيفضحه.

وكان من أبناء الملوك زُرعة ذو نواس بن تُبّـان أسعد بن كـرب، وكان صغيـراً حين أُصيب أخوه حسّان، فشبَّ غلاماً جميـلاً ذا هيئة، فبعث إليـه لختيعة ليفعـل به

ما كان يفعل بغيره، فأخذ ذو نواس سكيناً لطيفاً، فجعله بين نعله وقدمه، ثم انطلق إليه مع رسوله، فلما خلا به في المشربة قتله ذو نواس بالسكين، ثم احتزَّ رأسه، فجعله في كوَّة مشربته التي يطلع منها. ثم أخذ سواكه، فجعله في فيِّه، ثم خرج، فقالوا له: ذو نواس، أرطب أم يباس؟ فقال: سل نخماس، استرطبان ذو نواس لا بأس.

فذهبوا ينظرون حين قال لهم ما قال، فإذا رأس لختيعة مقطوع، فخرجت حمير والحرس في أثر ذي نواس حتى أدركوه، فملَّكوه حيث أراحهم من لختيعة، واجتمعوا عليه، وكان يهودياً، وبنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم على استقامة، لهم رئيس يقال له عبد الله بن الثامر، وكان أصل النصرانية بنجران.

* * *

ليلى بن النُّعمان الديلميّ

في سنة تسع وثلاثمائة، قُتل ليلى بن النُّعمان الديلميُّ، وكان ليلى هذا أحد قوّاد أولاد الأُطروش العلويّ، وكان إليه ولاية جُرجان، وكان قد استعمله عليها الحسن بن القاسم، الداعي سنة ثمان وثلاثمائة، وكان أولاد الأُطروش يكاتبونه: المؤيِّد لدين الله المنتصر لآل رسول الله ﷺ، ليلى بن النُّعمان؛ وكان كريماً، بذّالاً للأموال، شجاعاً مقداماً على الأهوال.

وسار من جُرجان إلى الدّامغان، فحاربه أهلها، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وعاد إلى جُرجان، فابتنى أهل الدَّامغان حصناً تحميهم، وسار قراتكين إليه بجُرجان، فحاربه على نحو عشرة فراسخ من جُرجان، فانهزم قراتكين، واستأمن غلامه بارس إلى ليلى ومعه ألف فارس، فأكرمه ليلى، وزوَّجه أخته، واستأمن إليه أبو القاسم بن حفص ابن أخت أحمد بن سهل، فأكرمه ليلى.

ثمّ إنّ الأجناد كثروا على ليلى بن النُّعمان، فضاقت الأموال عليه، فسار نحو نَيسابور بأمر الحسن بن القاسم الداعي، وتحريض أبي القاسم بن حفص، وكان بها قراتكين، فوردها في ذي الحجّة سنة ثمان وثلاثمائة، وأقام بها الخطبة للداعي،

وأنفذ السعيد نصر من بخارى إليه حمويّة بن عليّ، فالتقوا بطوس، واقتتلوا، فانهزم أكثر أصحاب حمويه بن عليّ حتى بلغوا مَرْو، وثبت حمويه، ومحمّد بن عبد الله البلغميُّ، وأبو جعفر صعلوك، وخوارزم شاه، وسيمجور الدواتيُّ، فاقتتلوا، فانهزم بعض أصحاب ليلى، فلم يقدر ليلى على الهرب، فنزل وتوارى في دار، فقبض عليه بفرا، وأنفذ إلى حموية فأعلمه بذلك، فأنفذ من قطع رأس ليلى، ونصبه على رمحٍ، فلمّا رآه أصحابه طلبوا الأمان، فأُمِّنُوا.

ثمّ قال حموية للجند: قد مكَّنكم الله من شياطين الجيل والدَّيلم، فأبيدوهم واستريحوا منهم أبد الدهر؛ فلم يفعلوا، وحامى كلّ قائد جماعة، فخرج منهم من خرج بعد ذلك، وكان قتل ليلى في ربيع الأول سنة تسع وثلاثمائة، وحُمل رأسه إلى بغداذ، وبقي بارس غلام قراتكين بجرجان.

وقيل: إن حمويه لمّا سار إلى قتال ليلى قيل له: إن ليلى يستبطئك في قصده؛ فقال: إنّي ألبس أحدَ خُفَّيَّ للحرب العامَ، والآخرَ في العام المقبل؛ فبلغ قوله ليلى، فقال: لكنّي ألبس أحد خُفّيّ للحرب قاعداً، والثاني قائماً وراكباً؛ فلمّا قُتل قال حمويه: هكذا مَنْ تعجّل إلى الحرب.

* * *

مروان بن محمّد بن مروان بن الحكم

في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، قُتل مروان بن محمّد، وكان قتله ببُوصير، من أعمال مصر، لثلاث بقين من ذي الحجّة.

وكان مروان، لمّا هزمه عبدُ الله بن عليّ بالزّاب أتى مدينة الموصل وعليها هشام بن عمرو التغلبيّ وبِشْر بن خُزَيْمة الأسديّ، فقطعا الجسر، فناداهم أهل الشام: هذا أمير المؤمنين مروان! فقالوا: كذبتم، أميرَ المؤمنين لا يفرّ! وسبَّه أهل الموصل، وقالوا: يا جَعْدي! يا معطل، الحمد لله الذي أزال سلطانكم وذهب بدولتكم! الحمد لله الذي أتانا بأهل بيت نبيِّنا! فلمّا سمع ذلك سار إلى بَلَد، فعبر دجلة وأتى حرّان، وبها ابن أخيه أبان بن يزيد بن محمّد بن مروان عامله عليها، فأقام بها نيفاً وعشرين يوماً.

وسار عبد الله بن عليّ حتى أتى الموصل، فدخلها وعزل عنها هشاماً واستعمل عليها محمّد بن صُول، ثمّ سار في أثر مروان بن محمّد، فلمّا دنا منه عبدُ الله حمل مروانُ أهله وعياله، ومضى منهزماً وخلّف بمدينة حرّان ابن أخيه أبان بن يزيد وتحته أمّ عثمان ابنة مروان.

وقدم عبد الله بن علي حرّان، فلقيه أبان مسوِّداً مبايعاً له، ودخل في طاعته، فآمنه ومَنْ كان بحرّان والجزيرة.

وقدم عبد الله بن علي حرّان، فلقيه أهلها بالسمع والطاعة، فأقام بها يومَيْن أو ثلاثة ثمّ سار عنها. فلمّا رأوا قلّة مَنْ معه طمعوا فيه، وقالوا: مرعوب منهزم؛ فاتبعوه بعدما رحل عنهم، فلحقوه على أميال. فلمّا رأى غبرةَ الخيل كمّن لهم، فلمّا جازوا الكمين صافّهم مروان فيمَنْ معه وناشدهم، فأبوا إلّا قتاله، فقاتلهم وأتاهم الكمين من خلفهم، فانهزم أهلُ حِمْص وقُتلوا حتى انتهوا إلى قريب المدينة.

وأتى مروان دمشقَ وعليها الوليدُ بن معاوية بن مروان، فخلّفه بها وقال: قاتلْهم حتى يجتمع أهل الشام. ومضى مروان حتى أتى فلسطين، فنزل أبي فُطرُس، وقد غلب على فلسطين الحَكَم بن ضبعان الجُذاميّ، فأرسل مروانُ إلى عبد الله بن يزيد بن رَوْح بن زنباع الجُذاميّ فأجاره، وكان بيت المال في يد الحكم.

وكان السفّاح قد كتب إلى عبد الله بن عليّ يأمره باتّباع مروان، فسار حتّى أتى الموصل، فتلقّاه مَنْ بها مسوِّدين وفتحوا له المدينة؛ ثم سار إلى حرّان، فتلقّاه أبان ين يزيد مسوِّداً، كما تقدّم، فآمنه وهدم عبد الله الدار التي حُبس فيها إبراهيم، ثمّ سار من حرّان إلى منْبج، وقد سوَّدوا، فأقام بها، وبعث إليه أهلُ قِنّسرين ببيعتهم، وقدم عليه أخوه عبد الصمد بن عليّ، أرسله السفّاحُ مدداً له في أربعة آلاف، فسار بعد قدوم عبد الصمد بيومَيْن إلى قنّسرين، وكانوا قد سوَّدوا، فأقام يومَيْن ثمّ سار إلى حمص وبايع أهلها وأقام بها أيّاماً، ثمّ سار إلى بعلبكّ، فأقام يومَيْن، ثمّ سار فنزل مِزّة دمشق، وهي قرية من قرى الغوطة؛ وقدم عليه أخوه

صالح بن عليّ مدداً، فنزل مرج عَذْراء في ثمانية آلاف؛ ثمّ تقدَّم عبدُ الله، فنزل على الباب الشرقيّ، ونزل صالح على باب الجابية، ونزل أبو عَوْن على باب كَيسان، ونزل بسّام بن إبراهيم على باب الصغير، ونزل حُمَيْد بن قَحْطبة على باب توما، وعبد الصمد ويحيى بن صفوان والعبّاس بن يزيد على باب الفراديس، وفي دمشق الوليدُ بن معاوية، فحصروه ودخلوها عنوةً يوم الأربعاء لخمس مضين من رمضان، سنة اثنتَيْن وثلاثين ومائة.

وكان أوّل مَنْ صعد سور المدينة من باب شرقي عبد الله الطائي، ومن ناحية باب الصغير بسّام بن إبراهيم، فقاتلوا بها ثلاث ساعات، وقُتل الوليد بن معاوية فيمَنْ قُتل.

وأقام عبد الله بن عليّ في دمشق خمسة عشر يوماً، ثمّ سار يريد فلسطين، فلقيه أهلُ الأردنّ وقد سوَّدوا، وأتى نهر أبي فُطْرُس وقد ذهب مروان، فأقام عبدُ الله بفلسطين، ونزل بالمدينة يحيى بن جعفر الهاشميُّ، فأتاه كتاب السفّاح يأمره بإرسال صالح بن عليّ في طلب مروان. فسار صالح من نهر أبي فُطْرُس في ذي القعدة سنة اثنتَين وثلاثين ومائة ومعه ابن فتّان وعامر بن إسماعيل، فقدم صالح أبا عون وعامر بن إسماعيل الحارثيُّ، فساروا حتّى بلغوا العريش. فأحرق مروان ما كان حوله من علف وطعام.

وسار صالح، فنزل النيل، ثمّ سار حتى أتى الصعيد، وبلغه أنّ خيلاً لمروان يحرقون الأعلاف، فوجَّه إليهم، فأُخذوا وقُدم بهم على صالح وهوَ بالفسطاط، وسار فنزل موضعاً يقال له ذات السلاسل، وقدم أبو عَوْن عامرَ بن إسماعيل الحارثيّ وشُعْبَة بن كَثير المازنيّ في خيل أهل الموصل، فلقوا خيلاً لمروان فهزموهم، وأسروا منهم رجالاً، فقتلوا بعضاً واستحيوا بعضاً، فسألوهم عن مروان، فأخبروهم بمكانه على أن يؤمنوهم، وساروا فوجدوه نازلاً في كنيسة في بُوصير، فوافوه ليلاً، وكان أصحاب أبي عَوْن قليلين، فقال لهم عامر بن إسماعيل: إن أصبحنا ورأوا قلّتنا أهلكونا، ولم ينجُ منّا أحد. وكسر جفن سيفه وفعل أصحابه مثله، وحملوا على أصحاب مروان فانهزموا، وحمل رجل على مروان، فطعنه وهو لا يعرفه، وصاح

صائح: صُرع أمير المؤمنين! فابتدروه، فسبق إليه رجلٌ من أهل الكوفة كان يبيع الرمّان، فاحتزَّ رأسه، فأخذه عامر، فبعث به إلى أبي عَوْن، وبعثه أبو عَوْن إلى صالح.

فلمّا وصل إليه أمرَ أن يقصَّ لسانه، فأخذه هِرٌّ، فقال صالح: ماذا تُرينا الأيّام من العجائب والعبر! هذا لسان مروان قد أخذه هرّ؛ وقال شاعر:

قد فتح اللّهُ مِصراً عَنوةً لكمُ وأهلكَ الفاجرَ الجَعْديَّ إذ ظَلَما
فلاكَ مِقْولَه هرٌّ يجرِّره وكان ربُّك من ذي الكُفر مُنتقِما

وسيَّره صالح إلى أبي العبّاس السفّاح.

وكان قتله لليلتَيْن بقيتا من ذي الحجّة، ورجع صالح إلى الشام، وخلَّف أبا عون بمصر وسلَّم إليه السلاح والأموال والرقيق.

ولمّا وصل الرأسُ إلى السفّاحُ كان بالكوفة، فلمّا رآه سجد ثمّ رفع رأسه، فقال: الحمد لله الذي أظهرني عليك وأظفرني بك، ولم يبقَ ثأري قِبَلك وقِبَل رهطك أعداء الدين! وتمثّل:

لو يشربون دمي لم يروَ شاربُهم ولا دماؤهم للغَيْظ تَرْوِيني

* * *

المستعين

في سنة اثنتين وخمسين ومائتين، أراد المعتزّ قتل المستعين أحمد بن محمّد بن المعتصم، كتب إلى محمّد بن عبد الله يأمره بتسليم المستعين إلى سيما الخادم، فكتب محمّد إلى الموكَّلين بالمستعين بواسط في تسليمه إليه، وأرسل أحمد بن طولون في تسليمه، فأخذه أحمد وسار به إلى القاطول، فسلَّمه إلى سعيد بن صالح، فأدخله سعيد منزله، وضربه حتى مات.

وقيل: بل جعل في رجله حجراً وألقاه في دجلة، وقيل: كان قد حمل معه داية له تعادله، فلمّا أخذه سعيد ضربه بالسيف، فصاح، وصاحت دايته، ثمّ قُتل

وقُتلت المرأة معه، وحمل رأسه إلى المعتزّ، وهو يلعب الشَّطْرَنْج، فقيل: هذا رأس المخلوع! فقال: ضعوه حتّى أفرغ من الدَّست! فلمّا فرغ نظر إليه، وأمر بدفنه، وأمر لسعيد بخمسين ألف درهم، وولّاه معونة البصرة.

* * *

المقنَّع

في سنة إحدى وستين ومائة، سار مُعاذ بن مُسلم وجماعة من القوّاد والعساكر إلى المقنع، وعلى مقدِّمته سعيد الحَرَشيّ، وأتاه عُقبة بن مُسلم من زَمّ، فاجتمع به بالطواويس، وأوقعوا بأصحاب المقنَّع، فهزموهم، فقصد المنهزمون إلى المُقنَّع بسِنام، فعمل خندقها وحصنها، وأتاهم مُعاذ فحاربهم، فجرى بينه وبين الحَرَشيّ نَفْرَةٌ، فكتب الحَرَشيّ إلى المهديّ يقع في مُعاذ، ويضمن له الكفاية إن أفرده بحرب المقنَّع، فأجابه المهديّ إلى ذلك، فانفرد الحَرَشيّ بحربه، وأمدَّه مُعاذ بابنه رَجاء في جيش، وبكل ما التمسه منه، وطال الحصار على المقنَّع، فطلب أصحابه الأمان سرّاً منه، فأجابهم الحَرَشيّ إلى ذلك، فخرج نحو ثلاثين ألفاً، وبقي معه زُهاء ألفين من أرباب البصائر. وتحوّل رَجاء بن مُعاذ وغيرُه، فنزَلوا خندقَ المُقنَّع في أصل القلعة، وضايقوه.

فلمّا أيقن بالهلاك، جمع نساءه وأهله، وسقاهم السم، فأتى عليهم، وأمر أن يُحْرَقَ هو بالنار لئلا يُقْدَر على جثّته؛ وقيل: بل أحرق كلّ ما في قلعته من دابّة وثوب وغير ذلك، ثمّ قال: مَنْ أحبَّ أن يرتفعَ معي إلى السماء، فليلقِ نفسه معي في هذه النّار! وألقى بنفسه مع أهله، ونسائه وخواصّه، فاحترقوا، ودخل العسكرُ القلعة، فوجدوها خالية خاوية.

وكان ذلك ممّا زاد في افتتان مَنْ بقي من أصحابه، والذين يسمُّون المبيِّضة بما وراء النهر من أصحابه، إلاّ أنّهم يُسِرّون اعتقادهم؛ وقيل: بل شرب هو أيضاً من السمّ، فمات، فأنفذ الحَرَشيّ رأسه إلى المهديّ، فوصل إليه وهو بحلب سنة ثلاث وستّين ومائة، في غزواته.

* * *

لبيد بن عمرو الغساني يقطع رأس
(المنذر بن المنذر بن ماء السماء)

لما قُتل المنذر بن ماء السماء في يوم عين أُباغ، ملك بعده ابنه المنذر وتلقب الأسود. فلمّا استقرَّ وثبَّت قدمه، جمع عساكره وسار إلى الحارث الأعرج طالباً بثأر أبيه عنده، وبعث إليه: إنني قد أعددت لك الكهول، على الفحول، فأجابه الحارث: قد أعددتُ لك المُرْد على الجُرد. فسار المنذر حتى نزل بمرج حليمة، فتركه من به من غسان للأسود، وإنما سمِّي مرج حليمة بحليمة ابنة الحارث الغساني.

ثم إن الحارث سار، فنزل بالمرج أيضاً، فأمر أهل القرى التي في المرج أن يصنعوا الطعام لعسكره، ففعلوا ذلك وحملوه في الجفان وتركوه في العسكر، فكان الرجل يقاتل، فإذا أراد الطعام جاء إلى تلك الجفان فأكل منها. فأقامت الحرب بين الأسود والحارث أياماً لم ينتصف بعضهم من بعض. فلما رأى الحارث ذلك قعد في قصره، ودعا ابنته هنداً وأمرها، فاتخذت طيباً كثيراً في الجفان وطيَّبت به أصحابه، ثم نادى: يا فتيان غسان، من قتل ملك الحيرة زوجته ابنتي هنداً. فقال لبيد بن عمرو الغساني لأبيه: يا أبتِ، أنا قاتل ملك الحيرة أو مقتول دونه لا محالة، ولست أرضى فرسي، فاعطني فرسك الزيتيَّة، فأعطاه فرسه.

فلما زحف الناس واقتتلوا ساعةً شدَّ لبيد على الأسود، فضربه ضربة، فألقاه عن فرسه وانهزم أصحابه في كل وجه، ونزل فاحتزَّ رأسه وأقبل به إلى الحارث وهو على قصره ينظر إليهم، فألقى الرأس بين يديه. فقال له الحارث: شأنك بابنة عمك فقد زوجتكها. فقال: بل أنصرف فأواسي أصحابي بنفسي، فإذا انصرف الناس انصرفتُ.

فرجع فصادف أخاه الأسود قد رجع إليه الناس وهو يقاتل وقد اشتدت نكايته، فتقدَّم لبيد فقاتل فقُتل، ولم يُقتل في هذه الحرب بعد تلك الهزيمة غيره. وانهزمت لخم هزيمةً ثانية وقُتلوا في كل وجه، وانصرفت غسّان بأحسن ظفر.

وذُكر أن الغبار في هذا اليوم، اشتدَّ وكثر حتى ستر الشمس، وحتى ظهرت الكواكب المتباعدة عن مطالع الشمس لكثرة العساكر، لأن الأسود سار بعرب العراق

أجمع، وسار الحارث بعرب الشام أجمع، وهذا اليوم أشهر أيام العرب.

وقيل في قتله غير ما تقدَّم، ونحن نذكره.

قال بعض العلماء: وكان سببه أن الحارث بن أبي شمر جبلة بن الحارث الأعرج الغسّاني خطب إلى المنذر بن المنذر اللخمي ابنته و قصد انقطاع الحرب بين لخم وغسّان، فزوَّجه المنذر ابنته هنداً، وكانت لا تريد الرجال، فصنعت بجلدها شبيهاً بالبرص وقالت لأبيها: أنا على هذه الحالة وتهديني لملك غسّان؟ فندم على تزويجها فأمسكها. ثم أنّ الحارث أرسل يطلبها، فمنعها أبوها واعتلَّ عليه.

ثم إن المنذر خرج غازياً، فبعث الحارث بن أبي شمر جيشاً إلى الحيرة فانتهبها وأحرقها. فانصرف المنذر من غزاته لما بلغه من الخبر، فسار يريد غسّان، وبلغ الخبر الحارث، فجمع أصحابه وقومه، فسار بهم فتوافقوا بعين أُباغ، فاصطفّوا للقتال، فاقتتلوا واشتدَّ الأمر بين الطائفتين، فحملت ميمنة المنذر على ميسرة الحارث، وفيها ابنه فقتلوه، وانهزمت الميسرة، وحملت ميمنة الحارث على ميسرة المنذر، فانهزم من بها وقُتل مقدِّمها فروة بن مسعود بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، وحملت غسّان من القلب على المنذر، فقتلوه وانهزم أصحابه في كل وجه، فقُتل منهم بشر كثير وأُسر خلق كثير، منهم: شأس بن عَبَدَة، فوفد أخوه علقمة بن عبدة الشاعر على الحارث يطلب إليه أن يطلق أخاه، ومدحه بقصيدته المشهورة التي أوَّلها:

طحا بك قلب في الحسان طروبُ ... بُعَيْد الشباب عصر حان مشيبُ
تكلّفني ليلى وقد شطَّ أهلها ... وعادت عوادٍ بيننا وخطوبُ

ويقول فيها:

فإن تسألوني بالنساء فإنني ... بصيرٌ بأدواء النساء طبيبُ
إذا شاب رأس المرء أو قلَّ ماله ... فليس له في ودِّهنَّ نصيبُ
يردن ثراء المال حيث وجدنهُ ... وشرخ الشباب عندهنَّ عجيبُ

إلى أن يقول:

وفي كل حيٍّ قد خبطتَ بنعمةٍ ... فَحقَّ لشأسٍ من نداك ذنوبُ

فلما بلغ إلى قوله: فحقَّ لشأس من نداك ذنوب، قال الملك: إي والله وأذنِبَةٌ، ثم أطلق شأساً وقال له: إن شئت الحباء، وإن شئت أسراء قومك؟ وقال لجلسائه: إن اختار الحباء على قومه فلا خير فيه. فقال: أيها الملك ما كنت لأختار على قومي شيئاً. فأطلق له الأسرى من تميم وكساه وحباه، وفعل ذلك بالأسرى جميعهم، وزوَّدهم زاداً كثيراً. فلما بلغوا بلادهم أعطوا جميع ذلك لشأس، وقالوا: أنت كنت السبب في إطلاقنا، فاستعن بهذا على دهرك. فحصل له مال كثير من إبل وكسوة وغير ذلك.

وقيل في قتله غير هذا. وقد اختلف النسابون وأهل السير في مدَّة الأيام وتقديم بعضها على بعض، واختلفوا أيضاً في المقتول فيها. فمنهم من يقول: إن يوم حليمة هو اليوم الذي قُتل فيه المنذر بن ماء المساء، ويوم أُباغ هو اليوم الذي قُتل فيه المنذر بن المندر، ومنهم من يقول بضدّ ذلك، ومنهم من يجعل اليومين واحداً، فيقول: لم يُقتل إلّا المنذر بن ماء السماء. وأمّا ابنه المنذر، فمات بالحيرة، وقيل: إن المقتول من ملوك الحيرة غيرهما. والصحيح، إن المقتول هو المنذر بن ماء السماء لا شك فيه، وأمّا ابنه، ففيه خلاف كثير، والأصح أنه لم يُقتل، ومن أثبت قتله، اختلفوا في سببه على ما ذكرناه.

* * *

نصيبُ السُّلَميّ

خرج جيش لبني سُلَيم عليهم النَّصيبُ السُّلَميّ وهم يريدون الغارة على بكر بن وائل، فلقيهم رجلٌ من بني شيبان اسمه صُلَيْع بن عبد غَنْم وهو مُحْرم على فرسٍ له يسمّى البحراء، فقال لهم: أين تذهبون؟ قالوا: نريد الغارة على بني شيبان. فقال لهم: مهلاً، فإنّي لكم ناصح، إيّاكم وبني شيبان، فإنّي أقسم لكم بالله لتأتينَّكم على ثلاثمائة فرس خصيّ سوى الفحول والإناث. فأبوا إلّا الغارةَ عليهم، فدفع صُلَيْع فرسه ركضاً حتى أتى قومَه فأنذرهم، فركبت شيبان واستعدّوا،

فأتاهم بنو سليم وهم مُعِدُّون، فاقتتلوا قتالاً شديداً فظفرت شيبان وانهزمت سليم، وقتل منهم مقتلة كثيرة وأُسر منهم ناس كثير، ولم ينجُ إلاّ القليل، وأُسر النَّصيب رئيسهم، أسره عِمْران بن مُرَّة الشَّيبانيّ، فضرب رقبته، فقال صُلَيْع:

نهيتُ بني زَعْل غداةَ لقيتُهم وجيشَ نصيب والظنون تُطاعُ
وقلتُ لهم: إنَّ الحريب وراكساً به نَعَم ترعى المرارَ رتاعُ
ولكنَّ فيه الموت يرتعُ سربه وحُقَّ لهم أن يقبلوا ويطاعوا
متى تأتِهِ تلقى على الماء حارثاً وجيشاً له يوفي بكلِّ بقاع

* * *

وصيف

في سنة ثلاث وخمسين ومائتين، قُتل وصيف؛ وكان سبب قتله أن الأتراك والفراغنة والأشروسنيّة شغبوا، وطلبوا أرزاقهم لأربعة أشهر، فخرج إليهم بُغا ووصيف وسيما، فكلَّمهم وصيف، فقال لهم: خذوا التراب، ليس عندنا مال. وقال بغا: نعم! نسأل أمير المؤمنين، ونتناظر في دار أشناس. فدخلوا دار أشناس.

ومضى سيما وبغا إلى المعتزّ، وبقي وصيف في أيديهم، فوثب عليه بعضهم، فضربه بالسيف، ووجأه آخر بسكّين، ثمّ ضربوه بالطبر زينات حتى قتلوه، وأخذوا رأسه ونصبوه على مِحْراك تنّور؛ وجعل المعتزّ ما كان إلى وصيف، إلى بُغا الشرابيّ، وهو بُغا الصغير، وألبسه التاج والوشاحَيْن.

* * *

الوليد بن طريف الخارجيّ

في سنة ثمان وسبعين ومائة، خرج الوليد بن طريف التغلبيّ بالجزيرة، ففتك بإبراهيم بن خازم بن خُزَيْمة بنَصيبين، ثمّ قويت شوكة الوليد، فدخل إلى أرمينية، وحصر خِلاط عشرين يوماً، فافتدوا منه أنفسهم بثلاثين ألفاً.

ثمّ سار إلى أذْرَبيجان، ثمّ إلى حُلْوان وأرض السواد، ثمّ عبر إلى غرب دجلة، وقصد مدينة بَلَدَ، فافتدوا منه بمائة ألف، وعاث في أرض الجزيرة، فسيَّر

إليه الرشيد يَزيدَ بن مَزْيد بن زائدة الشيبانيّ، وهو ابن أخي معن بن زائدة، فقال الوليد:

سَتَعْلَمُ يا يَزيدُ إذا التقَيْنا بشَطِّ الزّابِ أيّ فَتًى يَكُونُ

فجعل يزيد يختاله ويماكره، وكانت البرامكة منحرفة عن يَزيد، فقالوا للرشيد: إنَّما يتجافَى يَزيد عن الوليد للرحم، لأنَّهما كلاهما من وائل، وهوَّنوا أمر الوليد، فكتبَ إليه الرشيد كتاب مغضب، وقال له: لو وجَّهتُ أحد الخدم لقام بأكثر ممّا تقوم به، ولكنَّك مداهن، متعصِّب، وأُقسم بالله إن أخَّرتَ مناجزته، لأوجِّهنَّ إليك مَنْ يحمل رأسك، فلقي الوليد عشيَّة خميس في شهر رمضان سنة تسع وسبعين، فيقال: جهد عطشاً حتى رمى بخاتمه في فيِّه، وجعل يلوكه ويقول: اللهمّ إنَّها شدَّة شديدة، فاسترْها! وقال لأصحابه: فداكم أبي وأمّي، إنما هي الخوارج، ولهم حملة، فاثبتوا، فإذا انقضت حملتهم، فاحملوا عليهم، فإنَّهم إذا انهزموا لم يرجعوا.

فكان كما قال، حملوا عليهم حملة، فثبت يزيد ومَنْ معه من عشيرته، ثمّ حمل عليهم فانكشفوا، فيقال: إنّ أسد بن يزيد كان شبيهاً بأبيه جدّاً لا يفصل بينهما إلاّ ضربة في وجه يزيد تأخذ من قصاص شعره، منحرفة على جبهته، فكا أسد يتمنّى مثلها، فهوت إليه ضربة، فأخرج رأسه من الترس، فأصابته في ذلك الموضع، فيقال: لو خُطَّت على ضربة أبيه ما عدا.

واتبع يزيدُ الوليدَ بن طريف، فلحقه، فاحتزَّ رأسه، فقال بعض الشعراء:

وائلٌ بعضُهم يُقَتِّلُ بَعضاً لا يَفُلُّ الحديدَ إلاّ الحديدُ

فلما قُتل الوليد، صبحتْهم أختُه ليلى بنت طريف، مستعدَّة، عليها الدِّرع، فجعلت تحمل على الناس، فعُرفت، فقال يزيد: دعوها! ثمّ خرج إليها، فضرب بالرُّمح قَطاةَ فرسِها، ثمّ قال: اعزبي عَزَبَ اللّهُ عليك، فقد فضحت العشيرة؛ فاستحيتْ وانصرفتْ وهي تقول ترثي الوليد:

بتَلِّ تباثَا رَسْمُ قَبْرٍ كَأنَّهُ على عَلَمٍ فَوْقَ الجِبالِ مُنيفِ

تَضَمَّنَ جُوداً حاتِمِيّاً وَنائِلاً		وسَوْرَةَ مِقْدامٍ وقلبَ حَصِيفِ
ألا يا لَقَوْمي للنَّوائبِ والرَّدى		ودَهرٍ مُلِحٍّ بالكرام عَنيفِ
وللبَدرِ من بين الكواكبِ قد هَوى		وللشَّمسِ همَّت بعده بكُسوفِ
فتًى لا يُحبُّ الزّادَ إلاّ من التُّقى		ولا المالَ إلاّ من قَناً وسُيوفِ
فلا تجْزَعا يا ابنَيْ طريفٍ فإنّني		أرَى المَوْتَ نَزّالاً بكُلِّ شرِيفِ

* * *

الوليد بن عبد الملك

في سنة تسع وستّين، خالف عمرُو بن سعيد عبدَ الملك بن مروان وغلب على دمشق، فقتله.

وكان السبب في ذلك أن عبد الملك بن مروان، أقام بدمشق بعد رجوعه من قِنَّسْرين ما شاء الله أن يقيم، ثمّ سار يريد قَرْقِيسيا وبها زُفر بن الحارث الكلائيّ، وكان عمرو بن سعيد مع عبد الملك، فلمّا بلغ بُطنان حبيب، رجع عمرو ليلاً ومعه حُمَيْد بن حُرَيْث الكلبيُّ وزُهَير بن الأبرد الكلبيُّ، فأتَى دمشق وعليها عبد الرحمن بن أمّ الحكم الثقفيّ قد استخلفه عبدا لملك، فلمّا بلغه رجوع عمرو بن سعيد هرب عنها، ودخلها عمرو، فغلب عليها وعلى خزائنها وهدم دار أمّ الحكَم، واجتمع الناس إليه، فخطبهم ومنّاهم ووعدهم.

وأصبح عبد الملك وفقد عَمراً، فسأل عنه، فأُخبر خبره، فرجع إلى دمشق، فقاتله أيّاماً، وكان عمرو إذا أخرج حُمَيْد بن حُريث على الخيل، أخرج إليه عبدُ الملك سُفيانَ بن الأبْرد الكلبيَّ، وإذا أخرج عمروٌ زُهَيْرَ بن الأبرد أخرج إليه عبدُ الملك حَسّانَ بن مالك بن بَحْدل.

ثمّ إنّ عبد الملك وعَمراً اصطلحا، وكتبا بينهما كتاباً وآمنه عبد الملك، فخرج عمرو في الخيل إلى عبد الملك، فأقبل حتى أوطأ فرسه أطناب عبد الملك، فانقطعت وسقط السُّرادق، ثمّ دخل على عبد الملك فاجتمعا.

ودخل عبد الملك دمشق يوم الخميس، فلمّا كان بعد دخول عبد الملك

بأربعة أيّام، أرسل إلى عمرو أن ائتني، وكان عبد الملك استشار كُرَيب بن أبرهة الحميريَّ في قتل عمرو، فقال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل، في مثل هذا هلكتْ حِمْير.

فلمّا أتى الرسولُ عَمراً يدعوه صادف عنده عبدَ الله بن يزيد بن معاوية، فقال لعمرو: يا أبا أميَّة أنتَ أحبُّ إليّ من سمعي ومن بصري، وأرى لك أن لا تأتيه. فقال عمرو: لِمَ؟ قال: لأن تُبيع ابن امرأة كعب الأحبار. قال: إنَّ عظيماً من ولد إسماعيل يرجع، فيغلق أبواب دمشق، ثمّ يخرج منها، فلا يلبث أن يُقْتَل. فقال عمرو: والله لو كنت نائماً ما انتهبني ابن الزرقاء ولا اجترأ عليَّ، أما إنّي رأيتُ عثمان البارحة في المنام، فألبسني قميصه. وكان عبد الله بن يزيد زوج ابنة عمرو. ثمَّ قال عمرو للرسول: أنا رائح العشيَّة.

فلمّا كان العشاء، لبس عمرو درعاً ولبس عليها القَباء وتقلَّد سيفه وعنده حُمَيْد بن حُرَيث الكلبيُّ، فلمّا نهض متوجِهاً عثر بالبساط، فقال له حُمَيد: والله لو أطعتني لم تأتِه. وقالت له امرأته الكلبيَّة كذلك، فلم يلتفت ومضى في مائة من مواليه.

وقد جمع عبد الملك عنده بني مروان، فلمّا بلغ أذن له، فدخل، فلم يزل أصحابه يُحبَسون عند كلِّ باب حتى بلغ قارعة الدار وما معه إلاّ وصيف له، فنظر عمرو إلى عبد الملك وإذا حوله بنو مروان وحسّان بن بَحْدل الكلبيُّ وقَبيصة بن ذُؤيب الخُزاعيُّ، فلمّا رأى جماعتهم أحسَّ بالشر، فالتفت إلى وصيفه وقال: انطلقْ إلى أخي يحيَى فقل له يأتِني، فلم يفهم الوصيف، فقال له: لبَّيك! فقال عمرو: اغرب عنّي في حرق الله وناره! وأذن عبد الملك لحسّان وقبيصة، فقاما، فلقيا عمراً في الدار، فقال عمرو لوصيفه: انطلقْ إلى يحيَى فمُرْهُ أن يأتيني، فقال: لبَّيك! فقال عمرو: اغرب عنّي.

فلمّا خرج حسّان وقبيصة، أُغلِقت الأبواب ودخل عمرو، فرحَّب به عبد الملك وقال: ها هنا، ها هنا، يا أبا أميَّة! فأجلسه معه على السرير وجعل يحادثه طويلًا، ثمّ قال: يا غلام، خذ السيف عنه. فقال عمرو: إنّا لله يا أمير

المؤمنين. فقال عبد الملك: أتطمع أن تجلس معي متقلِّداً سيفك؟ فأخذ السيف عنه، ثمّ تحدَّثا، ثمّ قال له عبد الملك: يا أبا أميَّة، إنَّك حيث خلعتني آليتُ بيمين، إن أنا ملأتُ عيني منك وأنا مالك لك أن أجعلك في جامعة. فقال له بنو مروان: ثمّ تطلقه يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، وما عسيت أن أصنع بأبي أميّة؟ فقال بنو مروان: أبرّ قسم أمير المؤمنين. فقال عمرو: قد أبرَّ الله قسمك يا أمير المؤمنين.

فأخرج من تحت فراشه جامعة، وقال: يا غلام، قمْ، فاجمعه فيها. فقام الغلام، فجمعه فيها. فقال عمرو: أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن تخرجني فيها على رؤوس الناس. فقال عبد الملك: أمكراً يا أبا أميّة عند الموت؟ لا والله! ما كنّا لِنُخْرجَك في جامعة على رؤوس الناس. ثمّ جذبه جذبة، أصاب فمه السرير، فكسر ثنيَّتيه، فقال عمرو: أذكرك الله يا أمير المؤمنين، كسر عظم منّي فلا تركب ما هو أعظم من ذلك. فقال له عبد الملك: والله لو أعلم أنَّك تُبقي عليّ إنْ أنا أبقيتُ عليك وتصلح قريش لأطلقتُك، ولكن ما اجتمع رجلان في بلدة قطّ على ما نحن عليه إلاّ أخرج أحدهما صاحبه. فلمّا رأى عمرو أنّه يريد قتله، قال: أَغَدْراً يا ابنَ الزرقاء!

وقيل: إن عَمراً لمّا سقطت ثنيتاه جعل يمسُّهما، فقال عبد الملك: يا عمرو، أرى ثنيَّتَيك قد وقعتا منك موقعاً لا تطيب نفسك بعده.

وأذَّن المؤذِّن العصر، فخرج عبد الملك يصلّي بالناس، وأمر أخاه عبد العزيز أن يقتله، فقام إليه عبد العزيز بالسيف، فقال عمرو: أذكرك الله والرحم أن تلي قتلي، ليقتلني مَنْ هو أبعد رحماً منك. فألقى السيف وجلس، وصلّى عبد الملك صلاة خفيفة، ودخل وغلّقت الأبواب. ورأى الناس عبد الملك حين خرج وليس معه عمرو، فذكروا ذلك ليحيَى بن سعيد، فأقبل في الناس ومعه ألف عبدٍ لعمرو وناس من أصحابه كثير، فجعلوا يصيحون بباب عبد الملك: أسمعنا صوتك يا أبا أميّة! فأقبل مع يحيَى حُمَيْد بن حُرَيث وزُهَيْر بن الأبرد، فكسروا باب المقصورة وضربوا الناسَ بالسيوف، وضُرب الوليد بن عبد الملك على رأسه، واحتمله

إبراهيم بن عربي صاحب الديوان، فأدخله بيت القراطيس.

ودخل عبد الملك حين صلّى، فرأى عَمراً بالحياة، فقال لعبد العزيز: ما منعك أن تقتله؟ فقال: إنَّه ناشدني الله والرحم، فرققتُ له. فقال له: أخزى الله أمَّك البوّالة على عقبَيْها، فإنَّك لم تُشبه غيرها! ثمّ أخذ عبد الملك الحربة، فطعن بها عَمراً فلم تجزْ، ثمّ ثنّى فلم تجزْ، فضرب بيده على عضده، فرأى الدرع، فقال: ودرع أيضاً؟ إن كنت لمعدّاً! فأخذ الصمصامة وأمر بعمرو فصُرع، وجلس على صدره فذبحه وهو يقول:

يا عمرو إن لا تدَعْ شَتْمي ومنقصتي أضربْكَ حيثُ تقولُ الهامَّةُ اسقوني

وانتفض عبد الملك رعدة، فحُمل عن صدره، فوُضع على سريره، وقال: ما رأيتُ مثل هذا قطّ، قتله صاحب دنيا ولا طالب آخرة.

ودخل يحيَى ومَنْ معه على بني مروان يُخْرجهم ومَن كان من مواليهم، فقاتلوا يحيَى وأصحابه، وجاء عبدُ الرحمن بن أمّ الحكم الثقفيُّ، فدفع إليه الرأس، فألقاه إلى الناس، وقام عبد العزيز بن مروان وأخذالمال في البِدَر، فجعل يلقيها إلى الناس، فلمّا رأى الناسُ الرأسَ والأموال انتهبوا الأموالَ وتفرَّقوا، ثمّ أمر عبد الملك بتلك الأموال، فجُبيت حتى عادت إلى بيت المال.

* * *

الملك هيرودس يقطع رأس (يحيى بن زكريا)

لما ولد يحيى، عليه السلام، رآه أبوه حسن الصورة، قليل الشعر، قصير الأصابع، مقرون الحاجبين، دقيق الصوت. قوياً في طاعة الله مذ كان صبياً. قال الله تعالى: ﴿وآتيناه الحكْمَ صبياً﴾. قال له الصبيان أمثاله مرَّة: يا يحيى! اذهبْ بنا نلعبْ. فقال لهم: ما للَّعب خلقت. وكان يأكل العشب وأوراق الشَّجر، وقيل: كان يأكل خبز الشعير. ونبِّيء صغيراً، فكان يدعو الناس إلى عبادة الله، ولبس الشعر، فلم يكن له دينار ولا درهم ولا مسكن يسكن إليه.

ويعث الله عيسى رسولاً نسخ بعض أحكام التوراة، فكان ممّا نسخ أنه حرَّم

نكاح بنت الأخ، وكان للملك هيرودس بنت أخٍ تعجبه يريد أن يتزوَّجها، فنهاه يحيى عنها، وكان لها يوم حاجة يقضيها لها. فلما بلغ ذلك أمّها، قالت لها: إذا سألك الملك ما حاجتك، فقولي أن يذبح يحيى بن زكرياء. فلمّا دخلت عليه وسألها ما حاجتك، قالت: أريد أن تذبح يحيى بن زكرياء. فقال: اسألي غير هذا. قالت: ما أسألك غيره. فلما أبىْ دعا بيحيى، ودعا بطست فذبحه، فلمّا رأت الرأس قالت: اليوم قرَّت عيني! فصعدت إلى سطح قصرها، فسقطت منه إلى الأرض ولها كلاب ضارية تحته، فوثبت الكلاب عليها، فأكلتها وهي تنظر، وكان آخر ما أُكل منها عيناها لتعتبر. فلمّا قُتل بذرت قطرة من دمه على الأرض، ولم تزل تغلي حتى بعث الله بخت نصَّر عليهم، فجاءته امرأة فدلَّته على ذلك الدمّ، فألقى الله في قلبه أن يقتل منهم على ذلك الدمّ حتى يسكن، فقتل منهم سبعين ألفاً حتى سكن الدمّ.

وقال السُّديُّ (إسماعيل بن عبد الرحمن المتوفي سنة ١٢٨هـ) نحو هذا، غير أنه قال: أراد الملك أن يتزوَّج بنت امرأة له، فنهاه يحيى عن ذلك، فطلبت المرأة من الملك قتل يحيى، فأرسل إليه فقتله وأحضر رأسه في طست وهو يقول له: لا تحل لك، فبقي دمه يغلي، فطُرح عليه ترابٌ حتى بلغ سور المدينة، فلم يسكن الدم. فسلَّط الله عليهم بخت نصَّر في جمعٍ عظيم، فحصرهم، فلم يظفر بهم، فأراد الرجوع، فأتته امرأة من بني إسرائيل، فقالت: بلغني أنك تريد العود! قال: نعم، قد طال المقام وجاع الناس، وقلَّت الميرة بهم وضاق عليهم. فقالت: إن فتحتُ لك المدينة أتقتل من آمرك بقتله، وتكفّ إذا أمرتُك؟ قال: نعم. قالت: اقسمْ جندك أربعة أقسام على نواحي المدينة، ثم ارفعوا أيديكم إلى السماء، وقولوا: اللهمّ إنّا نستفتحك على دمّ يحيى بن زكرياء، ففعلوا، فخرب سور المدينة، فدخلوها، فأمرتهم العجوز أن يقتلوا على دم يحيى بن زكريا حتى يسكن، فلم يزل يقتل حتى قتل سبعين ألفاً وسكن الدم، فأمرته بالكفّ، وكفّ.

وخرَّب بيت المقدس، وأمر أن تُلقى فيه الجيف، وعاد.

(راجع ذكر الأحداث أيام ملوك الطوائف في الكامل لابن الأثير١ :٢٩٨ وما بعدها)

* * *

يزيد بن خالد القَسْريّ

في سنة سبع وعشرين ومائة، خالف أهلُ الغوطة، وولّوا عليهم يزيد بن خالد القَسْريّ، وحصروا دمشق، وأميرها زامل بن عمرو، فوجّه إليهم مروان من حمص أبا الورد بن الكَوْثر بن زُفَر بن الحارث، وعمرَ بن الوضّاح في عشرة آلاف، فلمّا دنَوا من المدينة حملوا عليهم، وخرج عليهم مَنْ بالمدينة، فانهزموا، واستباح أهلُ مروان عسكرهم وأحرقوا المِزَّة وقرى من اليمانيَّة، وأُخذ يزيد بن خالد فقُتل، وبعث زامل برأسه إلى مروان بحمص.

وممَّن قُتل في هذه الحرب: عمر بن هانىء العبسيّ مع يزيد، وكان عابداً كثير المجاهدة.

* * *

يزيد بن المهلَّب

في سنة اثنتين ومائة، سار يزيد بن المهلَّب عن واسط، واستخلف عليها ابنه معاوية وجعل عنده بيت المال والأسراء، وسار على فم النيل حتّى نزل العَقْرْ، وقدَّم أخاه عبد الملك بن المهلَّب نحو الكوفة، فاستقبله العبّاس بن الوليد بسُوار، فاقتتلوا، فحمل عليهم أصحاب عبد الملك حملة كشفوهم؛ ومعهم ناس من تميم وقيس من أهل البصرة، فنادوا: يا أهل الشام! اللَّهَ اللَّهَ أن تُسْلمونا! وقد اضطرَّهم أصحاب عبد الملك إلى النهر. فقال أهل الشام: لا بأس عليكم، إنَّ لنا جولة في أوّل القتال؟ ثم كرّوا عليهم، فانكشف أصحاب عبد الملك، فانهزموا وعادوا إلى يزيد. وأقبل مَسْلمة يسير على شاطىء الفرات إلى الأنبار وعقد عليها الجسر، فعبر وسار حتى نزل على ابن المهلَّب، وأتى إلى ابن المهلَّب ناس من أهل الكوفة كثير ومن الثغور، فبعث على مَنْ خرج إليه من أهل الكوفة ورُبْع أهل المدينة عبدَ الله بن سفيان بن يزيد بن المغفَّل الأزديّ، وعلى رُبْع مذحج وأسد النعمان بن إبرهيم بن الأشتر، وعلى كندة وربيعة محمّد بن إسحاق بن الأشعث، وعلى تميم وهَمْدان حنظلة بن عَتّاب بن ورقاء التميميّ، وجمعهم جميعاً مع المُفضَّل بن المهلَّب

وأحصى ديوان ابن المهلَّب مائة ألف وعشرين ألفاً، فقال: لوددت أنَّ لي بهم بخراسان من قومي؛ ثمّ قام في أصحابه فحرَّضهم على القتال.

وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد عسكر بالنُّخَيْلة، وشقَّ المياه، وجعل على أهل الكوفة الأرصاد لئلّا يخرجوا إلى ابن المهلَّب، وبعث بعثاً إلى مَسْلَمة مع سَبْرة بن عبد الرحمن بن مِخْنف، وبعث مسلمة، فعزل عبد الحميد عن الكوفة، واستعمل عليها محمّد بن عمرو بن الوليد بن عُقْبة، وهو ذو الشامة.

فجمع يزيد رؤوس أصحابه، فقال: قد رأيتُ أن أجمع اثني عشر ألفاً، فأبعثهم مع أخي محمّد بن المهلَّب حتّى يبيّتوا مسلمة ويحملوا معهم البراذع والأكف والزُّبُل لدفن خندقهم، فيقاتلهم على خندقهم بقية ليلته، وأُمِدُّه بالرجال حتّى أُصبح، فإذا أصبحتُ نهضتُ إليهم في الناس فأناجزهم، فإني أرجو عند ذلك أن ينصرنا الله عليهم، فقال السّمَيْدع: إنّا قد دعوناهم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ، وقد زعموا أنّهم قبلوا هذا منّا، فليس لنا أن نمكر ولا نغدر حتّى يردُّوا علينا ما زعموا أنّهم قابِلوه منّا. وقال أبو رؤبة، وهو رأس الطائفة المرجئة، ومعه أصحاب له: صدق، هكذا ينبغي.

فقال يزيد: ويحكم! أتصدِّقون بني أميَّة أنَّهم يعملون بالكتاب والسنَّة، وقد ضيَّعوا ذلك منذ كانوا؟ إنَّهم يخادعونكم ليمكروا بكم فلا يسبقوكم إليه، إنّي لقيتُ بني مروان فما لقيتُ منهم أمكر ولا أبعد غدراً من هذه الجرادة الصفراء، يعني مَسْلمة. قالوا: لا نفعل ذلك حتّى يردّوا علينا ما زعموا أنَّهم قابِلوه منّا.

وكان مروان بن المهلَّب بالبصرة يحثُّ النّاس على حرب أهل الشام، والحسن البصريّ يثبِّطهم، فلما بلغ ذلك مروانَ قام في الناس يأمرهم بالجدّ والاحتشاد، ثم قال: بلغني أنّ هذا الشيخ الضالّ المرائي، ولم يسمِّه، يثبِّط الناس، والله لو أنَّ جاره نزع من خُصِّ داره قصبة لظل يرعف أنفه! وأيم الله ليكفنَّ عن ذكرنا وعن جمعه إليه سُقّاط الأُبُلَّة وعلوج فرات البصرة أو لأنحينَّ عليه مِبرداً خشناً.

فلمّا بلغ ذلك الحسن، قال: والله ما أكره أن يكرمني الله بهوانه. فقال ناس من أصحابه: لو أرادك ثمّ شئتَ لمنعناك. فقال لهم: قد خالفتكم إذا ما نهيتُكم عنه، آمركم أن لا يقتل بعضكم بعضاً مع غيري، وآمركم أن يقتل بعضكم بعضاً دوني! فبلغ ذلك مروان فاشتدَّ عليهم وطلبهم وتفرَّقوا، وكفَّ عن الحسن.

وكان اجتماع يزيد بن المهلَّب ومَسْلمة بن عبد الملك بن مروان ثمانية أيّام، فلمّا كان يوم الجُمعة لأربع عشرة مضت من صفر بعث مسلمة إلى الوضّاح أن يخرج بالسفن حتى يحْرق الجسر، ففعل، وخرج مَسْلمة، فعبَّأ جنود أهل الشام، ثمّ قرَّب من ابن المهلَّب وجعل على ميمنته جَبَلَة بن مَخْرَمة الكنديّ، وعلى ميسرته الهُذَيْل بن زُفر بن الحارث الكلابيُّ، وجعل العبّاس بن الوليد على ميمنته سيف بن هانىء الهمدانيّ، وعلى ميسرته سُوَيْد بن القعقاع التميميّ، وكان مسلمة على الناس.

وخرج يزيد بن المهلَّب وقد جعل على ميمنته حَبيب بن المهلَّب، وعلى ميسرته المفضَّل بن المهلَّب، فخرج رجلٌ من أهل الشام، فدعا إلى المبارزة، فبرز إليه محمّد بن المهلَّب، فضربه محمّد، فاتّقاه الرجلُ بيده وعلى كفِّه كفّ من حديد، فضربه محمّد فقطع الكفّ، وأسرع السيفُ في كفِّه واعتنق فرسه، فانهزم.

فلمّا دنا الوضّاح من الجسر ألهب فيه النار، فسطع دخانه، وقد أقبل الناس، ونشبت الحرب، ولم يشتدّ القتال، فلمّا رأى الناس الدخان وقيل لهم أُحرق الجسر، انهزموا فقيل ليزيد: قد انهزم الناس. فقال: ممَّ انهزموا؟ هل كان قتال يُنهزم من مثله؟ فقيل له: قالوا أُحرق الجسر فلم يثبت أحد. فقال: قبَّحهم الله! بَقٌّ دُخِّن عليه فطار! ثمّ خرج معه أصحابه، فقال: أضربوا وجوه المنهزمين، ففعلوا ذلك بهم حتّى كثروا عليه، واستقبله أمثال الجبال، فقال: دَعوهم، فوالله إنّي لأرجو أن لا يجمعني وإيّاهم مكان أبداً، دَعوهم يرحمهم الله، غنَم عدا في نواحيها الذئب.

وكان يزيد لا يحدِّث نفسه بالفرار، وكان قد أتاه يزيد بن الحَكَم بن أبي العاص الثقفيّ، وهو ابن أخي عثمان بن أبي العاص صاحب رسول الله ﷺ،

ليس بينه وبين الحكم بن أبي العاص والد مروان نسبٌ، وهو بواسط، فقال له: إنّ بني مروان قد باد ملكهم، فإن كنتَ لم تشعر بذلك فاشعر، فقال: ما شعرتُ؛ فقال ابن الحكم:

فعشْ ملكاً أو متْ كريماً فإن تمتْ وسيفك مشهورٌ بكفِّك تُعذر

فقال: أمّا هذا فعسى. فلمّا رأى يزيد انهزام أصحابه، قال: يا سَمَيْدَع أرأيي أجود أم رأيك؟ ألم أعلمك ما يريد القوم؟ قال: بلى، فنزل سميدع ونزل يزيد في أصحابهما. وقيل: كان على فرس أشهب، فأتاه آتٍ فقال: إنّ أخاك حبيباً قد قُتل. فقال: لا خيرَ في العيش بعده، قد كنتُ والله أبغض الحياة بعد الهزيمة، وقد ازددتُ لها بغضاً، أمضوا قُدُماً، فعلموا أنّه قد استقتل، فتَسلَّل عنه مَنْ يكره القتال وبقي معه جماعة حسنة وهو يتقدَّم، فكلَّما مرَّ بخيل، كشفها، أو جماعة من أهل الشام عدلوا عنه، وأقبل نحو مسلمة لا يريد غيره. فلمّا دنا منه أدنى مسلمةُ فرسه ليركب، فعطف عليه خيول أهل الشام وعلى أصحابه، فقُتل يزيد والسميدع ومحمّد بن المهلَّب.

وكان رجل من كلب، يقال له: القحْل بن عيّاش، فلمّا نظر إلى يزيد، قال: هذا والله يزيد! والله لأقتلنّه أو ليقتلني! فمن يحمل معي يكفيني أصحابه حتّى أصل إليه؟ فحمل معه ناسٌ فاقتتلوا ساعة وانفرج الفريقان عن يزيد قتيلاً وعن القَحْل بآخر رمقه، فأومأ إلى أصحابه يُريهم مكان يزيد، وأنّه هو قاتله وأنَّ يزيد قتله.

وأتى برأس يزيد مولى مُرَّة، فقيل له: أنت قتلتَهُ؟ قال: لا، فلمّا أتى مسلمةَ، سيَّره إلى يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عُقْبَة بن أبي مُعَيْط. وقيل: بل قتله الهُذَيْل بن زُفَر بن الحارث الكلابيّ، ولم ينزل يأخذ رأسه أنفةً.

* * *

يوسف بن عمر

في سنة سبع وعشرين ومائة، سار مروان إلى الشام لمحاربة إبراهيم بن الوليد.

وكان سبب ذلك ما كان من مسير مروان بعد مقتل الوليد وإنكاره قتله وغلبته على الجزيرة، ثمّ مبايعته ليزيد بن الوليد بعدما ولّاه يزيد من عمل أبيه.

فلمّا مات يزيد بن الوليد، سار مروان في جنود الجزيرة، وخلّف ابنه عبد الملك في جمعٍ عظيم بالرقّة، فلمّا انتهى مروان إلى قِنّسرين لقي بها بِشْر بن الوليد، كان ولّاه أخوه يزيد قنّسرين، ومعه أخوه مسرور بن الوليد، فتصافّوا، ودعاهم مروان إلى بيعته، فمال إليه يزيد بن عمر بن هُبَيْرة في القيسيَّة وأسلموا بِشراً وأخاه مسروراً، فأخذهما مروان فحبسهما، وسار معه أهل قنّسرين متوجهاً إلى حِمْص.

وكان أهل حمص قد امتنعوا حين مات يزيد من بيعة إبراهيم وعبد العزيز، فوجَّه إليهم إبراهيمُ عبدَ العزيز وجند أهل دمشق فحاصرهم في مدينتهم، وأسرع مروان السير، فلما دنا من حمص رحل عبدُ العزيز عنها وخرج أهلُها إلى مروان فبايعوه، وساروا معه. ووجَّه إبراهيمُ بن الوليد الجنودَ من دمشق مع سليمان بن هشام، فنزل عين الجَرّ في مائة وعشرين ألفاً، ونزلها مروان في ثمانين ألفاً، فدعاهم مروان إلى الكفّ عن قتاله وإطلاق ابنَي الوليد الحكمَ وعثمانَ من السجن، وضمن لهم أنه لا يطلب أحداً من قتلة الوليد، فلم يجيبوه، وجدُّوا في قتاله، فاقتتلوا ما بين ارتفاع النهار إلى العصر، وكثر القتل بينهم.

وكان مروان ذا رأي ومكيدة، فأرسل ثلاثة آلاف فارس، فساروا خلف عسكره وقطعوا نهراً كان هناك، وقصدوا عسكر إبراهيم ليغبروا فيه، فلم يشعر سليمان ومَنْ معه وهم مشغولون بالقتال إلّا بالخيل والبارقة والتكبير في عسكرهم من خلفهم، فلمّا رأوا ذلك انهزموا ووضع أهل حمص السلاح فيهم لحنقهم عليهم، فقتلوا منهم سبعة عشر ألفاً، وكفّ أهل الجزيرة وأهل قنّسرين عن قتلهم، وأتوا مروان من أسرائهم بمثل القتلى وأكثر، فأخذ مروان عليهم البيعة لولدَي الوليد وخلّى عنهم ولم يقتل منهم إلّا رجلَين، أحدهما يزيد بن العقّار، والوليد بن مَصاد الكلبيّان، وكانا ممَّن وليَ قتل الوليد، فإنّه حبسهما، فهلكا في حبسه، وهرب يزيد بن خالد بن عبد الله القَسْريّ فيمَنْ هرب مع سليمان إلى دمشق، واجتمعوا مع إبراهيم

وعبد العزيز بن الحجّاج، فقال بعضهم لبعض: إن بقي ولدا الـوليد حتى يُخـرجهما مروان ويصير الأمر إليهما لم يستبقيا أحداً من قَتَلَة أبيهما والرأي قتلهما، فرأى ذلـك يزيد بن خالد، فأمر أبا الأسد مولى خالد بقتلهما، وأخرج يوسف بن عمـر، فضرب رقبتـه، وأرادوا قتل أبـي محمّـد السفيانيّ، فـدخل بيتـاً من بيوت السجن، وأغلقـه فلم يقدروا على فتحه، فأرادوا إحراقه فلم يؤتوا بنار حتّى قيل قد خلت خيل مـروان المدينة، فهربوا وهرب إبراهيم واختفى، وانتهب سليمان ما في بيت المـال، فقسمه في أصحابه وخرج من المدينة.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الفصل الثاني

في أخبار المعذبين

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الفصل الثالث

في أخبار المقطعي الرؤوس

الصفحة

الصفحة

الصفحة

● ● ●